فقه أشراط الساعة



الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع

٢٠٠٦ /٤٧٢١

الناشر

الدار العالمية للنشر والتوزيع

١٠ ش محمود صدقي متفرع من ش الإقبال - لوران - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٥٤٠٦٤٠٣ - ت: ٠٣٥٨٥٧١٤١ - تلفاكس: ٠٣٣٨٠٩٧١٧

Email: alamia_misr@hotmail.com

فِقْهُ أَشْرَاطِ السَّـاعَةِ

تأليف
الدكتور
محمد أحمد إسماعيل المُقَدَّم
عفا اللَّه عنه

طبعة مزيدة ومنقحة

الناشر
الدار العالمية للنشر والتوزيع



عن أبي قتادة ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«إياكم وكثرةَ الحديثِ عني، مَنْ قالَ عَلَيَّ فلا يَقُولَنَّ إلا حقًّا أو صِدْقًا، فمن قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأْ مقعدَه من النار»

أخرجه الإمام أحمد (٥/٢٩٧)، والدارمي (١/٧٧)، وابن ماجه (٣٥)، والحاكم (١/١١١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٧٥٣).

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، وليّ المتقين

والحمد لله رب العالمين، لا يهدي كيد الخائنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، قاصمُ ظهر الماكرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيدُ ولد آدم أجمعين.

اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه، وعلىٰ آله وصحابته، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

في عالم الأفكار - كما في عالم الأزياء - (صيحات)، و(تقاليع) تُفْرَضُ - بفعل فاعل - لتستلفت أنظار الناس بعيدًا عن خطر حقيقي، وتستقطب اهتمام الطليعة الفعالة في الأمة بعيدًا عما ينبغي أن يشتغلوا به من واجب الوقت، أو تَفْرِضُ نفسها علىٰ الساحة الفكرية، التي صارت في كثير من البلدان خاوية إلا من الصحف المسمومة، أو المطبوعات التي لا تخضع لرقابة **«فقهية شرعية»**؛ فتفجر قضايا يتابعها الناس بنهم، وتشغل الحاضر والبادي، ومع غياب العلماء، أو تغييبهم يُفتقد الانضباط، ويكثر اللغط، ويُدلي كلٌّ بدلوه، وتُبتَذَل القضايا الكبرىٰ حين ينطق فيها الرويبضة[1]، ويتصدر للخوض فيها من ليس للكلام أهلًا، ويُكثِر اللغطَ من كان يحبس لسانه في فمه وَجَلًا.

نُبِّئْتُ أن النارَ بعدك أُوقِدت ... واستبَّ بعدك يا كُلَيْبُ المجلسُ
وتحدثوا في أمرِ كلِّ عظيمةٍ ... لو كنتَ حاضِرَهُمْ بها لم ينبسوا

ولعل أحدث هذه (الصيحات)، وآخر (التقاليع) ما نسميه (ظاهرة العبث بأشراط الساعة)، فقد قذفت المطابع - ولا تزال - بعشرات الكتب والمقالات - بَلْهَ الخطب والمحاضرات - تفيض في الحديث عن أشراط الساعة، بمنهج مبتدع دخيل، وأسلوب عجيب غريب، وتهافت الناس علىٰ اقتنائها، والتعويل علىٰ ما فيها، الأمر الذي يشي بمدىٰ تفشي (الأمية الدينية) بين عامة المثقفين - فضلًا عمن دونهم.

ولعل أبرز ما يميز (رءوس) هذه الظاهرة ومقلِّديهم فشو داء التعالم، والقول علىٰ الله بغير علم، والجرأة علىٰ الخوض بالظن في التوقعات المستقبلة، والاعتماد في الاستدلال علىٰ مرويات شاذة غريبة، وآثار مطمورة مهجورة، بَلْهَ الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والإسرائيليات، وفيهم يصدق ما رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«يكونُ في آخرِ الزمانِ دجّالون كذابونَ، يأتونكم من الأحاديثِ بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم»**[2].

---

(١) الرُّوَيبِضَة: فسره النبي ﷺ بأنه «الرجل التافه ينطق في أمر العامة»، والتافه: الخسيس الحقير، والرويبضة: تصغير الرابضة، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة، كما في «النهاية» (٢/ ١٨٥).

(٢) رواه مسلم في «المقدمة» رقم (٧)، والطحاوي في «المشكل» (٤/ ٢٠٤).

لقد صار الخوض في أشراط الساعة - وهي غيب - كلأً مباحًا يتناوله كل من هبَّ ودبَّ، فأفرز مجازفات وشطحات تقشعر منها الجلود، وها هو ذا واقع الأحداث يأتي على بنيانها من القواعد، ويهدمها هدمًا، ويكشف زيفها للناظرين.

وفي هذه الدراسة نسلِّط الضوء على ظاهرة (العبث بأشراط الساعة) وصفًا، وتحليلًا، ونحاول أن نستخلص منها ضوابط التعامل مع نصوص أشراط الساعة، مع ربط ذلك بواقع الأمة في هذا العصر، والله - تعالى - من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

محمد أحمد إسماعيل المقدم

الإسكندرية

في السبت ١٠ ذي القعدة ١٤٢٤هـ.

الموافق ٣ يناير ٢٠٠٤م.

البابُ الأولُ

الفصل الأول: في التحذير من التعالم الكاذب، والولع بالغرائب.

الفصل الثاني: مَن المجتهد الذي يؤجر على اجتهاده وإن أخطأ؟.

الفصل الثالث: في معني أشراط الساعة.

الفصل الرابع: ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

الفصل الخامس: سُوءُ فَهمِ الْعَوَامِّ لَا يُسَوِّغُ إِنكَارَ النصوصِ وتَأْوِيلَهَا.

الفصل السادس: أَسْبَابُ ظَاهِرَةِ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

الفصل الأول

في التحذير من التعالم الكاذب، والولع بالغرائب

قال الله - تعالىٰ -: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

إن التعالم الكاذب هو عتبة الدخول علىٰ جريمة القول علىٰ الله بغير علم، المحرمة لذاتها تحريمًا أبديًّا في جميع الشرائع، وهذا مما عُلم من الدين بالضرورة، وهو مما حَذَّرَناه رسولُ الله ﷺ أشد التحذير.

عن عبد الله وأبي موسىٰ - رضي الله عنهما - قالا: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ بينَ يدي الساعةِ لأيامًا ينزلُ فيها الجهلُ، ويُرْفَعُ فيها العلمُ، ويكثرُ فيها الهَرْجُ»**(١) الحديث.

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«من أشراطِ الساعةِ أنْ يَقِلَّ العلمُ، ويظهرَ الجهلُ»**(٢).

وعن مالك قال: أخبرني رجل أنه دخل علىٰ ربيعة فوجده يبكي، فقال: «ما يُبكيك؟ أمصيبة دخلت عليك؟»، وارتاع لبكائه، فقال: «لا، ولكن استُفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم»، فقال ربيعة: «ولَبعض من يُفتي ههنا أحق بالحبس من السُّرَّاق»(٣).

وقال القاسم بن محمد: «لأن يعيش الرجل جاهلًا، خير من أن يقول علىٰ الله ما لا يعلم».

وأفضح ما يكون للمرء: دعواه بما لا يقوم به، وقد عاب العلماء ذلك قديمًا وحديثًا:

قال الإمام ابن حزم رحمه الله: «لا آفة علىٰ العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها؛ وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون، ويظنون أنهم يعلمون، ويُفسِدون، ويُقَدِّرون أنهم يصلحون».

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «إذا تكلم المرء في غير فنه، أتىٰ بهذه العجائب».

خلق اللهُ للحروب رجالًا ... ورجالًا لقصعةٍ وثريدِ

قال بعض المصنفين: «والانفراد عن أهل العلم برأي في الشرع، والقول بما لم يقل به أحد فيه، ينبئان عن خلل في العقل».

قال زُفَرُ بن الهذيل: «إني لا أناظر أحدًا حتىٰ يسكت، بل أناظره حتىٰ يُجَنَّ»، قالوا: كيف ذلك؟ قال: «يقول بما لم يقل به أحد».

---

(١) رواه البخاري: (١٣/ ١٣ - فتح).

(٢) رواه البخاري: (١/ ١٧٨ - فتح).

(٣) «جامع بيان العلم» رقم (٢٤١٠) ص (١٢٢٥).

وقال علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: «ليس مالا يُعرف من العلم، إنما العلم ما عُرِف، وتواطأت عليه الألسن».

وقال إبراهيم بن أبي عبلة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من حمل شاذَّ العلم حمل شرًّا كثيرًا».

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين إلا ممن أدخل نفسه في أهل الاجتهاد غَلَطًا أو مغالطة».

وقال الأمير شكيب أرسلان: «ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين: العلم الناقص، والذي هو أشد خطرًا من الجهل البسيط؛ لأن الجاهل إذا قيّض اللّه له مرشدًا عالمًا أطاعه، ولم يتفلسف عليه، فأما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري، ولا يقتنع بأنه لا يدري، وكما قيل: (ابتلاؤكم بمجنون خير من ابتلائكم بنصف مجنون)، وأقول: ابتلاؤكم بجاهل خير من ابتلائكم بشبه عالم»[1].

★ ★ ★

(١) «لماذا تأخر المسلمون؟» ص (٧٥).

الفصل الثاني

مَن المجتهد الذي يؤجر علىٰ اجتهاده وإن أخطأ؟

عن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا حَكَمَ الحاكمُ فاجتهدَ، فأصابَ؛ فلهُ أجرانِ، وإذا حكمَ فاجتهدَ، فأخطأَ؛ فلهُ أجرٌ واحدٌ**»(١).

ورد هذا الحديث في شأن القاضي، إلا أن المفتي ملحق به، بجامع أن كلًّا منهما مأمور بأن يَصْدُرَ عن حكم شرعي، ولذا يُعذر كلاهما في الخطأ.

والمفتي - إن كان من أهل العلم، ممن اجتمعت فيه شرائط الفتيا، وبذل وسعه للوصول إلىٰ الحق - ثم أفتىٰ بما غلب علىٰ ظنه أنه الحق بمقتضىٰ الأدلة؛ فأخطأ، فلا إثم عليه في الخطإ، لدخوله في القاعدة الذهبية التي دل عليها قولُه - تعالىٰ -: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، ولدخوله في هذا الحديث الشريف المشار إليه.

وأجر اجتهاده باقٍ محفوظ لا يبطل بخطئه؛ لأن الشرع يأمره بأن يفتي لوجوب الإفتاء، وقد فعل ما أُمِرَ به، فاستحق بذلك الأجر علىٰ العمل الذي قام به، ولكن لا يكون أجره بقدر أجر المصيب، إذ إن المصيب دلَّ علىٰ الحق، وهذا - أي المخطئ - لم يدل عليه.

أما إذا أفتىٰ من ليس بأهل للفُتيا، فأخطأ؛ أو كان أهلًا ولم يبذل جهده لإحقاق الحق فأخطأ؛ فإنه لا يكون معذورًا بذلك، بل يكون آثمًا، لأنه أضلَّ عن سبيل الله، وقد قال اللَّه - تعالىٰ -: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥](٢).

وقال رسول اللَّه ﷺ «**إن اللَّه تعالىٰ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعُهُ من العبادِ، ولكنْ يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ، حتىٰ إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذَ الناسُ رؤساء جُهالًا، فسُئِلوا، فأفتوا بغيرِ علمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا**»(٣).

قال ابن المنذر - رحمه اللَّه تعالىٰ -: «وإنما يؤجر الحاكم إذا أخطأ إذا كان عالمًا بالاجتهاد فاجتهد، وأما إذا لم يكن عالمًا فلا».

واستدل بحديث: «**القضاة ثلاثة**» - وفيه -: «**وقاضٍ قضَىٰ بغيرِ حقٍّ؛ فهو في النَّارِ، وقاضٍ قضَىٰ وهو لايعلمُ؛ فهو في النَّارِ**».

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ في: «**معالم السنن**»: «إنما يؤجر المجتهد إذا كان جامعًا لآلة الاجتهاد، فهو

(١) رواه من حديث عمرو بن العاص ﷺ البخاري: (١٣/ ٢٦٨)، ومسلم (١٧١٦).
(٢) انظر: «الفتيا ومناهج الإفتاء» ص (١٣٤ - ١٣٦).
(٣) رواه البخاري: (١/ ١٧٣، ١٧٤)، ومسلم (٢٦٧٣).

الذي نعذره بالخطإ، بخلاف المتكلِّف؛ فيُخاف عليه» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «لا يلزم من رد حكمه أو فتواه إذا اجتهد فأخطأ أن يأثم بذلك، بل إذا بذل وُسْعَه أُجِر، فإن أصاب ضوعف أجرُه، لكن لو أقدم فحكم أو أفتىٰ بغير علم لحقه الإثم»(١).

وقال محيي السنة البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(٢) وقوله في الحديث: «وإذا اجتهدَ فأخطأَ؛ فلهُ أجر» لم يُرد به أنه يؤجر علىٰ الخطإ، بل يؤجر في اجتهاده في طلب الحق؛ لأن اجتهاده عبادة، والإثم في الخطإ عنه موضوع إذا لم يألُ جهدَه، وهذا فيمن كان جامعًا لآلة الاجتهاد، فأما من لم يكن محلًّا للاجتهاد؛ فهو متكلِّفٌ لا يُعْذَرُ بالخطإ في الحكم، بل يُخاف عليه أعظم الوزر، رُوي عن بريدة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**القضاةُ ثلاثةٌ: واحدٌ في الجنةِ، واثنان في النّارِ، فأمّا الذي في الجنةِ، فرجل عرفَ الحقَّ، فقضَىٰ بهِ، ورجلٌ عرفَ الحقَّ، فجار في الحكمِ، فهو في النّارِ، ورجلٌ قضَىٰ للنّاسِ عَلَىٰ جهلٍ، فهو في النّارِ**»(٣).

★ ★ ★

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٣١٨ ـ ٣١٩).

(٢) «شرح السنة» (١٠/ ١١٧ ـ ١١٨).

(٣) أخرجه أبو داود: (٣٥٧٣)، والترمذي (١٣٢٢)، وابن ماجه (٢٣١٥)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي (٤/ ٩٠).

الفصل الثالث

في معني (أشراط الساعة)

ـ الشَّرَطُ ـ بفتحتين ـ هو العلامة، جمعه: أشراط، وأشراط الشيء: أوائله، ومنه: شُرَط السلطان، وهم نُخْبَة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده، ومنه: الاشتراط الذي يشترطه الناس بعضهم على بعض، فالشرط علامة على المشروط(١).

● **والساعة لغةً:**

جزءٌ من أجزاء الليل والنهار، جمعها: ساعات، وساع، والليل والنهار معًا أربع وعشرون ساعة.

وأشراط الساعة: علاماتها(٢)، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

قال الحافظ ابن حجر: (هي العلامات التي يعقبها قيام الساعة)(٣).

وقد أطلق بعض العلماء على (الأشراط) اسم (الآيات)، و(الآيات) هي الأمارات الدالة على الشيء، كالأمارات التي تنصب في الصحراء؛ دالة على الطريق، أو توضع على الشاطئ؛ لتهدي السفن، أو توضع في طريق المسافرين؛ لتدلهم على ما يقصدون من الأماكن.

قال الطيبي: (الآيات : أمارات للساعة، إما على قربها، وإما على حصولها، فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف، ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس)(٤).

● **معنى (الساعة) اصطلاحًا:**

الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسُمِّيت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة(٥).

وقال الراغب في «**المفردات**»: [الساعة: جزء من أجزاء الزمان، ويُعَبَّر به عن القيامة، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال ﷺ:

---

(١) انظر «لسان العرب» (٧/ ٣٢٩)، و«النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٦٠).

(٢) «مختار الصحاح» ص (٣٢٤).

(٣) «فتح الباري»: (١٣/ ٧٩).

(٤) «السابق»: (١٣/ ٣٥٢).

(٥) انظر: «لسان العرب» (٨/ ١٦٩)، «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٢٢).

﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥].

تشبيهًا بذلك لسرعة حسابه، كما قال ﷻ: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، أو لِمَا نبَّه عليه بقوله - تبارك وتعالىٰ -: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]، فالأولى: هي القيامة، والثانية: الوقت القليل من الزمان.

وقيل: الساعات التي هي القيامة ثلاث:

الساعة الكبرى(١)، هي بعث الناس للمحاسبة، وهي التي أشار إليها بقوله ﷺ: **«لا تقُوم الساعةُ حتَّىٰ يظهرَ الفُحشُ والتَّفحُشُ»(٢)**

إلىٰ غير ذلك، وذكر أمورًا لم تحدث في زمانه ولا بعده.

والساعة الوسطى، وهي موت أهل القرن الواحد، وذلك نحو ما رُوي أنه رأىٰ عبدالله بن أُنَيس، فقال: **«إنْ يَطُلْ عُمْرُ هذا الغلامِ لم يمتْ حتَّىٰ تقومَ الساعةُ»(٣)**.

والساعة الصغرى، وهي موت الإنسان، فساعةُ كلِّ إنسانٍ موتُه، وهي المشارُ إليها بقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٣١]، ومعلوم أن هذه الحسرة تنال الإنسان عند موته، لقوله - تعالىٰ -: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ ....﴾ الآية [المنافقون: ١٠]، وعلىٰ هذا قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام: ٤٠].

وعن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا تخيَّلتِ السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرِّيَ عنه، فعرفت ذلك عائشة، فسألته، فقال: **«لعلَّهُ يا عائشةُ كما قالَ قومُ عادٍ، فلمَّا رأوه عارضًا مستقبلَ أوديتهم قالوا هذا عارضٌ ممطرنا»(٤)**] ا هـ(٥).

---

(١) وإذا أطلقت «الساعة» في القرآن الكريم، فالمراد بها القيامة الكبرى:
قال - تعالى -: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: [الأحزاب: ٦٣]؛ أي: عن القيامة، وقال - تعالى -: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾: [القمر: ١]؛ أي: اقتربت القيامة.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ١٦٢) رقم (٦٥١٤) من رواية عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - بلفظ: **«لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش، والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة»** الحديث، وقال الشيخ أحمد شاكر: (إسناده صحيح) (١٠/ ٢٠).

(٣) وعن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ؛ سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: **«إن يعش هذا لم يدركه الهرم؛ قامت عليكم ساعتكم»** رواه البخاري (١١/ ٣٦١ - فتح)، ومسلم (١٨/ ٩٠ - نووي).
والمراد بساعتهم: موتهم، فهو ساعة المخاطبين، كما في «الفتح» (١١/ ٣٦٣).

(٤) رواه مسلم: (٨٩٩/ ١٤).

(٥) «المفردات» ص (٤٣٤ - ٤٣٥) بتصرف.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال علماؤنا: واعلم أن كل ميت مات فقد قامت قيامته[١]، ولكنها قيامة صغرىٰ وكبرىٰ، فالصغرىٰ: هي ما يقوم كل إنسان في خاصته من خروج روحه، وفراق أهله، وانقطاع سعيه، وحصوله علىٰ عمله إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًّا فشر، والقيامة الكبرىٰ هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة)[٢].

وقد ذكر اللَّه ـ تعالىٰ ـ القيامتين الصغرىٰ والكبرىٰ في القرآن الكريم، فتجده يذكر القيامتين في السورة الواحدة؛ كما في سورة الواقعة؛ فإنه ذكر في أولها القيامة الكبرى: فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ١ ـ ٧].

ثم في آخرها ذكر القيامة الصغرىٰ، وهي الموت، فقال: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٥].

وذكر القيامتين ـ أيضًا ـ في سورة القيامة، فقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١]، وهذه القيامة الكبرىٰ.

ثم ذكر الموت، فقال: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦﴾ [القيامة: ٢٦]، وهو القيامة الصغرىٰ.

★ ★ ★

(١) أي: من مات فقد دخل في حكم الآخرة.
(٢) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» نقلًا عن «القيامة الصغرى» للأشقر ص (٢).

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

ثَمَرَاتُ الإِيمَانِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

إن قيامَ الساعةِ الذي يعني نِهَايَةَ نِظَامِ هذا العالم، هو من أعظم الأحداث بعد خلق العالم، بل إن تغيير النظام الكوني وإيجاد نظام آخر، حَدَثٌ يَعْدِلُ خلقَ العالم أول مرة؛ ولذلك تسبقه أحداثٌ كبرىٰ خارقةٌ للعادة، تكون كالمقدمة له.

والإيمان بأشراط الساعة داخلٌ ضمن الإيمان باليوم الآخر؛ فهي من الإيمان بالغيب؛ ولهذا الإيمان ثمراتٌ وفوائدُ نحاول أن نُجْمِلَهَا فيما يلي:

أولاً: تحقيق ركن من أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان باليوم الآخر، باعتبار أن أشراط الساعة من مقدماته، كما أنها من الإيمان بالغيب الذي قال فيه ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، وقال رسول الله ﷺ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللَّهِ»**[(١)].

ثانيًا: إشباع الرغبة الفطرية في الإنسان التي تتطلع لاستكشاف ما غاب عنه[(٢)]، واستطلاع ما يحدث في المستقبل من وقائع وكائنات، وإذا كان الإسلام سَدَّ طُرُقَ الدجالين الذين يدَّعون الاطلاع عليها؛ كالمنجمين، والعرَّافين، والكُهَّان، ونحوهم، إلا أنه ـ استجابة لأشواق الفطرة ـ أطلعنا ـ من خلال نافذة الوحي ـ علىٰ كثير من هذه الأحداث[(٣)].

إن إخفاء وقت الساعة له أثر بليغ في إصلاح النفس البشرية، والأمر العظيم الذي يستيقن المرء وقوعه، ولكنه لا يدري متىٰ يفجؤه؛ يجعل المرء مترقبًا له، متشوفًا إليه، لأن المجهول عنصر أساسي في حياة البشر، وفي تكوينهم النفسي، فلا بد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه، ولو كان كل

---

(١) رواه البخاري (٢١١/٣)، ومسلم (٢١)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (١٤/٥)، وأبو داود (٢٦٤٠).

(٢) ونحن نرى الجهود الهائلة التي يبذلها العلماء المعاصرون؛ للكشف عن الغيب المجهول في الماضي البعيد، والغيب المجهول في الحادثات المقبلة، والغيب المجهول في «الفضاء» المحيط بنا؛ فيصنعون المناظر المكبرة، والمراصد الهائلة، ويطلقون سفن الفضاء، والأقمار الصناعية؛ كي يعلموا ما لا يعلمون؛ فلا شك أن الاطلاع على حقائق هذا الغيب من الجهة المعصومة التي لا تخطئ، ولا تكذب أبدًا ـ وهي الوحي الصادق ـ أولى وأحرى، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، [الملك: ١٤]، إن الإنسان يتشوف دومًا إلى رؤية ما سمع عنه؛ فإن عجز، فربما أبدع خياله التصورات، حتى لو كان تخيله سخيفًا، لكنه يظن أن تخيلاته تسد جَوْعَة عقله، وتشبع فضوله؛ فعندما جهل الإنسان كيفية حدوث الزلازل زعم أن الأرض محمولة على قرن ثور عظيم؛ فإذا تعب من حملها، نقلها إلى قرنه الثاني؛ فتهتز وهو ينقلها. أما الذي يتنزه عن الخيالات، والظنون؛ فإنه لا يَبْتَدِعُ التخيلات؛ كي لا يهدر طاقته العقلية فيما لا طائل من ورائه، ولكنه يتحمل عبء الغموض، ويصبر حتى يجعل الله له مخرجًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، الآيات، [البقرة: ٢٦٠].

(٣) انظر: «المقدمة»، لابن خلدون، ص (٥٨٧ ـ ٥٨٨).

شيء مكشوفًا لهم ـ وهم بهذه الفطرة ـ لَوَقَفَ نشاطهم ، وأسنت حياتهم.

ثالثًا: أن الإخبار عن الغيوب المستقبلة ـ باعتبار ما فيها من خرقٍ للعادة ـ من أهم دلائل النبوة؛ حيث إنها تتضمن تحدِّيًا لعقول البشر أجمعين، فهذه أمور غيبية لا تُدْرَكُ بالعقل، ولا يمكن معرفة كُنْهِهَا على الحقيقة إلا من خلال الوحي الصادق من الله ـ تعالىٰ ـ، إلىٰ رسوله ﷺ، وقد صدرت منه لا علىٰ أنها توقعات تعتمد علىٰ مقدمات تؤدي إلىٰ نتائجها، وإنما هي حديثٌ دقيقٌ قاطعٌ عن تفاصيل المستقبل المجهولِ، حديثًا لا يَخْرِمُهُ المستقبل، ولا في جزء من أجزائه، وحينئذٍ فلا شَكَّ أنها النبوة، وأن صاحبها مُتَّصِلٌ بالله ـ تعالىٰ ـ عالم الغيب والشهادة؛ كما قال ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ الآيتين [الجن ٢٦ ـ ٢٧].

وقال ـ سبحانه وتعالىٰ ـ:﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٢].

ومن ثمرات وقوع تلك المُغَيَّباتِ ـ علىٰ كثرتها ـ مُطَابَقَةً لخبر الصادق المصدوق ﷺ أن يثبت إيمان المؤمن، ويطمئن قلبه، ويزداد يقينه، ويقول كما قص الله عن المؤمنين: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ومن ثمرات ذلك ـ أيضًا ـ إقامة الحجة علىٰ الكافرين، وإقناعهم بصدق نبوة ورسالة محمد ﷺ إلىٰ العالمين.

رابعًا: تعَلُّم الكيفية الصحيحة التي دَلَّنَا عليها رسول الله ﷺ، كي نتعاملَ بها مع بعض الأحداث المقبلة التي قد يلتبس علينا وجه الحق فيها.

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سَفَرٍ، فنَزَلْنَا منزلًا»... الحديث، وفيه: «إذ نادىٰ منادي رسول الله ﷺ: «الصلاة جامعة»، فاجتمعنا إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ، فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: «هَذِهِ مُهْلِكَتِي»، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: «هَذِهِ، هَذِهِ»، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ**»... الحديث(١).

لقد نصح رسول الله ﷺ أصحابه الذين عاصروه نصائح انتفعوا بها كثيرًا:

(١) رواه مسلم (١٨٤٤)، وأبو داود (٤٢٤٨)، والنسائي، (١٥٣/٧).

ـ فقد بَشَّرَ عثمان ﷺ بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه.

ـ وأخبر عمَّارًا ﷺ أنه تقتله الفئة الباغية.

ـ وأمر أبا ذرٍّ ﷺ بأن يعتزلَ الفتنة، وأن لا يقاتل ولو قُتِلَ.

ـ وكان حذيفَةُ ﷺ يسأله عن الشر، مخافَةَ أن يدرِكَهُ، ودلَّه ﷺ كيف يفعل في الفتن.

ـ ونهىٰ المسلمين عن أخذ شيء من جبل الذهب الذي سوف ينحسر عنه الفرات.

ـ وبصَّر أمته بفتنة الدجال، وأفاض في وصفها، وبَيَّنَ لهم ما يعصمهم منها؛ ومِن ثَمَّ قال عبدالرحمن المحاربي: «ينبغي أن يُدْفَعَ هذا الحديثُ[1] إلىٰ المؤدِّب حتىٰ يُعَلِّمَه الصبيان في الكُتَّاب»[2]، وقال السفاريني رَحِمَهُ اللهُ: «مما ينبغي لكل عالم أن يبث أحاديث الدجَّال بين الأولاد، والنساء، والرجال، ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن». اهـ[3].

وامتدت شفقته ﷺ؛ لتشمل إخوانه الذين يأتون من بعده، ولم يروه؛ فبذل لهم النصحَ، ودلَّهم علىٰ ما فيه نجاتهم، وحسنُ عاقبتهم[4].

فمن ذلك قوله ﷺ: «**اتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ**»... الحديثَ[5].

فمن ثم أمسك المسلمون عن استفزاز واستثارة الترك، فَسَلِمُوا من غائلتهم، إلىٰ أن خالفوا التوجيهَ النبوي، قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالىٰ ـ:

«وقد قَتَلَ ـ جنكيزخان ـ من الخلائق ما لا يَعْلَمُ عددهم إلا الذي خلقهم، ولكن كان البُداءة من «خوارزم شاه»، فإنه لما أرسل جنكيزخان تُجَّارًا من جهته معهم بضائعُ كثيرةٌ من بلاده، فانتهوا إلىٰ إيرانَ، فقتلهم نائبها من جهة خوارزم شاه، وأخذ جميعَ ما كان معهم، فأرسل جنكيزخان إلىٰ خوارزم شاه يستعلمه: هل وقع هذا الأمر عن رضًىٰ منه، أو أنه لا يعلم به، فأنكره؟ وقال فيما أرسل إليه: «من المعهود من الملوك أن التجار لا يُقتلون؛ لأنهم عمارةُ الأقاليم، وهم الذين يحملون إلىٰ الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة، ثم إن هؤلاء التُّجَّار كانوا علىٰ دينك، فقتلهم نائبك، فإن كان أمرًا أمرتَ به، طلبنا بدمائهم، وإلا فأنت تُنْكِرُهُ، وتقتصُّ من نائبك»، فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيزخان، لم يكن له جوابٌ سوى أنه أمر بضرب عُنُقِهِ، فأساء التدبيرَ، وقد

---

(١) يعني حديث أبي أمامة ﷺ في شأن الدجال.

(٢) رواه ابن ماجه (٢/٥١٦).

(٣) «لوامع الأنهار البهية»، (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧).

(٤) انظر شيئًا من ذلك بهامش ص (٢٢).

(٥) عجز حديثٍ رواه أبو داود، رقم (٤٣٠٢)، في كتاب الملاحم، باب «في النهي عن تهييج الترك والحبشة»، وحسّنه الألباني في «صحيح أبي داود»، (٣٦١٥)، وانظر: «السلسلة الصحيحة»، (٧٧٢).

كان خَرِفَ وكَبِرَتْ سِنُّه، وقد ورد الحديث: «اتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ»، فلما بلغ ذلك جنكيزخان، تجهز لقتاله، وأَخْذِ بلادِهِ، فكان بِقَدَرِ اللَّه - تعالىٰ - ما كان من الأمور التي لم يُسْمَعْ بأغرَبَ منها، ولا أبشعَ»[1].

فهنا نرىٰ أن المسلمين لما خالفوا أمر النبي ﷺ بترك التُّرك؛ جاءت العاقبةُ عنيفةً مريرةً؛ حيث اجتاح التتار ديار الإسلام في كارثة لم يسبق لها مثيل في التاريخ[2].

وفي أكثر من موضع ذكر الحافظ ابن كثير وقائع القتال بين المسلمين والتتار، وبيَّن أن المسلمين لم يكونوا يتعقبون التتار إذا فروا هاربين أمامهم، ولو كانت الرماح تنالهم؛ ومثال ذلك ما ذكره في حوادث سنة ثلاث وأربعين وست مئة: «وفي هذه السنة كانت وقعةٌ عظيمةٌ بين جيش الخليفة وبين التتار - لعنهم اللَّه -؛ فكسرهم المسلمون كسرةً عظيمةً، وفَرَّقُوا شملهم، وهُزِمُوا من بين أيديهم، فلم يلحقوهم؛ ولم يتبعوهم، خوفًا من غائلة مكرهم، وعملًا بقوله ﷺ: «**اتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ**»[3].

خامسًا: فتح باب الأمل، والاستبشار بحسن العاقبة لأهل الإيمان، إذا ادْلَهَمَّتِ الخطوب، وضاقت الصدور، مما يعطي المسلمين طاقة يصارعون بها ما يسميه المتخاذلون «الأمر الواقع»؛ ليصبح عزهم ومجدهم هو الأمر الواقع؛ وذلك بناءً علىٰ البشارات النبوية بالتمكين للدين، وظهوره علىٰ الدين كله، ولو كره الكافرون.

سادسًا: قد تمرُّ بالمسلمين وقائع في مقبل الأيام تحتاج إلىٰ بيان الحكم الشرعي فيها، ولو تُرِكَ المسلمون إلىٰ اجتهادهم؛ فإنهم قد يختلفون، وربما يكون بيان الحكم الشرعي في تلك الأحداث واجبًا لابد منه، وعدم البيان يكون نقصًا تُنَزَّهُ الشريعة عنه.

فمن ذلك: أن رسول اللَّه ﷺ أخبر أن الدجّال يمكث في الأرض أربعين يومًا، يومٌ من أيامه كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كأسبوع، وبقيةُ أيامه كأيامنا، وقد سأل الصحابة - رضي اللَّه عنهم - رسول اللَّه ﷺ عن تلك الأيام الطويلة: أتكفي في الواحد منها صلاةُ يوم؟ فقال ﷺ: «**لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**»، ولو وُكِّل العباد إلىٰ اجتهادهم، لاقتصروا علىٰ الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غير هذه الأيام.

وأخبر الرسول ﷺ أن عيسى عليه السلام بعد نزوله لا يقبل الجزية من اليهود والنصارى، ولا يقبل منهم إلا الإيمان، وهذا البيان من الرسول ﷺ ضروري؛ لأن عيسى يحكم بهذا الشرع، وهذا الشرع فيه قبولُ الجزية ممن بَذَلَهَا إلىٰ حين نزول عيسى ابن مريم، وحين ذاك تُوضَعُ الجزية، ويُقتل

---

(١) «البداية والنهاية»، (١٣/١١٩).

(٢) انظر تفصيل ذلك في «السابق»، (١٣/٨٦ - ٩١)، وصدق عمرو بن العاص الذي قال لابنه عبد الله - رضي الله عنهما -: «الخَرَقُ: معاداةُ إمامك، ومناوأة من يقدر على ضررك»، كما في «الإحياء» (٣/١٨٨).

(٣) «السابق»، (١٣/١٦٨).

كل من رفض الإيمان، ولو بَذَلَ الجزيةَ(١).

كما أن نص رسول الله ﷺ على صفاتٍ معينةٍ لأشخاصٍ معينين؛ كالمهدي ـ مثلاً ـ، يمدنا بالمعيار اللازم للحكم على الدجّالين المدعين المهدية، حتى لا نتورَّط في فِتَنِهِم.

● **لَا يَعْلَمُ مَتَى السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ:**

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]..

فقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾، وقوله ﷻ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ (فيه إيذان بأن ما هو من شأن الرب لا يكون للعبد؛ فهو ـ تعالى ـ قد رباه ليكون منذرًا ومبشرًا، لا للإخبار عن الغيوب بأعيانها وأوقاتها، والإنذارُ إنما يُناطُ بالإعلام بالساعة وأهوالها، والنار وسلاسلها وأغلالها، ولا تتم الفائدة منه إلا بإبهام وقتها؛ ليخشى أهل كل زمن إتيانَها فيه، والإعلامُ بوقت إتيانها، وتحديدُ تاريخها، ينافي هذه الفائدة، بل فيه مفاسدُ أخرى؛ فلو قال الرسول ﷺ للناس: «إن الساعة تأتي بعد ألفي سنة من يومنا هذا» ـ مثلًا ـ، وألفا سنة في تاريخ العالم، وآلاف السنين، تُعَدُّ أجلًا قريبًا ـ لرأى المكذبين يستهزئون بهذا الخبر، ويلحون في تكذيبه، والمرتابين يزدادون ارتيابًا، حتى إذا ما قَرُبَ الأجل، وقع المؤمنون في رعب عظيم يُنَغِّصُ عليهم حياتهم، ويوقع الشلل في أعضائهم، والتشنجَ في أعصابهم، حتى لا يستطيعون عملًا، ولا يسيغون طعامًا ولا شرابًا، ومنهم من يخرجُ من ماله وما يملكه، في حين يكون الكافرون آمنين، يسخرون من المؤمنين...

فالحكمة البالغة ـ إذن ـ في إبهام أمر الساعة للعالم، وكذا الساعة الخاصة بأفراد الناس، أو بالأمم والأجيال، أو جعلها من الغيب الذي استأثر الله ـ تعالى ـ به) اهـ(٢).

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ معناه: لا يكشف حجابَ الخفاء عنها، ولا يظهرها في وقتها المحدود عند الرب ـ تعالى ـ إلا هو، فلا وساطةَ بينه وبين عباده في إظهارها، ولا في الإعلام بميقاتها، وإنما وساطة الرسل ـ عليهم السلام ـ في الإنذار بها(٣)، فمن ثم قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ

(١) انظر: «القيامة الصغرى»، للدكتور/ عمر الأشقر ـ حفظه الله ـ ص (١٣٢).
(٢) «تفسير المنار» (٩/٣٨٩ ـ ٣٩٠).
(٣) «السابق» (٩/٣٩٠).

أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾﴾ [النازعات: ٤٢: ٤٥].

ونقل الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله عن الآلوسي رحمه الله قوله: «وإنما أخفى ـ سبحانه ـ أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك؛ فإنه أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك، ولو قيل بأن الحكمة التكوينية تقتضي ذلك ـ أيضًا ـ لم يبعد، وتدلُّ الآيات على أنه ﷺ لم يَعْلَم وقت قيامها، نعم علم ﷺ قربها على الإجمال، وأخبر ﷺ به»[١].

وقال صاحب المنار ـ رحمه الله ـ تعالى ـ أيضًا ـ:

(فيجب على المؤمنين أن يخافوا ذلك اليومَ، وأن يحملهم الخوف على مراقبة الله ـ تعالى ـ في أعمالهم؛ فيلتزموا فيها الحقَّ، ويتحروا الخيرَ، ويتقوا الشرور والمعاصي، ولا يجعلوا حظهم من أمر الساعة الجدالَ، والقيل والقالَ، وإننا نرى بعض المتأخرين قد شغلوا المسلمين عن ذلك ببحث افتجره بعض الغلاة، وهو أن النبي ﷺ لم يَتَّقِ طولَ عمره لا يعلم متى تقوم الساعة؟ كما تدلُّ عليه آيات القرآن الكثيرة؛ بل أعلمه الله ـ تعالى ـ به، بل زعم أنه أطلعه على كل ما في علمه، فصار علمه كعلم ربِّه[٢]، أي صار نِدًّا وشريكًا لله ـ تعالى ـ في صفة العلم المحيط بالغيوب التي لا نهاية لها، ومن أصول التوحيد أنه ـ تعالى ـ لا شريكَ له في ذاته، ولا في صفة من صفاته، والرسول ﷺ عبد الله، لا يعلم من الغيب إلا ما أوحاه الله ـ تعالى ـ إليه؛ لأداء وظيفة التبليغ، ولكن الغلاةَ يرون من التقصير في مدح النبي ﷺ وتعظيمه أن تكون صفاته دون صفات ربه وإلهه، وخالق الخلق أجمعين، فكذَّبوا كلام الله ـ تعالى ـ، وشبَّهوا به بعض عبيده؛ إرضاءً لغلوهم، ومثل هذا الغلو لم يُعْرَفْ عن أحد من سلف هذه الأمة، ولو أراد الله ـ تعالى ـ أن يُعْلِمَ رسوله ﷺ بوقت قيام الساعة، بعد كل ما أنزله عليه في إخفائها، واستئثاره بعلمه، لما أكَّده كلَّ هذا التأكيد في هذه السورة وغيرها؛ كقوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾)[٣] اهـ.

- **الحِكْمَةُ في تَقْدِيمِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَدِلَالَةِ النَّاسِ عَلَيْهَا:**

ثبت في حديث جبريلَ المشهورِ أنه قال لرسول الله ﷺ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ**»، فقال ﷺ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، قال: «**فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا**»[٤]، وفي رواية قال: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا**»... الحديثَ[٥].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ : «والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظُ الغافلين، وحثُّهم

---

(١) «تفسير المنار» (٩/٣٩٣) بتصرف.

(٢) راجع «المهدي» للمؤلف ص (٢٨٢ - ٢٨٣).

(٣) «السابق» (٩/٣٩١ - ٣٩٢).

(٤) روى هذا اللفظ مسلم في «صحيحه» (٨).

(٥) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

علىٰ التوبةِ والاستعداد»[1].

ونقل القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن العلماء قولهم: «والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها؛ تنبيهُ الناس عن رقدتهم، وحثُّهم علىٰ الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة؛ كي لا يُبَاغَتُوا بالحَوْلِ بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، واللَّه أعلم، وتلك الأشراط علامةٌ لانتهاء الدنيا وانقضائها»[2].

★ ★ ★

(١) «فتح الباري»، (١١/٣٥٠).
(٢) «التذكرة»، ص (٦٢٤).

الفَصْل الخامسُ

سُوءُ فَهْمِ الْعَوَامِّ لَا يُسَوِّغُ إِنْكَارَ النصوصِ وتَأْوِيلَهَا

ذلك أن بعض الناس يجعلون تصديقهم بأمر المهدي مُسَوِّغًا لإعراضهم عن الدعوة إلىٰ الإسلام، وإنكارِ المنكرات، ومنهم من يُسْقِطُ التكاليفَ، ويهدرها؛ مُدَّعِين أنهم ينتظرون خروجَ المهدي؛ ليغير وجه العالم، نقول لهؤلاء: إن الأمور الكونية القدرية التي أخبر بها الوحي واقعةٌ لا محالة، وغاية ما كلَّفنا اللَّه به إزاءها التصديقُ بها قبل وقوعها، والالتزامُ بما نصحنا به رسول اللَّه ـ صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم ـ بعد وقوعها[1]، ولم يأمرنا قطُّ بتكلُّف إيجادها، وهناك الكثير من العقائد الثابتة قد يسيء العوام فهمها؛ فيترتب علىٰ ذلك الانحرافُ عن الصراط المستقيم، وما مَثَلُ الاعتقاد في ظهور المهدي، ونزول عيسى ﷺ، إلا كَمَثَلِ الاعتقاد في القضاء والقدر؛ فقد يسيء الكثيرون فَهم هذه العقيدةِ، وبدلًا من أن تكون حافزًا علىٰ الجد، والاجتهاد، والتسابق إلىٰ الطاعات، اتخذوها مَطِيَّةً إلىٰ التواكل، وإهدار التكاليف، بل منهم من استحلَّ بها المحرماتِ، فهل يُعالَج هذا بإنكار الاعتقاد في القضاء والقدر؛ كما زعمت القدرية؟ كيف وهو من أُصول الإيمان الستة؟! بل الصواب أن نؤمن بالقدر ونثبته؛ فلا يصح بحال أن نحتجَّ بالقدر في مخالفة الشرع الحنيف، وإبطال تكاليفه؛ كما هو شأن المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾... الآية [الأنعام: ١٤٨]، والذين قال اللَّه فيهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾... الآيةَ [يس: ٤٧]، وقد رد اللَّه ذلك عليهم، وأبطله، ولم يقبلْهُ منهم. والحاصلُ أن العدل هو الوسط؛ فنصدقُ بما أخبر به الصادق المصدوق ـ صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم ـ علىٰ وجهه؛ فلا ننفي ما أثبته، ولا نثبت ما نفاه، ولا نفتري عليه الكذبَ بالأحاديث الموضوعة، والأقوال المتهافتة، ولا نَعْرِض لسنته ـ صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم ـ بالشبهات الْمُغْرِضَةِ، ولا نحتج بأخباره علىٰ إبطال شرعه، ونقض أحكامه؛ فإن اللَّه ﷻ لم يجعل لعمل المؤمن منذ كُلِّف أجلًا دون الموت: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩].

يتضح مما تقدم أن الإيمان بأشراط الساعة يُحَفِّزُ علىٰ الاجتهاد في الأخذ بأسباب النجاة، واستفراغ الوُسْعِ في الاستعداد للقاء اللَّه ـ تعالىٰ ـ بالأعمال الصالحة، والسعي لتمكين دين اللَّه في الأرض، وذلك بخلاف ما يحصل من بعض الناس الذين يتكئون علىٰ أشراط الساعة، ويتوقفون

(١) وذلك مثل أمره ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وسلم ـ مَن سمع بالدجال أن ينأى عنه، ومن أدركه أن يقرأ عليه فواتح سورة الكهف، وكذا أمره المؤمنين ـ من حضر منهم انحسار الفرات عن كنز من ذهب ـ ألَّا يأخذ منه شيئًا.

عن العمل والسعي؛ بحجة انتظار المهدي، ونزول عيسى - مثلًا -؛ تمامًا كما يحصل من الكسالى، الذين يسيئون فهم قضية «القضاء والقدر»، ويتخذون منها وسيلة لتسويغ تواكلهم، وتوانيهم، وتقصيرهم.

ومن الأدلة الواضحة على أن التصديق بأشراط الساعة ينبغي أن يكون حافزًا للعمل والاجتهاد:

- ما رواه أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»**(١)، وفي رواية: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيْصَةَ أَحَدِكُمْ»**.

وقوله ﷺ: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا»**: أي سابقوا ستَّ آيات دالة على وجود القيامة، وسارعوا بالأعمال الصالحة قبل وقوعها وحلولها؛ فإن العمل بعد وقوعها وحلولها لا يُقبل، ولا يُعتبر.

وقوله ﷺ: **«أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ»**، وفي رواية: **«خُوَيْصَةَ»**: تصغير خاصة الإنسان؛ وهي ما يَخُصُّهُ دون غيره، وأراد به الموتَ، الذي يخصُّه، ويمنعه من العمل، إن لم يبادر به قبله(٢).

وصُغِّرت لاستصغارها في جنب سائر العظائم؛ من بعث، وحساب، وغيرهما.

قال القاضي: «أمرهم أن يبادروا بالأعمال قبل نزول هذه الآيات؛ فإنها إذا نزلت أدهشت، وأشغلت عن الأعمال، أو سُدَّ عليهم باب التوبة، وقبول العمل»(٣).

قال العلائي: «مقصود هذه الأخبار الحث على البَداءة بالأعمال قبل حلول الآجال، واغتنام الأوقات قبل هجوم الآفات»(٤).

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة، فقال: علام اجتمع عليه هؤلاء؟ قيل على قبر يحفرونه، قال: ففزع رسول الله ﷺ، فبدر بين يدي أصحابه مسرعًا حتى انتهى إلى القبر فجثا عليه، قال : فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بل الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا، ثم قال: أيْ إخواني! لمثل اليوم فأعِدُّوا»(٥).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ: يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»**(٦).

وعن أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ استيقظ ليلة، فقال: **«سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ**

(١) رواه مسلم (٢٩٤٧)، (٤/٢٢٦٧).
(٢) «جامع الأصول»، (١٠/٤١٢).
(٣) «فيض القدير»، (٣/١٩٤).
(٤) «السابق»، (٣/١٩٥).
(٥) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/٢٢٩)، وابن ماجه (٤١٩٥)، وأحمد (٤/٢٩٤)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٧٥١).
(٦) رواه مسلم (١١٨)، في الإيمان.

الفِتْنَةِ؟ مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الخَزَائِنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ؟ يَا رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الآخِرَةِ»[1]

فقوله ﷺ: «**مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ**»... إلخ، يفهم منه إيقاظهن للصلاة والتهجد؛ لمدافعة الفتن، كما قال - تعالىٰ - : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾... الآيةَ [البقرة: ٤٥].

وبلغ حرصُ رسول اللَّه ﷺ علىٰ حث المسلمين علىٰ العمل المثمر - ما أمكن العمل - إلىٰ حد قوله ﷺ: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ**[2]**، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ**[3] **حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**»[4]، فإذا كان هذا والحياةُ تَلْفِظُ أنفاسها الأخيرةَ، فكيف إذا كان بيننا وبين الساعة آمادٌ مجهولةٌ لا يعلمها إلا اللَّه - تعالىٰ -؟

فالمسلمُ يَغْتَنِمُ لحظته الحاضرةَ بقطع النظر عن ماضٍ تولَّى، ومستقبلٍ هو غيبٌ، قال الشاعر:

إِنَّمَا هَـذِهِ الحَيَـاةُ مَتَـاعٌ ... فَالجَهُولُ المَغْرُورُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَىٰ فَاتَ وَالمُؤَمَّلُ غَيْبٌ ... وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

وعن داود قال: قال لي عبداللَّه بن سلام: «إن سمعت بالدجّال قد خرج وأنت علىٰ وَدِيَّةٍ[5] تغرسها، فلا تعجل أن تصلحه؛ فإن للناس بعد ذلك عيشًا»[6].

وروىٰ ابن جرير عن عُمارة بن خزيمة بن ثابت قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي: «ما يمنعك أن تغرس أرضك؟»، فقال له أبي: «أنا شيخ كبير أموت غدًا»، فقال له عمر: «**أَعْزِمُ عَلَيْكَ لَتَغْرِسَنَّهَا**»، فلقد رأيت عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه يغرسها بيده مع أبي[7].

وعن الحارث قال: كان الرجل منا تُنْتَجُ[8] فرسُه فينحرها، فيقول: أنا أعيش حتىٰ أركب هذا؟! فجاءنا كتاب عمر رضي الله عنه: «أن أصلحوا ما رزقكم اللَّه، فإن في الأمر تنفسًا»[9].

تَنْبِيـهٌ:

لا شك أنه كلما تقدم الزمن فإنا نصير أقربَ إلىٰ الأشراط التي لَـمَّا تقع، وهذا يستوجب مزيدًا من الحذر والاستعداد، ولعل أخطرَ هـذه الأشراط طلوعُ الشمس من مغربها، وهو المقصود

---

(١) رواه البخاري (١١٢٦)، (٣/١٠- فتح).
(٢) الفسيلة: النخلة الصغيرة.
(٣) أي: من محله الذي هو جالس فيه.
(٤) رواه الإمام أحمد (١٨٣/٣)، والطيالسي (٢٠٦٨)، والبخاري في «الأدب المفرد»، (٤٧٩)، وصححه الألباني على شرط مسلم في «الصحيحة»، رقم (٩).
(٥) الوَدِيَّة: الفسيلة الصغيرة.
(٦) قال الألباني: «سنده صحيح» ا هـ. من «الصحيحة»، (١٢/١).
(٧) عزاه الألباني إلى «الجامع الكبير»، للسيوطي، (٢/٣٣٧/٣).
(٨) أي: تَلِد.
(٩) «صحيح الأدب المفرد»، (٣٧٠)، ص (١٨٠).

بقوله - تعالىٰ - :﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال رسول الله ﷺ: **«لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تطلعَ الشمسُ من مغربِها، فإذا طلعتْ، فرآها الناسُ؛ آمنوا أجمعُون، فذاكَ حينَ لا ينفعُ نفسًا إيمانُها لم تكنْ آمنتْ من قبلُ أو كسبتْ في إيمانِها خيرًا»**[١].

وقال ﷺ: **«لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ، وَلَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ، طُبِعَ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ»**[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذ لا يُقْبَلُ منه، فأما من كان مؤمنًا قبل ذلك، فإن كان مصلحًا في عمله، فهو بخير عظيم، وإن كان مُخَلِّطًا فأحدث توبةً حينئذ، لم تُقبل منه توبة»[٣].

فهذا غاية أجل التوبة في حق عمر الدنيا، أما غايته في حق كل إنسان فَبَيَّنَهُ قول النبي ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»**[٤]؛ أي: ما لم تبلغ رُوحُهُ حُلْقُومَهُ.

وعليه فإن الواجب على المؤمن أن يميز بين ما يَعْنِيهِ، وما لا يَعْنِيهِ، وقد قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»**[٥]، ومن صور اشتغال المرء بما لا يعنيه أن يديمَ البحث: متى الساعة؟ مع أنه غيبٌ استأثر الله بعلمه، وإنما اشتغالُهُ بما يعنيه في هذا الباب بأن يجتهدَ في الإعداد للساعة والتهيؤ لها، وبخاصة الساعة الخاصة به[٦]؛ وهي لحظة موته؛ ولذلك لما سأل رجل النبي ﷺ: **«يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَتَىٰ السَّاعَةُ؟»** لم يلتفت إلىٰ سؤاله، وأرشده إلىٰ الاشتغال بما يعنيه، وهو قوله ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»[٧] ... الحديثَ.

لقد قال الله - تعالىٰ - : ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]، فلم يجعل الله - تعالىٰ - لعمل المؤمن أجلًا دون الموت، فما دام في المؤمن عرقٌ ينبض بالحياة فهو مكلف بالعمل الصالح، بغض النظر عما يتوقعه من أشراط الساعة، والله - تعالىٰ - أعلم.

★ ★ ★

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري، (١١/٣٥٢ - فتح)، ومسلم، (٢/١٩٤- نووي).
(٢) رواه الإمام أحمد (٣/١٣٣ - ١٣٤)، رقم (١٦٧١)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».
(٣) «تفسير القرآن العظيم»، (٣/٣٧١).
(٤) رواه الإمام أحمد، (٩/١٧ - ١٨)، (٦١٦٠)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.
(٥) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الترمذي، (٢٣١٨)، وابن ماجه، (٣٩٧٦)، وحسّنه النووي رحمه الله.
(٦) وهي التي قال فيها ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا» ذكر منها: «وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ»؛ أي ساعة موته الخاصة به، وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، قالت: «كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: «إِنْ يَعِشْ هَذَا، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ، قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»، رواه مسلم، (٢٩٥٢)؛ يعني يموت ذلك القرن، أو أولئك المخاطبون، وانظر: «فتح الباري»، (١٠/٥٥٦)، وراجع: بيان الراغب لمعاني «الساعة»، ص (١٤ - ١٥)
(٧) رواه البخاري (٦١٦٧)، (١٠/٥٥٣)، ومسلم (٢٦٣٩)، (١٦٣).

الفَصْلُ السَّادِسُ

أَسْبَابُ ظَاهِرَةِ العَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

لقد شاع في السنوات الأخيرة ظاهرةُ الإلحاح في محاولة المطابقة بين النصوص الواردة في أحداث آخر الزمن وبين بعض الوقائع المعاصرة والمتوقعة، وقذفت المطابع بعشرات الكتب، وعشرات النشرات، والمقالات، والأشرطة، فيها خَوضٌ في «أشراط الساعة»، مرة بحق، ومراتٍ بالظن، والقول علىٰ اللّٰه بغير علم، واختلط الحق بالباطل، والتبست الأمور علىٰ الجمهور، حتىٰ صار المناخ مهيئًا لتفريخ مهديٍّ موهوم، أو مسيحٍ كذَّاب، أو منقذٍ دجَّال، وفيما يلي نحاول رصد بعض أسباب تلك الظاهرة:

السَّبَبُ الأَوَّلُ: شيوع الفتن، وظهور المنكرات، وتَحَقُّقُ كثير من أشراط الساعة الصغرى.

السبب الثاني: ذهاب العلماء، وقعود المتأهلين عن التحمل والبلاغ، وبالتالي غياب أو ضعف المرجعية الشرعية التي يفزع الناس إليها ـ لا إلىٰ غيرها ـ في النوازل بحثًا عمن يضبط لهم الأمور، إعمالًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

في الوقت الذي نبغت فيه طوائف «متطفلة» من «أنصاف، وأرباع» المتعلمين، فضلًا عن المبتدعة، والغوغاء الجاهلين الذين فرضوا أنفسهم فرضًا علىٰ الساحة الفكرية، وشكلوا «مراكز قوى» تبادر من ـ تلقاء نفسها ـ إلىٰ أن تدلي بدلوها في كل نازلة عبر وسائل الإعلام، وتفتئت علىٰ المرجعية الشرعية؛ إن لم تسفه أقوالها، وتَفْرِ أعراضها، وتضغط عليها.

عن عبد اللّٰه بن عمرو ـ رضي اللّٰه عنهما ـ أن رسول اللّٰه ﷺ قال: ضاف ضيف رجلًا من بني إسرائيل، وفي داره كَلْبَةٌ مُجِحٌ[1]، فقالت الكلبة: **«واللّٰه لا أنبح ضيف أهلي»**، قال: فعوىٰ جِراؤُها[2] في بطنها، قال: قيل: ما هذا؟، قال: فأوحىٰ اللّٰه ﷻ إلىٰ رجل منهم: **«هذا مَثَلُ أمةٍ تكونُ من بعدِكم يقهر سفهاؤها أحلامَها»**[3][4]

وقال ﷺ للأعرابي الذي سأله: «متىٰ الساعة؟»: **«إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ؛ فانتظر الساعةَ»**، قال:

---

(١) مُجِحٌ: حامل قرب وقت ولادتها.

(٢) الجرو: الصغير من ولد الكلب والأسد والسباع، وجمعه: جِراء، وأَجْراء.

(٣) أحلامها: عقلاؤها

(٤) رواه الإمام أحمد (٢/١٧٠)، رقم (٦٥٨٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح»، وقال في «مجمع الزوائد»: «رواه أحمد والبزار والطبراني»اهـ. (٧/٢٨٠).

«كيف إضاعتها؟»، قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلىٰ غيرِ أهلِهِ؛ فانتظر الساعةَ»(١)

الثالثُ: الاضطهاد العالمي للإسلام وأهله، في مقابلة ضعف الأمة:

وهذا واضح لكل ذي عينين، فقد دقَّ الغرب بقيادة أمريكا طبول الحرب ضد الإسلام، حتىٰ قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بسنوات، وبدأ المفكرون والساسة - الغربيون - بمجرد انهيار وتفكك «الاتحاد السوفيتي» في البحث عن «عدو»، ورُشِّحَ الإسلام لذلك، وتعالت صيحاتُ مفكريهم؛ مثل «هنتنجتون» وغيره بحتمية الصراع بين الحضارات، وكتب منظروهم مثل «نيكسون»، وغيره، مُحَذِّرِينَ من الخطر الإسلامي، وجزم بعضهم بأن «القرن القادم هو قرن الحروب الدينية»، وشاع في الغرب ما سمي بـ «رُهاب الإسلام» Islamophobia، وكان لأحداث البلقان والمذابح الوحشية المتتالية للمسلمين هناك، وكذا انفجار الانتفاضة في فلسطين المباركة، وأحداث الجزائر، والشيشان، والخليج الإسلامي، وإندونيسيا، والسودان، ثم أفغانستان، والعراق، وغيرها - أثر عميق في نفوس المسلمين؛ إذ رأوا الانحياز الظالم للغرب ضدهم، وعاينوا نفاق الغرب المدعي حماية «حقوق الإنسان»، وكيف أن الغرب كان يأكل - تحت وطأة الشَّرَهِ الصليبي - «صنم العجوة»(٢) الذي يعبده باسم الحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، كل هذا وغيره ولَّد شعورًا بالمرارة، والظلم، والقهر، ضاعفه الحملات القمعية الشرسة داخل بعض بلاد المسلمين ضد الدعاة إلىٰ اللَّه، ورموز الإسلام، وأطلقت يد وسائل الإعلام العالمانية التي عاثت في الأرض فسادًا، وصدَّت الناس عن سبيل اللَّه بدعوىٰ محاربة ما أسموه «التطرف، والإرهاب، والأصولية»... إلخ.

لقد تراكم الشعور بالظلم في النفوس المكبوتة، واقترن ذلك بتدهور حال الأمة، وتداعي الكفَّار عليها تداعيَ الأكلة إلىٰ القصعة، ففزع البعض إلىٰ مواجهة هذه الأوضاع «بالفِرَارِ» إلىٰ التطلع إلىٰ ظهور المهدي، ونزول المسيح ﷺ، وهذا - في الجملة - لا يُنكر - كما سنبين إن شاء اللَّه - تعالىٰ(٣) -، لكن المنكر أن بعضهم حاد عن الضوابط العلمية، وقفز فوق السنن الكونية، وتقوَّل علىٰ اللَّه بغير علم، حين حدَّد بعض الشخصيات المعاصرة علىٰ أنها المقصودة في بعض الأحاديث، أو زعم أن المهدي موجود الآن في مكان كذا، أو رسم صورة تفصيلية لأحداث المستقبل - وهو غيب لا يعلمه إلا اللَّه - بمجرد الظن والتخمين.

ومن هنا نشأت ظاهرة «العبث بأشراط الساعة»، التي راجت في السنوات الأخيرة.

(١) رواه البخاري (١/١٤٢ - فتح).
(٢) الإشارة إلى ما رُوي من أن بعض الناس في الجاهلية كان يصنع صنمًا من العجوة؛ ليعبده، فإذا جاع، أكله.
(٣) انظر ص (١٣٦).

السَّبَبُ الرابع: انفتاح المسلمين علىٰ «الإسرائيليات» القديمة والمعاصرة[1]، وتأثر البعض بـ «هَوَسِ» أو «حُمَّى» الألفية الجديدة الرائجة في العالم الغربي، والمسيطرة علىٰ صُنَّاع القرار هناك، وهذا ما نبينه في الباب التالي إن شاء اللَّه.

تنبيه

ينبغي التفريق بين «تقبل» و«تصديق» هذه الإسرائيليات بنوعيها، وبين «رصد» أفكار الخصم من باب «اعرف عدوك»، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، وليفهم أولوا الرأي من المسلمين مقاصد الأعداء بهم، وكيف يفكرون؟ وماذا يخططون؟

علىٰ أن ينحصر الاشتغال بها في المختصين بذلك ما أمكن، حماية للعوام من الوقوع في حبائل تلك الإسرائيليات، وتقبلها، والتسليم لها، والبناء عليها؛ كأنها وحي منزل.

★ ★ ★

(١) انظر ص (١٠٣)

الباب الثَّاني

مَجَالَاتُ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

الفَصْلُ الأَوّلُ عَبَثُهُمْ بِعَلَامَةِ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ

الفَصْلُ الثَّانِي عَبَثُهم بِعَلَامَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ اضطرابهم بشأن «صدام حسين»

الفَصْلُ الرَّابعُ الرَّاجِمُونَ بِالْغَيْبِ الْقَائِلُونَ مَا لَيسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ

الفَصْلُ الخَامس التَّطْبِيعُ مَعَ التَّنْجِيمِ وَالْمُنَجِّمِينَ وَزَلْزَلَةُ ثَوَابِتِ الْعَقِيدَةِ

البابُ الثَّاني

مَجَالَاتُ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

نعرض في هذا الباب بعض المجالات التي كانت مَسْرَحًا لخوض الخائضين بغير علمٍ في بعض أشراط الساعة، وإن مطالعة هذا الفصل لتحتاج من القارئ أن يستجمع صبره على ما سوف نورده من مزاعم فجة، وأكاذيب مفضوحة.

لقد أذاع ممثل سينمائي عالمي يدعى «أورسون ويلز» يوم أول أبريل قبل نحو خمسة وأربعين عامًا من محطة إذاعة «لندن» خبر تعرض الأرض لهجوم ساحق من سكان المريخ، وراح يصف الهجوم وأحداثه لحظة بلحظة، وكأنها تقع فعلًا، حتى أشاع الذعر والرعب والهلع بين الناس لمدة ساعتين قبل أن يعترف بأنها مجرد «كذبة أبريل».[1]

وإن العابثين بأشراط الساعة من بني جلدتنا ليريدون أن يجعلوا كل أيامنا أولَ أبريل، ويجعلوا منا - إذا صدقناهم - حمقى ومغفلين[2].

وقد يتعجب القارئ المكرم لهذه المقدمة، ولكن سرعان ما سيزول العجب إذا عُرِف السبب.

★ ★ ★

(١) انظر: «الأطباق الطائرة ومثلث برمودا بين الحقيقة والخرافة»، ص (٦٢).

(٢) يُطلق الإنكليز على أول أبريل يوم «جميع الحمقى» (All Fools' Day) ولعل من أشهر ما وقع في أوروبا في أول أبريل:(أن جريدة (Evening Star) أعلنت في ٣١ مارس ١٨٤٦م أن غدًا - أول أبريل - سيقام معرض للحمير عام في غرفة الزراعة لمدينة «اسلنجتون» من البلاد الإنكليزية، فهُرع الناس لمشاهدة تلك الحيوانات، واحتشدوا احتشادًا عظيمًا، وظلوا ينتظرون، فلما أعياهم الانتظار سألوا عن وقت عرض الحمير، فلم يجدوا شيئًا، فعلموا أنهم المقصودون»اهـ. بتصرف من «كذبة أبريل أصلها التاريخي وحكمها الشرعي» للدكتور عاصم القريوتي ص (١٥).

الفَصْلُ الأَوَّلُ

عَبَثُهُمْ بِعَلَامَةِ خُرُوجِ المَهْدِيِّ المُنْتَظَرِ

وهذه من أكثر الظواهر تَكْرَارًا كما بيَّنته مفصلًا في كتاب « المهدي»، حتىٰ اشتكىٰ ابن خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ من كثرة مُدَّعِي المهدية، وتوقعات الذين يَرْجُمُونَ بالغيب فقال: «إلىٰ كلام من أمثال هذا، يُعَيِّنون فيه الوقتَ، والرجلَ، والمكانَ، بأدلة واهية، وتحكمات مختلفة، فينقضي الزمانُ، ولا أثرَ لشيء من ذلك، فيرجعون إلىٰ تجديد رأيٍ آخرَ مُنْتَحَلٍ كما تراه من مفهومات لغوية، وأشياء تخيلية، وأحكام نجومية، في هذا انقضت أعمار الأول منهم والآخر». اهـ[1].

ومن ذلك قول «محمد عيسى داود»[2]: إن المهدي «إسرائيلي الجسم»، ويشرحها بأن المقصود أنه ليس من البدو، ثم يضيف: «فهي لمسة لطيفة تعني: لا تلتفتوا لمن يدعي المهديةَ لنفسه، خاصة من البلاد التي ترتدي الجلباب والعقال»[3]!!

بل تراه يحدد - بدقة - زي المهدي، فيقول: «المهدي يلبس الزي الرومي؛ يعني لبسه الأساسي هو الزي المدني الحالي بجميع أشكاله الحضارية المدنية الحالية، فهو ليس غريبًا في هيئته عن الحضارة الغربية، وأحيانًا يرتدي العباءة والجلباب كما يرتديها أحدنا، وفي البرودة له «بالطو» مثل بالطو الإسكيندناف الروس، ولكن زيَّه الرسمي البدلة والكرافت»[4].

ويقول «محمد عيسى داود» وهو يفتري ملابسات خروج المهدي، وما يعقبه: «يعلن تلفاز المهدي وإذاعاته علىٰ العالم كله أن سلطات الأمن قبضت علىٰ جواسيس ومخربين من روما والفاتيكان،واعترفوا بأن (البابا) الجالس علىٰ عرش الفاتيكان يومئذ بدأ يجهز خطة سرية للقضاء علىٰ المهدي اغتيالًا، وأن الحكومة الإيطالية اشتركت معه بشبكات من المافيا[5]»، ثم يعترف الجواسيس بالصوت والصورة علىٰ الهواء مباشرة، ثم تتحرك جيوش المهدي قاصدة روما والفاتيكان،..» وهكذا - علىٰ نفس المنوال - يسبح في بحر من الكذب والافتراء، وفي غيبوبة هذا الدجل لا يجد غضاضة من أن يتبجح بقوله: «هذه الأحداث نبوءات ليست من تأليفي، إنها واردة في المخطوطات العربية والإسلامية لدىٰ شرق وغرب»[6].

---

(١) «تاريخ ابن خلدون»، (١/٥٨٢).
(٢) رائد العابثين بأشراط الساعة الملقب - لكثرة أسفاره - بـ«السندباد المصري».
(٣) «المفاجأة»، ص (٨٨ - ٨٩).
(٤) «السابق»، ص (٩٠).
(٥) «المهدي المنتظر على الأبواب»، ص (٢٣٨)، وما بعدها.
(٦) «السابق»، ص (٧١)، وما بعدها.

وفي موضع آخر يصف لحظة وقوف المهدي أمام الركن اليماني: «فإذا برجل يهجم عليه، ويصيح:«أنت المهدي المنتظر»، وصرخ في الملإ بالحرم المكي الشريف: «إن خير البشر(؟) قد ظهر، إنه المهدي المنتظر»،وهنا يتقدم جمع من علماء المسلمين الذين يحجون البيت في هذا العام المبارك، ومنهم من كان يرقب توقيته، أشجعهم عالم من مصر يواجهه بقوله: «أنت بإذن الله هو المهدي»[1]!

ومن غرائب الصفات المزعومة للمهدي قول بعضهم: «في لسانه ثِقَلٌ، إذا أبطأ عليه الكلام ضرب فخذه اليسرىٰ بيده اليمنىٰ فينطلق، هذا ما وردت به الآثار، في كثير من الأسفار، ولا داعي للإطالة بإيراد نصوصها، فإن الاختصار من صفات البيانات العاجلة.

أما عن سبب تلقيبه بالمهدي؛ فلأنه يهدي لأمر خفي، ويستخرج التوراة والإنجيل»[2].

ولقد قرأت مقالًا في إحدىٰ الساحات الحوارية[3] لكاتب أفاض في الأحداث التي خَمَّنَ وقوعها بين أمريكا والصين عمّا قريب، والتي ستنتهي في زعمه بخروج المهدي من تايوان، إي والله.. حتىٰ المهدي «تايواني» في نظر أولئك العابثين!!

★ ★ ★

(١) «المهدي المنتظر على الأبواب»، ص (٦٥)، وما بعدها.

(٢) «هرمجدون»، ص (٧٨).

(٣) موقع القلعة العربي بتاريخ (١٥/١١/١٤٢١هـ)، مقالة بقلم «نور الدين»، بعنوان: «المهدي يخرج من تايوان».

الفصل الثَّاني

عَبَثُهم بِعَلَامَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ

وإذ أتينا إلىٰ ذكر الدجال؛ فإنه يتحتم أن نقول مقدمًا: إن وجود العابثين اللاعبين بأشراط الساعة، وبالهيئة التي سنراها هو في حد ذاته من أشراط الساعة التي أخبر بها الصادق المصدوق فيما رواه أبو هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: **«يكونُ في آخرِ الزمانِ دجالونَ كذابونَ، يأتونكم من الأحَاديثِ بما لم تسمَعُوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم، لا يُضِلُّونكم ولا يفتنُونكم»**[1]

وأخص بالذكر منهم: «دجّال الدجال»، المستحق ـ فيما أظن، والله أعلم ـ لقب «أكذب صحافي في التاريخ»، والمتلبس بجريمة القول علىٰ الله بغير علم، وافتراء الكذب في دين الله تعالىٰ.

وسأقتصر علىٰ ذكر كلام بعضهم دون تعليق، لأن مجرد سرده وثيقة إدانة تُوجِبُ الحَجْرَ عليهم استصلاحًا للديانة، ولأن فساد كلامهم يغني عن إفساده، وبطلانه يغني عن إبطاله.

ينقل «محمد عيسىٰ داود» عن «دان شمرون» في خطبته أمام الخريجين الجدد اليهود لإحدىٰ الكليات الحربية بتل أبيب قولَه: «إن سنة ٢٠٠٠ سوف تشهد نشوء قيادة جديدة»، ثم يقول ـ أي محمد عيسى ـ: «يقصد المسيخ الدجّال».. ثم يقول: «والحقيقة أن ما صرح به «دان شمرون» معتمدًا علىٰ معلومات أكيدة من رجال المسيخ بالكنيست الإسرائيلي، أو مستنبطًا من وثائق سرية لنبوءات حقيقية بالتوراة (المخبوءة)، وهو مطابق أو قريب جدًّا لحساباتي، وحَدْسي، واستبصاري الذي استلهمت فيه إيماني بالله، واستقرأت ما بين السطور في أحاديثَ عن النبي ﷺ نبي البشرية الأمين، ولو كره ذلك الأغبياء والضالون»[2].

ويدعي أن كتابه المسمىٰ «احذروا: المسيخ الدجّال يغزو العالم من مثلث برمودا»[3] سيصدم

---

(١) رواه مسلم في المقدمة رقم (٧)، والطحاوي في «المشكل» (٤/٢٠٤).

(٢) «احذروا: المسيخ الدجال يغزو العالم من مثلث برمودة»، (ص١٤١ ـ ١٤٢).

(٣) وإنما اختار «السندباد المصري» جزيرة برمودا استثمارًا لما يشيع من حوادث اختفاء الطائرات والسفن في مثلث برمودا الشهير، وما ألف حولها من عشرات الكتب، في حين [توضح الإحصائيات أن ما يحدث في مثلث برمودا من حوادث الموت والتدمير أقل مما يحدث في أماكن كثيرة مماثلة في العالم، مما ينفي تلك اللعنة التي أُلصقت بذلك المثلث البرئ، والذي تشير الإحصائيات إلى أنه أكثر أمانًا من أية مساحة مماثلة فوق أرض الولايات المتحدة ذاتها.

«وتظهر عدم دقة هؤلاء المؤلفين، وتقديم معلومات خاطئة، أو ذكر عبارات مثيرة مضللة، أو أقوال ليس لها من أساس، يظهر هذا وغيره من التحقيقات الجادة التي تثار عادة بعد نشر هذه المعلومات الغريبة..».

ـ وربما غرقت بعض السفن في أماكن بعيدة، ثم إذا بالمؤلفين الدجالين يدعون أنها كانت تبحر في مثلث برمودا، فالسفينة البريطانية (British York) غرقت قريبًا من (New Found Land) المقابلة لسواحل أيرلندا، والسفينة الألمانية «قريبا» غرقت في المحيط الهادئ، لكن خيال المؤلفين ادعى غرقهما في مثلث برمودا]اهـ.من «الأطباق الطائرة ومثلث برمودا بين الحقيقة والخرافة»، ص (٥٦ـ ٥٧).

المسيخ الدجّال؛ فيقول: «والصدمة هنا للمسيخ[١]؛ لأن هذا الكتاب بلا شك - وإن شاء اللَّه - هو أول كتاب يعرض المسيخ عاريًا في كل شيء؛ في فكره، في تصوراته، في تحركاته، في أماكنه الخفية وعلاقاته»[٢].

ويقول «سعيد أيوب» بعد ما ذكر بعض صفات والدَي الدجال: «وفي هذا إشارة إلىٰ ضرورة رصد الدجّال بالبحث وراءه في شهادة ميلاده، وشهادة توثيق زواج أمه من أبيه؛ لتحديد متىٰ ولد بعد زواج أمه من أبيه»[٣]!

أما «السندباد المصري» محمد عيسى داود فقد جعل من سيرة الدجال المطولة بالأكاذيب سيرة شعبية مثل سيرة عنترة بن شداد وسيرة تغريبة بني هلال، فهو يزعم أن ميلاد المسيخ الدجّال «تم منذ أربعة قرون تقريبًا، وهو ميلاد عجيب؛ لأن النطفة التي تخلّق منها شارك فيها الشيطان، فهو مُهَجَّن، أو خليط بين الإنس والشيطان، فهو من مواليد الحيض، أبوه أتىٰ أمه في الحيض، وحدث الحمل الشيطاني، ويحتمل جدًّا أن يكون أباه (كذا!) ابن أمه، فهو في النهاية مولَّد عن زنًا خطير» اهـ[٤].

ويقول أيضًا: «والمسيخ صديق شخصي لإبليس، والعكس صحيح، وهما الآن ملكان يجلسان علىٰ عرش واحد: أحدهما مرئي، والآخر لا مرئي إلا لجنسه من الأبالسة والجن»[٥].

وتأمل تخبطه في العبارة التالية:

(وربما - واللَّه أعلم - يكون عمره يزيد علىٰ ١٥٠٠ سنة، فهو الشبيه البشري بإبليس، أو هو النسخة البشرية من إبليس، ولو شبهنا إبليس بمادة، فالمسيخ الدجّال هو القنينة، فما هو إلا جسد يؤدي مهمة المسيخ، وإن كنت أرجِّح أنه من مواليد القرن السابع عشر الميلادي، وعلىٰ أقصىٰ تقدير السادس عشر، واللَّه - تعالىٰ - أعلم)[٦] اهـ. نقول: ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ الآية [الأنعام: ١٤٨].

---

(١) وهو يصر على ترجيح تسميته بالمسيخ؛ كما في كتابه المذكور ص (١٢ - ١٤)، مع كون هذا تصحيفًا، انظر: «فتح الباري»، (٩٤/١٣)، حتى قال القاضي ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضَلَّ قومٌ فرووه «المسيخ» بالخاء المعجمة، وشَدَّدَ بَعْضُهُمْ السين ليفرقوا بينه، وبين المسيح عيسى ابن مريم بزعمهم، وقد فرق النبي ﷺ بينهما بقوله في الدجال «مسيح الضلالة»؛ فدل على أن عيسى مسيح الهدى؛ فأراد هؤلاء تعظيم عيسى، فحرَّفوا الحديث» ا هـ. «فتح الباري»، (٩٤/١٣)، وانظره أيضًا (٣١٨/٢).

(٢) «احذروا»، ص (١١).

(٣) وذلك بناء على رواية الترمذي، عن أبي بكرة مرفوعًا: «يَمْكُثُ أَبُو الدَّجَّالِ، وَأُمُّهُ ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُولَدُ لَهُمَا وَلَدٌ، ثُمَّ يُولَدُ لَهُمَا غُلَامٌ أَعْوَرُ، أَضَرُّ شَيْءٍ، وَأَقَلُّهُ مَنْفَعَةً»، والحديث في «ضعيف الترمذي»، (٣٩٢) ص (٢٥٣).

(٤) «احذروا»، ص (١٦).

(٥) «ما قبل الدمار»، ص (٢٠٥ - ٢٠٦)

(٦) «احذروا»، ص (٢١).

وهو يجزم بأن المسيح الدجّال (من مواليد اليمن، فهم أذكىٰ أجناس اليهود)[١]، ثم يضيف: «وربما ـ والله أعلم ـ يكون من مواليد سوريا، لكنني أرجّحُ أنه يمني المولد»[٢]. غير أنه عاد في موضع آخر ليقول: «كذلك هداني الله ﷻ إلىٰ أنه من مواليد الشام.. وبالذات من السامرة بفلسطين، وكنت أحسبه ـ مجتهدًا في هذا الحسبان ـ من مواليد اليمن، لظني أنهم أذكي اليهود»[٣]، وقال: إنه أورد في كتابه «الخيوط الخفية» معلومات عن بداية نشأة الدجال من مخطوطات شديدة الندرة، ثم قال: «وعليه: فإن صح ما أتيت به من معلومات عن نشأة المسيخ الدجال؛ فهذا يُلغي ما ذكرته في كتابي «احذروا المسيخ» من أنه من مواليد اليمن ـ وإن كان عاش في اليمن، ونهل من معين بعض علمائها ـ وقد حدست من قبل أنه من مواليد سوريا، لكنه من مواليد السامرة، وعلىٰ أي حال كلتاهما بالشام»[٤]اهـ.

ويستمر مسلسل الدجل والكذب، فيفتري قصة طويلة مملة عن نشأة الدجال وأسرته والقوم الذين نشأ فيهم، وكيف أن الله تعالىٰ أمر جبريل الأمين أن يخسف بهم الأرض إلا طفلًا صغيرًا في قصر الحاكم ـ وهو الدجال ـ عليه أن يحمله إلىٰ جزيرة في بحر كبير يسمىٰ «بحر اليمن»[٥].

ويحلق بنا «السندباد المصري» في آفاق الدجل والدجالين، فيدعي أن الدجال رحل إلىٰ مصر بعد سنوات من حياته في «السامرة»، حيث الفراعنة يحكمون، وبدأ يتقرب إلىٰ أحد كهنة مصر الكبار، ويُغريه بمعسول الكلام المهذب أنه سيكون الخادم الأمين له، والابن المطيع علىٰ أن يعلمه الحكمة والعلم، ويقربه إلىٰ الفرعون الحاكم»[٦].

ويدعي «السندباد المصري» أن الدجـال هو السامري ذلك الرجل الكافر في عهد الرسول موسىٰ عليه السلام، وطرده موسىٰ عليه السلام من مصر فهو يخرج في آخر الزمن لينتقم من شعب مصر لأنهم طردوه....»[٧] ويدافع عن خيالاته في شأن السامري قائلًا: «إنني لم أجتهد في أصل تام من أصول الشريعة أو العقيدة، أو في معلوم من الدين بالضرورة، فهذه ثوابت لا نقاش فيها، إنما اجتهدت في مجال مفتوح، لا أؤاخذ به إن أخطأت بل لي أجر، فما البال إن أصبت، وأجرىٰ الله علىٰ يدي ما لم يسبقني فيه أحد؟»[٨].

---

(١) «احذروا»، ص (٢١).
(٢) «السابق»، ص(٢٣)، و حذار أن تسأل عن دليل أو توثيق؛ فإنما هو الحَدْسُ، والتخمين!
(٣) «ما قبل الدمار» ص (١٩٤).
(٤) «الخيوط الخفية»، ص (١١).
(٥) «السابق» ص (٣٢)
(٦) «السابق» ص (٤٥- ٤٦).
(٧) «ما قبل الدمار» ص (٦٦).
(٨) «السابق» ص (١٣٤)، وانظره ص (١٣٠).

«والمسيخ الدجال رجل تعلم في «مصر الفراعنة»، وبرع في علوم الكهانة، والنجوم، والسحر، والهندسة بكل فروعها، والطب بكل فروعه، وحتىٰ علوم النبات، والحيوان، والمعادن، والفيزياء، والكيمياء، والرسم... وإن كان لم يظفر ببغيته من علوم الكهنة، فقد ضنوا عليه بها، وأعطوه القشور والفتات الذي نماه مع الزمن!!»[1].

بيد أنه يقول في موضع آخر: «والمسيخ الدجال رجل تعلم في انجلترا، وبرع في علوم الهندسة بكل فروعها، والطب بكل فروعه، وحتىٰ علوم النبات والحيوان ، والمعادن، والفيزياء، والكيمياء، والرسم».[2]

ويدعي أنه مضىٰ في رحلته إلىٰ بلاد العرب، فنزل اليمن والشام والعراق ثم أفريقيا الجنوبية، ثم إلىٰ بلاد المغرب، ثم توجه إلىٰ الأمريكتين[3].

ويدعي أن الريح أخذته إلىٰ بلاد الإنجليز والأيرلنديين والاسكتلنديين، ثم بلاد الفرنسيين، ولم يطب له المقام فيها، فعاد إلىٰ أمريكا الجنوبية، ورسا هذه المرة علىٰ شاطئ «بورتريكو»[4].

ويدعي أن المسيح الدجال طاف بلاد «الغال»(؟!)، ثم البلغار، ثم الأورال، ثم الغز، ثم جورجان، ثم عاد إلىٰ جزيرته الخضراء ببحر اليمن، وادعىٰ أنه : أحاط علمًا بعدة لغات من الهيروغليفية إلىٰ لغات شعوب ما وراء النهرين[5]، ويدعي في موضع آخر أن الدجال رحل إلىٰ بلاد الهند والبوذا، واليابان والصين[6].

ويزعم أيضًا أن المسيح الدجال قد (تولاه أكثر من شخص بالتبني من اليهود... إلىٰ أن تبنته شخصية يهودية في إنجلترا، ونقلته من أرض العرب إلىٰ بلاد الغرب؛ لينشأ هناك، ويدرس كل العلوم الحديثة، ويحتل عقولًا بالهيمنة، ويتفق معهم علىٰ بناء قلعة خارج العالم)[7].

ويقول في موضع آخر: «وهيمن المسيخ علىٰ شخصيات يهودية في انجلترا، وأقام شبكات علىٰ شتىٰ الأنواع في بلاد الغرب، وبث فكره العلماني في كل العلوم الحديثة، ويحتل عقولًا بالهيمنة، واتفق معهم علىٰ بناء قلعة خارج العالم»[8]

- ويذكر أن به الآن «بعض الصلع في مقدم رأسه»[9].

---

(١) «ما قبل الدمار» ص (١٩٩).
(٢) «احذروا» ص (٢٩)
(٣) «الخيوط الخفية» ص (٧٢).
(٤) «السابق» ص (٧٧).
(٥) «الخيوط الخفية» ص (٥٩).
(٦) «السابق» ص (٦٣).
(٧) «احذروا»، ص (٢٣ - ٢٤).
(٨) «ما قبل الدمار» ص (١٩٦).
(٩) «احذروا» ص (٢٥)

- أما عيناه فهو أعور العين اليسرى، وهي بشعة المنظر؛ لذا يداريها بدائرة سوداء، كما كان يفعل موشي ديان[١].

- ويدعي أنه أحاط بأسرار ومفاتيح علوم عديدة؛ منها: الطب، وأنه استعان حتىٰ بخبراء في طب أعصاب العيون من الجن والشياطين فعجزوا عن معالجته[٢].

- ويصفه بأنه حاكم «ديمقراطي»، بدليل أنه يمشي في الأسواق[٣].

- وهو رجل شاء اللَّه له اشتعال غدته الصنوبرية[٤].

ويدعي أن المسيح الدجال «رجل، سيظهر في ثوب حاكم، أو رئيس دولة، وغالبًا ستكون الولايات المتحدة الأمريكية»[٥]، ثم يقول:

- «ولا أستبعد أن يكون آدم وايزهاوبت[٦] يهودي الأصل، بل لا أستبعد أن يكون هو نفسه المسيخ الدجال، لو كان أعور العينين، و لو كان معي صورة له لحددت ذلك الأمر[٧]، وإن كنت أغلِّب أنه حلقة الوصل، أو الصديق المخلص جدًّا للمسيخ الدجّال، أو ممثله الشخصي أمام الروتشيلديين الأثرياء اليهود، ثم من يختارهم لتكوين المنظمة السرية»[٨] اهـ.

ويدعي أنه «تحالف مع إبليس ووقعا عقدًا كتابيًّا بينهما، واتفقا علىٰ إنشاء قصر مركزي لإبليس قرب برمودة، علىٰ أن يكون مقرًّا مؤقتًا للدجال، يدير منه شئون الكرة الأرضية...»[٩].

ويقول: «كان المسيخ الدجّال يحلم بتأسيس قلعة رهيبة لتكون قاعدة لمدينة تعتبر في هذه الأرض، ولكنها خارجها أيضًا، وانتقىٰ إبليس له المكان بالمحيط الأطلسي، حيث عرش إبليس، وذهب - بمن اتفق معهم -، وفعلوا ما فعلوا، وأسسوا ما أسسوا، قاعدة رهيبة، عبارة عن قلعة هائلة منيعة في مثلث برمودا، واستوحىٰ التصميم المعماري لها من الهرم الأكبر، والنجمة السداسية الإسرائيلية.

---

(١) «احذروا» ص (٢٦).

(٢) «السابق»، ص (٢٧).

(٣) «احذروا»، ص (٢٧).

(٤) «السابق»، ص (٢٩).

(٥) «السابق»، ص (٣٣).

(٦) (أستاذ قانون يسوعي في جامعة إنجولدشتات، ترك النصرانية، وتحالف مع المرابين الذين قاموا بتنظيم مؤسسة روتشيلد؛ لأجل تدمير الحكومات، والأديان الموجودة، ثم نظم جماعة النورانيين؛ لوضع المؤامرة موضع التنفيذ)، باختصار من «احذروا»، ص (٤٣ - ٤٦).

(٧) وبلغت قناعته بهذه الخيالات إلى حد أنه حاول الحصول على صورة له من مكتبات ألمانيا، أو مما سجل بأجهزة الكومبيوتر، فما وجد. «احذروا»، هامش ص (٤٦).

(٨) «السابق»، ص (٤٦).

(٩) «الخيوط الخفية» ص (٨٩ - ٩٠).

وهذه القلعة الرهيبة يتواصل اتساعها وتمددها وبناء جدرانها؛ أجزاء من الفولاذ، وأخرىٰ من الزجاج غير قابل للكسر ولا للتحطيم»[١].

«ومنظر القلعة المسيخية الخاصة بأسراره هو الشخصية فريد للغاية، وبها قطاعات علىٰ هيئة أهرامات متداخلة، بعضها يمكن تنقله في أي لحظة من اللحظات كأنها غواصة هائلة.

وجزء من قلعته ظاهر للعيون فوق الماء، ولكن حوله مجال مغناطيسي قوي (شافطة) (خاطفة) يمكنها اقتناص أي شيء مهما كان حجمه، فهو يخشىٰ دخول مركبة أو طائرة إلىٰ مجال الرؤية فترىٰ شيئًا ما بسهولة، ومن ثم كانت خطوطه الدفاعية الرهيبة، والقاعدة عنده: «من رأىٰ لا يخرج».

.. وفي هذه القلعة غرفة تحكم خاصة يمكنه مِن خلالها تدمير الأجزاء الأخرىٰ من القلعة في حالة الاستيلاء عليها من قوىٰ مجهولة...»[٢].

«وقد نظم الدجال مع مجموعة علماء صوتيات لغة خاصة بشعبه بوحي اللغة السنسكريتية، كما أنها لغة شفرة، لو التقىٰ رجلان لا يعرف كلاهما الآخر من رجاله أو شعبه، فهي علامة امتياز خاصة.. وهنالك تُفتح الأبواب»[٣].

وقد استغل الدجّال وأعوانه وشعبه الذي يعيش في قلاعه ثروات ومعادن «أطلانطس»، القارة الغارقة تحت المحيط الأطلنطي»[٤].

ويدعي أن المسيح الدجّال يربي جيشًا ضخمًا تحت الأرض، تحت المسجد الأقصى، وقريبًا منه، ثم يتمادىٰ بمحاولة تعليل اختياره هذا الموقع الفريد...

ويصل به خياله الواسع إلىٰ حد زعم أن مهندسي المسيح الدجّال راحوا يصنعون مع الحفريات أنفاقًا مكيفة، ومجهزة للحياة تحت الأرض؛ لتجميع الأطفال بها، وعمل كتائب من الأطفال اليهود؛ كرؤساء وقوّاد... إلخ[٥].

ثم يدعي أن المسيح الدجّال قد (تحكم في سرعة الرياح بأجهزة إشعاعية، وتحكم في الذبذبات، واخترع أجهزة إشعاعية تلون الهواء باللون الذي يريد، بل أجهزة أخرىٰ تصنع حوائط هلامية في الهواء؛ كألواح من زجاج.

واخترع طواحين هوائية ذات أجهزة شافطة وجاذبة، لدرجة إمكانية جذب عدة طائرات، أو

---

(١) انظر: «احذروا»، ص (٤٨ - ٤٩).

(٢) «ما قبل الدمار» ص (٤٧٥).

(٣) «الخيوط الخفية» ص (١٧٧).

(٤) «احذروا»، ص (٤٩ - ٥٠).

(٥) «السابق»، ص (١٢٦).

سفن ضخمة للاستيلاء عليها[١].

- وللرجل بقلعته الهائلة إدارات، ومعامل، ومصالح، حتىٰ الجوازات، وعنده أجهزة إرسال، وتشويش، وبث، وشل، فلو أراد أن يوقف الإرسال في تلفزيونات الأرض كلها لأوقفها)[٢].

- وقلاعه أو مدنه أماكن مترفة جدًّا؛ لدرجة أن من يعيش هناك قد لا يتمنىٰ مغادرة المكان[٣].

ثم يفشي «السندباد المصري» سِرًّا خطيرًا فيقول: «وقد تكون مفاجأة لقرائي الأحباء أن أقول: إن الدجال كتب بعض مذكراته، وكتب بعض القصص التي تُحوَّل إلىٰ أفلام هوليوودية، أما مذكراته السرية وقصص مغامراته وخططه الظلامية فهو يحفظها بقلعته الهائلة في مكتبة سرية، ويسجلها علىٰ جهاز كمبيوتر بعدما يكتبها بيده.

وقد كتب هذا المتجبر المتألِّه المزوِّر حوالي (١٠ مجلدات) كل مجلد يقع في (٢٠٠٠ صفحة) من القطع الكبير، ووضع علىٰ كل مجلد (خاتمه) وعنونه بعنوان:

- الخمس مجلدات الأولىٰ عنوانها: «عندما أملك الدنيا»!!

- والخمس الأخرىٰ: «يوم يكون الكون في قبضتي والكرة الأرضية مكتبي».. إن الرجل أسرف في أمانيه التي ناوشت الكون كله»[٤]اهـ.

خرافة الأطباق الطائرة

- ثم انتقل بعقليته «السندبادية» الطوّافة إلىٰ الحديث عن «الأطباق الطائرة» قائلًا: «وأقسم لكم باللَّه غير حانث أنهم من هذه الأرض، ومن أبنائها، ولكنهم رجال المسيخ الدجّال، وتلك الأطباق من اختراعه الذي سبق به زماننا بقرون» اهـ[٥].

أقول لهذا الظالم لنفسه: «حنثت يمينك يا سندبادُ فَكَفِّر!».

إن ما سُمِّي بظاهرة الأطباق الطائرة، وشغل الناس رَدَحًا من الزمان؛ قد بان لنا الآن أنه لا يخرج عن كونه «سرابًا» أو «تكلفًا» أو «دجلًا سياسيًا».

- **أما كونه «سرابًا»:**

فما حكاه بعض الطيارين من أنهم رأوا تلك الأطباق الطائرة؛ لا يعدو أن يكون سرابًا خادعًا يظهر نتيجة لما يسمىٰ « الانعكاس الحراري» Temperature Inversion حيث تؤثر حرارة الشمس

(١) وهو هنا يعلل الظواهر المزعومة حول مثلث برمودا بأن وراءها «المسيح الدجال».
(٢) «السابق»، هامش ص (٥١).
(٣) «السابق» ص (٥٣).
(٤) «الخيوط الخفية» ص (٩٤)
(٥) «احذروا»، ص (٥٩).

في الكتل الهوائية الساكنة، فتجعل منها طبقات فوق طبقات، لكل منها حرارتها وكثافتها، فيحدث انكسار ضوئي أو انعكاس ضوئي خلال تلك الطبقات بصورة أشياء في الهواء أو على الأرض[١].

ولما أطلقت روسيا سِرًّا صاروخ «سويوز» حاملًا قمر التجسس «كوزموس ٩٥٥» من قاعدة سرية، ساعدت الأحوال الجوية السائدة في فجر ٢٠ سبتمبر ١٩٧٧م على تشكيل صورة جسم غريب من عوادم الاحتراق الناشئة من النفاثات الخمس الضخمة للصاروخ، فبقيت معلقة ومنتشرة على هيئة قِنديل البحر الهلامي الضخم، فحسبه الناس طبقًا طائرًا، وأطلقوا لخيالهم العِنان في تفسير ما رأوه[٢].

● **وأما كونه «تكلفًا وتلفيقًا»:**

«ففي عام ١٩٦٨م شهد ثلاثون أمريكيًّا في جنوب «دنفر» بأنهم رصدوا طبقًا طائرًا، وبعدما أثار هذا ضجة أوضحت «مسز ديتريش» أن هذا الشيء هو من صنع وَلَدَيْها «توم» (١٤ سنة)، و «جاك» (١٦ سنة) اللذين أحضرا كيسًا كبيرًا من البلاستيك الرقيق الشفاف، وعددًا قليلًا من الشموع الصغيرة، ووضعاها داخل الكيس بطريقة خاصة، فارتفع إلى أعلى بفعل الحرارة المنبعثة من الشموع.

وهذا صبي يعلق جسمًا مستديرًا على أغصان شجرة، ثم يلتقط لها صورًا ويذيعها على أنه رأي هذا «الطبق» يطير متنقلًا بين الأشجار، بسرعة ٢٠ ميلًا في الساعة.

وهذا آخر يعلق عَصَّارةَ ليمون، وآخر يلتقط صورة لمصباح نيون مستدير، وآخر يلصق رأس ماكينة كهربائية على زجاج نافذة ثم يصورها، وينشر صورها على أنها «طبق طائر»[٣].

● **وأما كونه «دجلًا» سياسيًّا:**

فلأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) اعترفت بعد انتهاء ما سُمِّي بالحرب الباردة أنها كانت وراء إشغال الناس بهذا الموضوع[٤] لتحقيق مآرب سياسية.

والذي يلفت النظر أن الموضوع الآن خمد، وهمد، ولا يكاد يذكره أحد، فهل انقرض أهل الفضاء الخارجي الذين كانوا - في زعمهم - يأتون لغزو الأرض واستكشافها، أم أنه حقًّا الدجل السياسي؟!

★ ★ ★

---

(١) «الأطباق الطائرة ومثلث برمودا بين الحقيقة والخرافة» ص (١٥- ١٦).

(٢) انظر: (السابق) ص (٢٥).

(٣) انظر: «السابق» ص (٣٢ - ٣٩).

(٤) ولقد كُتب حتى سنة ١٩٧٨م أكثر من مائة ألف تقرير عما أسموه «الأطباق الطائرة»، وروَّجت المطابع والصحافة لها، كعادتها في مثل هذه الغرائب.

أما «هشام كمال» صاحب كتاب «اقترب خروج المسيخ الدجال» فيدلي بدلوه في هذا الحديث تحت عنوان: «الأطباق الطائرة هي السلاح الجوي للمسيح الدجال».

ثم يذهب إلىٰ أن «الحمار الذي سيمتطيه الدجال ما هو إلا طبق طائر صنعته له الشياطين»(١).

ولم يكتف بهذا حتىٰ قال في موضع آخر: «تفاصيل ما كشفت عنه الشياطين في جلسات تحضير الأرواح عن مجيء المسيح الدجال علىٰ طبق طائر»(٢)، فهل صارت جلسات «تحضير الأرواح» وما تلقيه فيها الشياطين بزعمكم مصدرًا معتمدًا لديكم للإطلاع علىٰ الغيب؟!

● **عود إلىٰ السندباد المصري**

لقد أقسم «السندباد» بالله غير حانث علىٰ ما زعم بشأن علاقة المسيح الدجال بخرافة «الأطباق الطائرة»، وهو يفتخر بأنه رائد الفكرة الذي أحدثها، حتىٰ لتقول مؤسسة سويسرية مزعومة :

(إننا نتحدىٰ العالم كله في قضية أن أول إنسان علىٰ وجه الأرض يكشف هذا السر الكبير عن الأطباق الطائرة، وعن مثلث برمودة، وملكية المسيخ الدجال لهما(٣) هو مفكرنا المصري الكبير«أ. محمد عيسى داود»)(٤).

وتأمل حجم البلية وأنت تقرأ قوله:

«وسبحان الله.. بعد ما نُشر كتابي «احذروا المسيخ الدجال»، وتحدثت فيه عن علاقته بالأطباق الطائرة؛ قال لي أمير عربي كبير صديق: «لا يُنكر ما أتيت به إلا شخصان: إما (جاهل جدًّا) وإما (عميل جدًّا) يعلم جيِّدًا الحقيقة التي أتيت بها، لكن رأسه غالية عليه!!»(٥).

وبعد تأليفه تلك القصص الطريفة من «الخيال العلمي» يتهدد من يكذبه قائلًا: (ومن لم يصدقني فسيكون حاله ومآله كشعب «زرقاء اليمامة»، حينما أبصرت ما لا يبصرون، فأنذرت وحذرت، وكُذِّبت، فكان ما كان مما يمكن أن يتكرر مع مطلع شمس يوم قادم، نسأل الله منه السلامة)(٦).

ويدعي أن أغلب أتباع الدَّجَّال يعيشون في أمريكا، «وله قصر رهيب مهيب لا أدري موضعه بالتحديد، ولكنني بالحدس الإسلامي أقول إنه في فلوريدا».

---

(١) «اقترب خروج المسيخ الدجال» ص(١٥٦)، و«الحرب العالمية القادمة في الشرق الأوسط» ص(١٢٧).
(٢) «السابق» ص (١٥٩).
(٣) «السابق» ص (٤١).
(٤) «ما قبل الدمار» ص (٤٠).
(٥) «الخيوط الخفية» ص (١٥٩).
(٦) «احذروا» ص (٩٨).

ثم يعيِّنُ ممثلين من «هولي وود» يرى أنهم من رجال المسيح الدجّال: «ولي حدسي في أن «برت لانكستر»، و«كلينت إيستوود» من رجاله»، ثم يشير إلىٰ أن الأخير رشَّحَ نفسه لمنصب الرئاسة، ثم تراجع، ويتساءل: « تُرى ممن صدرت الأوامر؟»[١].

ثم يقول: (كذلك السيد(!) الماسوني «آلان ديلون» فكَّر في رئاسة فرنسا، لكن دوره كممثل أكثر إفادة وتأثيرًا، فكان التراجع، تُرى ممن تصدر الأوامر بالتراجع؟)[٢].

ويذهب إلىٰ أن «جورج بوش» الأب أحد عملاء الدجال يتلقى منه التعليمات[٣].

★ ★ ★

خيوط المؤامرة!

يحرص «السندباد المصري» علىٰ إضفاء نوع من الغموض علىٰ «قصصه» الخيالية، فهو يدعي أنه تتبع خيوط المؤامرة من خلال رحلاته المكوكية في أقطار الأرض:

١- فيدعي أنه التقى في السويد بنبيل من الأسرة الحاكمة للمملكة السويدية، وأنه اعترف له فيه صراحة بأن الذي قتل الأمير «شيريب» هو «الملك المنتظر لليهود»، ثم أضاف: «فقط كل المطلوب مني أمام هذا الاعتراف الصريح و الثمين جدًّا أن يكون هذا هو اللقاء الأخير معه شخصيًّا في السويد، وألا يذكر اسمه في كتاب ولا حتىٰ في حديث لي، أما لقاؤنا فيما بعد ففي أماكن أخرى!!»[٤]

٢- ومن السويد أمسكت بخيط غير هذا الخيط ، وفي ألمانيا تواصلت الخيوط، وفي فرنسا تأكدت الخيوط، وكلها مشدودة في النهاية إلىٰ القلعة الرهيبة التي يقترب رأسها أو يشير - بالمعنى الأدق - إلىٰ الولايات المتحدة الأمريكية، لتؤكد الإشارة أن «المخ» «والعقل المدبر» من ها هنا!!»[٥]

٣- .. وصارحتني أسرة ألمانية أن دورًا معيّنة حكومية، وغير حكومية، وسراديب، ودفائن في «السويد»، و«ألمانيا»، و«الأمريكتين»، و«مصر»، و«اليمن»، و«فلسطين»، و«المغرب»، و«الفاتيكان» تشير صراحة إلىٰ كل ما يحدث في هذه الأيام ، وما سيحدث بعدها، ومن بين ثنايا بعض الوثائق التي اطلع عليها رب هذه الأسرة، قال لي: إنكم أيها المسلمون مناط(!) بأعناقكم مسئولية كبرى وهي إنقاذ العالم من أكبر دجال عالمي[٦]..».

(١)، (٢) «احذروا»، ص (١١٧).
(٣) «ما قبل الدمار» ص (٢٤١).
(٤) «الخيوط الخفية» ص (١٣).
(٥) «السابق» ص (١٦).
(٦) «السابق» ص (١٩).

ويَفترض أن بعض الناس ادَّعوا أن الذي أمده بهذه المعلومات عن الدجال هو ذلك الجني الذي قابله وأجرى معه حوارًا، وسجله في كتابه «حوار مع الجني المسلم مصطفى كنجور»، غير أنه يرفض بشدة هذا الادعاء، ويقول: (إن حادث الحوار كان عرضًا، وعندما أخبرت الجني ببعض ما وصلت إليه عن الدجال، فزع وتظاهر بالنوم، ثم طلب تغيير الموضوع، وغيرته لأنني كنت قد بدأت أمسك بأغلب الخيوط في قضية الدجال، ولا حاجة لي أن أسأل جنيًا ولا إنسيًا».[1]

★ ★ ★

أما «فهد سالم» فيجزم بأن الدجّال يزعم أنه مسلم، وأنه يُعطَى الرئاسة في إيران قبل ظهور المهدي، بل يُلَمِّح، ثم يصرح بأنه «محمد خاتمي»، ويسميه: «آية اللّٰه جورباتشوف»[2]. ثم يحدد بدقة موعد خروج المسيح الدجال فيقول: «في ١٥ شعبان ١٤٢٠، الموافق ٢٣ نوفمبر ١٩٩٩ يخرج المسيح الدجّال بفتنته الكبرى؛ حيث يدعي الألوهية، ويظهر المعجزات لفتنة الناس»[3].

وهذا مؤلف «العالم ينتظر ثلاثًا»، يرتضي الغرابَ له دليلًا، فيقول:

«وأنقل بعض كلام العلماء الذي ورد في هذا الموضوع مع أدلة موضوعية تثبت هذا الحديث، أن المسيح الدجّال موجود بيننا الآن، وأنه موجود ماديًّا في مثلث برمودا، أو مثلث الرعب والشيطان كما يقول الغرب»، ثم يسرد أدلته على دعواه؛ وهي:

ـ أنه لا تستطيع غواصة أن تسير في هذا المكان، ولا طائرة.

ـ وجود صورة المسيح الدجّال على ظهر فئة الواحد دولار.

ـ وجود الجن في بيوت المسلمين وإيذاؤهم.

وهذه أدلة مادية تثبت اتحاد المسيح الدجّال مع الشيطان وجنوده لإيذاء المسلمين.

ثم يضيف إلى أدلته:

ـ ما يحدث من مذابح للمسلمين في دول أوربية في البوسنة وغيرها، وكذلك معظم (!) الدول العربية»[4]. اهـ.

★ ★ ★

(١) «ما قبل الدمار» ص (٣٩)

(٢) «أسرار الساعة»، ص (٣٩).

(٣) «السابق»، ص (١٤٦).

(٤) «العالم ينتظر ثلاثًا»، ص (٦٩ - ٧٠).

الفصل الثالث

اضطرابهم بشأن «صدام حسين»

ومن الكتب التي أثارت ضجة كتاب «المسيح الدجّال، قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى»، لمؤلفه سعيد أيوب، ضمّنه خليطًا من النصوص الإسلامية، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، وَجُفر الرافضة، والإسرائيليات، ثم مزجها بتخيلاته وأوهامه الشخصية التي وصفها بأنها تصوراته للأحداث «المنظورة والمقروءة»، و«المرآة التي ينعكس عليها الحدث الذي يتطابق مع دائرة الزمن، أو عالم المشاهدة المنظور الذي ينطبق مع مخزون دائرة الذهن» أو «عالم المشاهدة المنظور الذي ينطبق مع أحاديث عالم الغيب المخبوء الذي أخبر به النبي ﷺ»[١].

والغريب - أيضًا - أنه لم يقتصر على استدلاله بالإسرائيليات، حتى أضاف إليها تفسيرات إسرائيلية حديثة؛ كتفسير دانيال لإيرنسايد، وتفسير أشعيا لناشد حنا، وتفسير حزقيال لرشاد فكري.

ويدعي «سعيد أيوب» أن المهدي المنتظر هو: صدام حسين البعثي التكريتي، وبنى ذلك على تفسيرات لكُتّاب من النصارى المعاصرين قالوا: «ستكون هناك قوتان متضاربتان متنافستان على مركز السيادة في العالم: دول غرب أوروبا والآشوري»، وقالوا: «الفرات هو الحد الطبيعي بين اليهود والآشوري»، وقالوا: «يد اللّه هي التي ستضرب بواسطة الآشوري»[٢]، أما الحِلْف الذي سيكونه فقد قالوا: «ستكون القوة داخل حلفه مكونة من إيران، وسوريا، وليبيا، والسودان، وصُور، وشعوب منطقة الشرق الأدنى، وقبائل دول بحر قزوين، والبحر الأسود، والإسماعيليين، والهاجريين».

لقد حُقَّ لصدام حسين البعثي أن يقع في حيرة، فتارة يقولون هو الآشوري، وتارة هو المهدي المنتظر، وتارة السفياني، وأحسب أن صَدَّامًا لو مات لانهارت كل هذه التخرصات[٣]، ولقال المتشبثون بها يومئذ:

أُمْنِيَةٌ ظَفِرَتْ نَفْسِي بِهَا زَمَنًا وَالْيَوْمَ أَحْسَبُهَا أَضْغَاثَ أَحْلَامِ

---

(١) «المسيح الدجال: قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى»، ص (١٢).

(٢) ومن المحتمل أن يكون «الآشوري المزعوم»، أو صدام حسين قد اطّلع على هذه النصوص، وحسب أنه المهدي المنتظر؛ وقد يشير إلى هذا الاحتمال إعلانه قبل غزو الكويت أنه من أهل البيت، وإلحاحه على استعمال عبارة: «سأحرق نصف إسرائيل»؛ فقد قال رشاد فكري في تفسير حزقيال: «وسيحتل الآشوري نصف إسرائيل في أول أيامه»، وقال ناشد حنا في تفسير دانيال: «وسيستخدم العصا على إسرائيل»، وقال فكري: «وسيغزو أورشليم في حرب النهاية».

(٣) وقد انتهى الآن أمر صدّام باحتلال العراق، وإقصائه عن السلطة، واعتقاله، فهل يثوب العّابثون إلى رشدهم ، أم يبقون سادرين في ظلمات الأماني والأوهام؟

وهذا مؤلف «هرمجدون» يقطع بأن صَدَّام حسين هو «السفياني»[١]، وأن غزوه للكويت وما تلاه هو «فتنة السرَّاء»، وهو الجولة الأولى من الحرب العالمية الثالثة التي يسميها ـ موافقةً لأهل الكتاب ـ بحرب «هرمجدون»[٢].

ثم يتابع صاحبُ «هرمجدون» «محمد عيسى داود» في ما ادعاه من نص في «مخطوطات نادرة» ـ عديمة الأصل والصورة ـ يقول: «وفي عراق الشأم رجل متجبر....و... سفياني، في إحدى عينيه كسل قليل، واسمه من الصدام، وهو صدام لمن يعارضه»، ثم يقول أمين جمال الدين: «والسفياني صدَّام هو السفياني الأول، وسيليه السفياني الثاني المشوَّه وهو ابنه الذي يعمل برصيد أبيه»، «والسفياني صدَّام فيه خير، وشر، فإذا ظهر المهدي ذهب عنه كل خير، وكان شرًّا كله، وحارب المهدي؛ مما يجعل المهدي يأمر بقتله، وتخليص الناس من شره»[٣].

وممن تولى كِبْرَ هذه الظاهرة الدكتور فاروق الدسوقي ـ عفا اللَّه عنه ـ؛ إذ يقول: «السفياني سينتصر على كل من يحاربه، ويملك بعد دخول فلسطين وتحرير القدس مثل مُلك بختنصر ملك بابل القديم، الذي حكم المنطقة كلها»، ثم يقول:

«فهل هذا هو مُلك الرئيس العراقي صدَّام حسين، جابر قلوب الأمة الإسلامية[٤] المنكسرة، الأزهر، سليل الفاتحين، محرر القدس في زمان الإفسادة الأخيرة؟ المبعوث من شاطئ دجلة

---

(١) في حين زعم «فهد سالم» في كتابه «أسرار الساعة وهجوم الغرب»، (أن السفياني زعيم عربي معاصر، يصنعه الغرب ـ الآن ـ؛ ليكون ملكًا للعرب في آخر هذا القرن؛ كما فعلوا مع جده في بداية القرن)، ص (٧٨)، ثم صرح بما ورَّى به ـ هنا ـ في ص (١١٣)، ص (١٣٠)، فقال: إنه ملك الأردن، وإنه «الملك حسين»، ص (١٣٧).
ثم يخترع تفاصيل عجيبة عن أن الملك حسينًا يَبُثُّ جيوشه ـ بعد موت صدام ـ إلى العراق، وإلى المدينة، ويتحول الشعب الأردني إلى عدوٍّ لَدُود، يطالب بمسح العراق من خارطة الوجود) اهـ. ص (١٣٧ ـ ١٣٨).

(٢) «هرمجدون»، ص (١٩).
وقد سلك صاحب «هرمجدون» مسلكًا انتقائيًا في التوصل إلى أن صدام حسين هو السفياني:
فمعَ ضعف الآثار التي استند إليها؛ إلا أنه أثبت منها ما يوافق هواه، وغض الطرف عما يهدم مزاعمه، مثل وصف السفياني بأنه «يخرج من مدينة دمشق»، وأن «أصبعه الوسطى شلاء»، وأن «اسمه عبد اللَّه أو عبد الإله»، وأنه يملك حمل امرأة (أي تسعة أشهر)، وأن «راياته حُمْر»، وأنه «أعور العين أو أخوصُها»، وأنه «مشوه»، وأنه «يهزم الجماعة مرتين» إلخ تلك الصفات التي لا تنطبق على صدام حسين، كما أن صدامًا لا يلقب بالسفياني، ولا يُعْرَف أنه من بني أمية.

(٣) «السابق»، ص (٢٢).

(٤) بل هو كاسر قلوب المسلمين بما عطل من شريعتهم، وقتل من علمائهم، وذبح من شبابهم، وأفنى من شيوخهم وأطفالهم، ونسائهم، وبدد من ثرواتهم، ومكن منهم أعداءهم.
وإن نصرة الإسلام أعلى وأشرف من أن يتولاها بعثي قومي عالماني خاسر، محادٌّ لله ورسوله ﷺ، فمتى نعرف عدونا من صديقنا؟ وإلى متى نهرع وراء السراب الخادع انسياقًا وراء الحماس العاطفي، لقد هلل الناس لصدام وعلقوا عليه الآمال، وكأنه سعد بن أبي وقاص، أو خالد بن الوليد، أو صلاح الدين الأيوبي، وأمس هُرِعنا إلى الخُميني نلقبه بالإمام ، ونبايعه من فوق المنابر، وأول أمس خُدعنا بالمنشورات التي كانت تلقيها الطائرات الألمانية في الحرب العالمية الثانية تبشر المصريين بأن هتلر جاء لتحريرهم من ظلم الإنكليز، فعلقنا عليه الآمال، ولقبناه بسذاجة منقطعة النظير: «الحاج محمد هتلر»!

(تكريت) ليطهر بمائه القُدْسَ من رجاسات اليهود؟»(١).

ويقول - أيضًا -:

«فهو - أي السفياني - من أعظم شخصيات التاريخ الإسلامي؛ إذ يأتي في زمن ضعف الأمة وذلها، فيعزها الله - تعالىٰ - علىٰ يديه بتحرير الأقصى، وتطهيره من رجس اليهود، ومن ثم جاء وصفه بأنه «الجابر» الذي يجبر الله - تعالىٰ - علىٰ يديه قلوب أمة الإسلام المنكسرة، كما جاء وصفه بأنه «الأزهر» لعلو نجمه... وهذا كله ينطبق علىٰ الرئيس العراقي صدَّام حسين»(٢)، ومن ثم فهو يُهْدِي إليه كتابه مخاطبًا إياه:

«إلى فخامة الرئيس العراقي صدَّام حسين، أيها الجابر، أيها الأزهر، قائد أولي البأس الشديد»(٣).

ويذكر في موضع آخر أنه «اكتشف» أن السفياني هو الآشوري، ويقول: «ولما شعرت بخطر شخصية السفياني، وعظم الأحداث والفتن التي تعاصره، رجعت للكتاب المقدس(؟!!)؛ لكي أجمع كل النصوص التي تتحدث عنه أو جُلَّها، وتفسيرها في ضوء القرآن الكريم»، إلىٰ أن يقول: «وإذا بجميع هذه النصوص والأخبار عن هذه الشخصية في الوحيين القديم(!!!) والخاتَم، تتطابق مع واقع الرئيس العراقي المعاصر من حيث الصفات والأحداث»(٤).

تنبيهان:

الأول: اعلم - رحمك الله - تعالىٰ أنه لم يصح شيء في أحاديث السفياني، سواء منها ما كان مرفوعًا أو موقوفًا(٥).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت عنوان السفياني والمهدي: قال محمد بن جعفر: وهي هذه الأحاديث التي نهى أحمدُ إسحاقَ بن داود عن التحديث بها»، وساق الأحاديث(٦).

ولا يبعد أن يكون الرافضة قد وضعوا هذه الأحاديث في شأن «السفياني» تشنيعًا علىٰ بني أمية، ثم تسربت منهم إلىٰ كتب المتساهلين من أهل السنة.

الثاني: حول شخصية «القحطاني»:

اعلم - أصلحك الله - أنه لم يثبت في «القحطاني» المذكور سوى حديث واحد، وهو قوله ﷺ:

---

(١) «البيان النبوي بانتصار العراقيين على الروم والترك، وتدمير إسرائيل»، ص (٨٤).
(٢) «البيان النبوي»، ص (٢٠).
(٣) «السابق»، ص (٥).
(٤) «القيامة الصغرى على الأبواب»، ص (١٦).
(٥) «إتحاف الجماعة» للتويجري (٤٩/١).
(٦) انظر «المنتخب من العلل للخلال» ص (٣٠٣).

«لا تقومُ الساعةُ حتَّىٰ يخرجَ رجلٌ من قحطان يسوقُ الناسَ بعصاه».[(١)]

ومع ذلك قام أحد هؤلاء العابثين بالنفخ في شخصية القحطاني، تارة بالاختراع والافتراء، وتارة بالتقاط مجموعة من الآثار الباطلة من هنا وهناك، حتىٰ الإسرائيليات، ليضخم شخصية القحطاني، ويرسم له دورًا كبيرًا في أحداث آخر الزمن»[(٢)]

★ ★ ★

(١) رواه البخاري (٣٥١٧)، ومسلم (٢٩١٠) ، وغيرهما.

(٢) وكتابه المذكور: «الثمر الداني في ذكر المهدي والقحطاني».

الفصل الرابع

الرَّاجِمُونَ بِالْغَيْبِ الْقَائِلُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]

نورد فيما يلي نماذج من تنبؤات بعض العابثين بأشراط الساعة، وبدون تعليق ـ غالبًا ـ؛ لأنها في قسم كبير منها تَهَاوَتْ، وانهارت حين خيبت الأيام ظنونهم، وأخلفت وعودهم، وصدق الشاعر:

كـلُّ مَـنْ يَـدَّعِـي بمـا لـيـسَ فيهِ فَـضَـحَـتْـهُ شَـواهِـدُ الامـتـحـانِ

فهذا مؤلف كتاب «الحرب العالمية الثالثة بين الإسلام والغرب»[١] يزعم أن المهدي المنتظر سيخرج في صيف ١٩٩١م (١٤١١ـ ١٤١٢هـ)، وأن بداية الحرب القادمة بين اليهود والعالم الإسلامي ستقوم في نهاية ١٩٩٣م، وفيها سيُباد ثلثا اليهود، وأن المسلمين سيحررون فلسطين قبل نهاية القرن القادم (٢٠٠٠م)، وأن الدجال سيخرج سنة (٢٠٠٠م)، وأن موعد قيام الساعة لن يتجاوز سنة ٢٠٣٠م بحال من الأحوال.

ولا يتحرج هذا المؤلف من أن يختم كتابه بقوله: «أرجو أخي القارئ ألا يقسو في الحكم عليَّ إذا حدثت في المستقبل أحداث مختلفة بعض الشيء زمانيًا أو مكانيًا مع ما رويت في هذا الكتاب، فكل ما رُوي من أحداث في هذا الكتاب قمت باستخراجها بأدلة وأسانيد من بطون الكتب، وليست من الخيال أو الوهم الشخصي»[٢]اهـ. كلامه، وصدق الشاعر إذ يقول:

* وعلى المُرِيبِ شواهدُ لا تُدْفَعُ *

وهذا صاحب كتاب «أسرار الساعة» يقول تحت عنوان:

السيناريو المحتمل لتسلسل حوادث الفتن، والله أعلم:

ـ في عام ١٩٩٨ يُشغل الناس باللعب واللهو في أولمبياد باريس، ثم تفاجئهم علامات الساعة الكبرى، وهم في غفلتهم يلعبون...

ـ في ١٩٩٩/١/١ وفي الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٤١٩هـ، يتم ارتكاب العمل الكوني المفزع؛ وهو تفجير المسجد الأقصى، وفي نفس اليوم تصل طلائع القوات الغربية، وتنزل في الأردن، وتحاصر بيت المقدس[٣].

---

(١) وهو كتاب مجهول السند والنسب، طبع سنة ١٩٩٠، منسوبًا إلى د. عبد الناصر مدبولي الحضري، وبدون اسم مطبعة ولا ناشر.

(٢) «الحرب العالمية الثالثة بين الإسلام والغرب»، ص (٥٩)

(٣) «أسرار الساعة»، ص (١٤١)، وما بعدها.

- بعد تفجير الأقصى مباشرة يتم دخول الجيوش الغربية الأردن وفلسطين، وتطوق القدس حماية لليهود، حتىٰ يكملوا بناء الهيكل مكان المسجد(١).

- ويزعم أن المهدي يظهر في يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ محرم ١٤٢٠هـ، ويحدد المدة بين ظهور المهدي ونزول عيسى ﷺ بأنها ثمانية أشهر(٢).

- في أول ربيع الثاني ١٤٢٠هـ، الموافق ١٤/٧/١٩٩٩م ينطلق صاروخ نووي من الخليج إلىٰ أوروبا مستهدفًا الفاتيكان حسب الخطة المرسومة(٣).

- في أول أغسطس ١٩٩٩م الموافق ١٩ ربيع الثاني ١٤٢٠هـ تبسط إيران سيطرتها علىٰ معظم دول الخليج، وبعد ذلك يتم إلقاء قنبلة نووية أمريكية تدمر إيران بعد أن دمرت الخليج(٤).

- في جمادى ورجب وشعبان (أي ١٤٢٠هـ) الموافق من شهر سبتمبر ١٩٩٩م حتىٰ نوفمبر، تبدأ الملحمة الكبرى من مقر قيادة المسلمين في دمشق تحت قيـادة المهدي ﷺ(٥).

- في ١٥ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ٢٣ نوفمبر ١٩٩٩م يخرج المسيح الدجّال بفتنته الكبرى؛ حيث يدعي الألوهية، ويظهر المعجزات لفتنة الناس(٦).

- في يوم الجمعة ١/١/٢٠٠٠م، الموافق ٢٥ رمضان ١٤٢٠هـ تشرق الأرض بنور النبي والرسول العظيم عيسى ﷺ، ينزل في القدس والمسلمون بقيادة المهدي، يحاصرهم الدجّال هناك(٧).

- يدعي أن عيسى ﷺ ينزل إلىٰ الأرض سنة ٢٠٠٠م، ثم يقول: «وهذه النتيجة تكاد تتفق تمامًا مع ما يعلنه ويبشر به أهل الكتاب عن طريق الحساب الموجود في كتبهم، وهو ما يعتقده كثير من الرهبان والقادة الكبار في العالم الغربي، وقد توصلنا إلىٰ ذلك - ولله الحمد - عن طريق الاعتماد علىٰ أحاديث رسولنا العظيم(٨) ﷺ»(٩).

- وعندما يراه الدجّال يهرب من القدس متوجهًا إلىٰ أكبر مطارات إسرائيل، وهو مطار اللد الدولي، ولكن عيسى يلحق به قبل أن يقلع بطائرته، ويقتله قرب باب اللد الشرقي(١٠).

---

(١) «أسرار الساعة»، ص (١٣٦).
(٢) «السابق»، ص (٨٤).
(٣) «السابق»، ص (١٤٦).
(٤) «السابق»، ص (١٤٦).
(٥) ، (٦) «أسرار الساعة»، ص (١٤٦).
(٧) «السابق»، ص (١٤٧).
(٨) وهذا افتراءٌ على رسول الله ﷺ الذي هو بريءٌ من هذه الأكاذيب؛ وأقوى دليل على ذَلِكَ أنّها لم تقع في المواعيد التي حددها هذا الظالم لنفسه.
(٩) «السابق»، ص (٧٠)، وما بعدها.
(١٠) «السابق»، ص (١٤٧).

ـ ويدعي أن وفاة عيسى ﷺ ستكون عام ٢٠٠٧م، وأن نهاية عمر الدنيا ستكون ـ بإذن الله ـ عند طلوع الشمس من مغربها في عام ٢٠١٠م(١).

وأما جرأته على تعيين شخصيات هذه الأحداث فأمر عجيب:

فهو يرى أن «الأبقع» هو ياسر عرفات، وأن الرجل «المشوه» هو الشيخ أحمد ياسين ـ حفظه الله ـ، وأن «الأصهب» حافظ الأسد، وأن «السفياني» هو حسين ملك الأردن، الذي سيبعث جيوشه إلى العراق والمدينة، وأن «صدام حسين» سيقتل في الكوفة(٢)، وأن «عمر البشير» حاكم السودان هو الحاكم العادل المقصود بقول أبي قبيل: «يكون بأفريقية أميرًا اثنتي عشرة سنة، ثم تكون بعده فتنة، ثم يملك رجل أسمر يملؤها عدلًا، ثم يسير إلى المهدي، فيؤدي إليه الطاعة، ويقاتل عنه»، رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن(٣).

أما مؤلف «هرمجدون»:

ـ فهو يرى أن «قنطرة مصر» هي قناة السويس، وهي المذكورة في رواية نعيم بن حماد عن الزهري قال: «إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم أتاهم الرايات الصفر، فيجتمعون في قنطرة أهل مصر، فيقتتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعًا، ثم تكون الدَّبْرة على أهل المشرق»(٤)، وهو يدعي أن الرايات السود المشار إليها في هذا الحديث(؟!) قوات طالبان، وقوات التحالف الشمالي، وأما الرايات الصفر فهي القوات الغربية(٥).

ويقول: (وقد ظهر «الطالبان» حوالي سنة ١٩٩٦م، وتخبرنا الآثار التي جاءت بشأنهم أنه بين بدء ظهورهم وبين ظهور المهدي اثنان وسبعون شهرًا؛ أي ست سنوات). اهـ(٦).

ثم هو يستروح لما روى نُعَيْمُ بن حماد بسنده قال: حدثنا أبو يوسف ، عن محمد ابن عبيد الله بن يزيد السندي عن كعب قال: «علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب، عليها رجل أعرج من كِندة»(٧).

ويجزم بأن المقصود بهذا «الأعرج» الجنرال الأمريكي «ريتشارد مايرز» رئيس هيئة أركان القوات المشتركة في أفغانستان؛ بدليل أنه رآه (مقبلًا على عكازين؛ ليعلن للشعب الأمريكي بدء

---

(١) «أسرار الساعة»، ص (٧٠).

(٢) انظر: «أسرار الساعة»، ص (١٣١، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١).

(٣) «الفتن» (٣١٢/١) رقم (٩٠٣)، وإسناده ضعيف جدًّا.

(٤) رواه نُعيم في الفتن (٢٧٠/١) رقم (٧٧٢) بسند ضعيف عن الزهري..

(٥) «هرمجدون»، ص (٣٤ ـ ٣٥).

(٦) «السابق»، ص (٣١)، ونحن الآن في شهر يناير ٢٠٠٤م، فالمفترض ـ وفقًا لمزاعمه ـ أن يكون المهدي قد ظهر منذ عام ونصف العام.

(٧) رواه أبو نُعيم في «الفتن» (٣٣٢/١)، رقم (٩٥٢)، وهو من مفاريده التي لا يحتج بها.

عمليات القوات المشتركة الجوية، والبرية، والبحرية ضد أفغانستـــان، فقلت: اللَّه أكبر، صـــدقت يا رســـول اللَّه)[١] اهـ، وما أدراك أن رســول اللَّه ﷺ نطق بهذا الخبر أصلًا؟[٢]

وأين رجل مقبل على عكازين من رجل «أعرج»؟، وأين «كِندة»[٣] - بكسر الكاف - من أمريكا، أو حتى كَندا؟

ثم يرجح أن سنة (٢٠١٢م) هي النهاية، وليست بداية النهاية، ثم ادعى أن ظهور المهدي سيكون بعد سنتين أو ثلاث على الأكثر من اليوم.[٤]

★ ★ ★

ويحكي «مبارك البرّاك» عن علماء الكومبيوتر أنه في (١/١/٢٠٠٠ سيقف الكومبيوتر، وهذا يصادف العشر الأواخر من رمضان، فلا طائرات، ولا أموال تستخرج من البنوك، ولا اتصالات حتى الثكنات العسكرية تشكل خطورة، والكهرباء والصرف الصحي يتعطل... وعلى كل حال، وقع هذا، أم وجدوا له حلًّا، فإننا على يقين أن الحضارة ستنتهي)[٥].

ثم يدعي أن أنسب تفسير لحديث «فتنة الدهيماء» اضطراب أحوال العالم كله بسبب مشكلة «الصفر» في الكمبيوتر[٦].



---

(١) «هرمجدون» ص (٣٦)

(٢) فها أنت ترى أن وَلَعَه بمطابقة الآثار الواردة في أشراط الساعة - ولو كانت ضعيفة أو باطلة - على الأحداث المعاصرة؛ قد استولى على عقلة ، وسيطر على وجدانه، واستحوذ على حواسه، وأخذ منه كل مأخذ، حتى ليصدق فيه قول أبي نواس:

مضى بها ما مضى من عقل شاربها ... وفي الزجاجة باقٍ يطلب الباقي

فكلُّ شيء رآه ظنه قَدَحًا ... وكلُّ شخصٍ رآه ظنه الساقي

(٣) وهي قبيلة يمانية معروفة ينسب إليها الصحابي الجليل المقداد بن عمرو الكندي ﷺ، والشاعر الجاهلي: امرؤ القيس، والفيلسوف الكندي.

(٤) «السابق» ص (٧٠).

(٥) «العقلانيون ومشكلتهم مع أحاديث الفتن»، ص (٧).

(٦) انظر: «السابق»، وقد مر عام ٢٠٠٠ بدون ما توقعوه، واتضح أن «مشكلة الصفر» ضُخِّمت بدون مسوغ حقيقي لها.

الفصل الخامسُ

التَّطْبِيعُ مَعَ التَّنْجِيمِ وَالْمُنَجِّمِينَ وَزَلْزَلَةُ ثَوَابِتِ الْعَقِيدَةِ

لم يكتف العابثون بأشراط الساعة بالرجم بالغيب، وقَفْوِ ما ليس لهم به علم، حتىٰ أضافوا إلىٰ ذلك قاصمة أخرى، وهي «تطبيع العلاقات مع المنجمين»، والاحتجاج بقول بعضهم بعد حكاية مدحه والثناء عليه بأنه «أعظم فلكي في التاريخ»[(١)]!

يقول صاحب «أسرار الساعة»:

«في نهاية السابع من عام ١٩٩٩م سيهبط مَلِك الفزع العظيم من السماء، وسيحكم المريخ - كوكب الحرب - لصاحب الحق، وسيكون دمارًا مروعًا وخرابًا هائلًا، تلك هي واحدة من أكثر نبوءات «نُوشترادامُوس» فزعًا ورعبًا كما يقول المحللون، وهي - طبقًا لمعظم التفسيرات - تعني أن كارثة ضخمة ستحيق بالكرة الأرضية في شهر يولية ١٩٩٩م، وقد حدد «نُوشترادامُوس»، والذي يعتبرونه أعظم فلكي في التاريخ، بأن شرارة الكارثة الأولى ستنطلق من الشرق الأوسط»[(٢)]، إلىٰ أن يقول:

«وما بين نبوءات «نستراداموس» في عام (١٥٥٥م)، ومخططات واينبرغر عام ١٩٩٧م، تمت جميع المؤامرات الساعية لتدمير العالم الإسلامي، وغزوه في عام ١٩٩٩م، ومثقفو هذا العالم لا يزالون يرددون ببلاهة عجيبة: «نحن ضد فكر المؤامرة»، أما قادة العالم الإسلامي فيكفيهم خدعة أن يرأسهم في طهران الدجّال نفسه[(٣)]، والمعروف أن الرقم (٩) هو نهاية الأرقام التي تبدأ بالرقم (١) وهو حسب الفلسفة الفيثاغورثية يعني النهاية، وهو الرقم المقدس عند الطائفة البهائية التي

---

(١) بل منهم من تقبل حتى « حكايات عجائز اليهود»؛ فقد جاء في محاضرة لداعية فاضل بعنوان «النظام العالمي الجديد»: «عندما أعلن عن قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م؛ دخلت عجوز يهودية على أم ذلك الداعية، وهي تبكي، فلما سألتها عن سبب بكائها، وقد فرح اليهود، قالت: «إن قيام هذه الدولة سيكون سببًا في ذبح اليهود»، ثم يقول الداعية: إنه سمعها تقول: إن هذه الدولة ستدوم ٧٦ سنة، وعندما كبر رأى أن الأمر قد يتعلق بدورة المُذَنَّب «هالي»؛ إذ إن مُذَنَّب «هالي» - كما يقول الداعية - مرتبط بعقائد اليهود» اهـ. من «زوال إسرائيل»، ص (٥٦)، وانظره، ص (٧٨).

وهذا المذنب «هالي» هو الذي قال فيه أبو تمام في بائيته المشهورة:

وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ

وهل التنجيم إلا ربط أحداث الأرض بحركات النجوم، والأفلاك؟!

وهذا المذنَّب يقترب من الأرض كل ستة وسبعين عامًا، وكان آخر ظهور له عام ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، ويسميه بعض الغربيين «عميل الشيطان» تشاؤمًا به ، وزيادة في الكفر؛ لأنه ظهر في عام ١٤٥٦م، وهو عام فتح القسطنطينية وإشراقها بنور الإسلام.

(٢) «أسرار الساعة»، ص (٣٤).

(٣) يقصد رئيس إيران الحالي محمد خاتمي؛ كما صرح بذلك، ص (١١٣-١١٤).

خرجت في إيران، واستقرت في فلسطين.

وحسب علوم الجيومترا المشتقة من الكابالاة اليهودية، فإن الرقم (٩) هو رقم الملوك الغزاة. وفي اليهودية - أيضًا - فإن الرقم (٩) هو رقم الخراب»[١].

ويقول في موضع آخر: السفياني أو الهاشمي[٢] هو المقصود بـ«ملك الجنوب»، الذي يتعاون مع ملك الروم، كما في تنبؤات اليهودي الفلكي «نستراداموس»[٣].

يقول صاحب «هرمجدون» فيما يشبه الدعاية لهذا المنجم: (إن المنجم الفلكي اليهودي الشهير «ميشيل نوستراداموس» الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي، وتوفي سنة ١٥٥٩م، والذي كتب رباعيات تنبؤية لأمور مستقبلية وقعت وفق ما أخبر به تمامًا[٤].

فقد أخبر في رباعياته عن الحرب العالمية الأولى والثانية، ووقعتا فعلًا في التاريخ الذي حدده، كما أخبر عن الثورة الفرنسية، وعن ظهور جبابرة سماهم بأسمائهم؛ منهم «هتلر»، «ونابليون»، وتنبأ بنشوب الحرب العالمية الثالثة، وأنها مدمرة، وستكون في أوائل هذا القرن، وأنها نووية، وسيكون فيها حرب بيولوجية)[٥].

تلك أمانيهم!

ولا يغني عن قائل هذا الكلام قوله: «هذا العرَّاف - وهو طبيب في الأصل - لم يأتِ بما أتى به من باب الكهانة أو العرافة، وإنما هو قد اطلع علىٰ مخطوطات إسلامية[٦] حصل عليها وورثها من أجداده اليهود،

---

(١) «أسرار الساعة»، ص (٣٥).

(٢) وهو يقصد هنا الحسين ملك الأردن الراحل.

(٣) «أسرار الساعة»، ص (١٣٢)، وتأمل كيف طوعت له نفسه أن يستدل بتنبؤات ذلك اليهودي المنجم بلا أدنى تحرج!

(٤) حذار أن تسلم بهذا التهويش وهذا الهراء، واعتصم بدلالة النصوص القطعية المعصومة على أن الغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ، فما ذكره «محامي نوسترادموس» لا يعدو أن يكون دعاية رخيصة يمهد بها لتمرير مجازفاته وتخرصاته، وهو هنا يسلك مسلك الطَّغام من العوام الذين يولعون بحكاية الغرائب دون إخضاعها لتمحيص وتفتيش، وما هو إلا صدى لأصوات الغربيين الذي يتشدقون بهذه المزاعم، بدليل أنه لم يقرأ رباعيات «نوستراداموس» في لغتها الأصلية بنفسه، تلك الرباعيات التي كتبت بلغة مراوغة تحتمل الشيء ونقيضه، كما هي عادة المنجمين والكهان والعرافين، ثم تأتي أهواء الشراح والمفسرين والمترجمين لتخضعها لرغباتهم، ثم يأتي دور العوام الذين يتداولونها بشغف ويزيدون عليها ما شاءوا حتى يصير الشبر ذراعًا ثم أميالًا، وفراسخ، ومع أن الواقع يكذب المنجمين، ويخلف وعودهم غالبًا؛ إلا أن العوام لا يتناقلون ذلك، وإنما يعلق بذاكرتهم القليل النادر مما يقع وفق تنبؤاتهم إما اتفاقًا، وإما لأنه مما اختطفته الشياطين من أخبار السماء، والله تعالى أعلم، وانظر ص (٧٩ - ٨٢).

(٥) «هرمجدون»، ص (١٣)، وانظر ص (٧٧).

(٦) ويقول - أيضًا -: «إن ما جاء به «نوستراداموس» هو من تراثنا المنهوب، وميراثنا المسلوب، الذي سقط منا فالتقطوه، وجهلناه، وعلموه» اهـ. من «هرمجدون»، ص (١٤)، وهو هنا يمارس - بمهارة - هوايته المفضلة في «خداع النفس»، والاستخفاف بعقول الآخرين، ومكابرة الحقائق، على طريقة: «عنزة، ولو طارت»؟ فانظر: كيف كذبوا على أنفسهم!

كما ذكر هو في مقدمة «رباعياته»؛ لأن هذه دعوى لا دليل عليها أولًا، ثم إن صح أنها مخطوطات إسلامية فأي نوع من المخطوطات هي؟ أهي أحاديث مرفوعة صحت عن المعصوم ﷺ، وهي لا تُتَلَقَّى عن عرَّاف يهودي، أم هي مصنفات أدبية أو تاريخية أو حتىٰ كتب بدع وتنجيم وكهانة وسحر صنفها أجداد «نوسترادموس» تحت تصنيف «مخطوطات إسلامية» لمجرد أنها كتبت باللغة العربية؟!!

ولقد زاد صاحب «هرمجدون» الطين بِلَّة حين زعم أن أجداد «نوسترادموس» «كانوا أمناء لمكتبة المسجد الأقصى، فأخذوا هذه الموروثات الإسلامية، فكانت مصدرًا رئيسيًّا له في تنبؤاته بجانب موروثات اليهود والنصارى، والتي فيها بعض العلم الذي لم يغير ولم يبدَّل»[1]اهـ. فيا لَلهول! ويا لَلعار! أتنسب إلىٰ المسلمين في ذروة عزهم ومجدهم أنهم استأمنوا اليهود قتلة الأنبياء، ومحرفي الكلم من بعد مواضعه، وأشد الناس عداوة للذين آمنوا علىٰ تراثهم الذي هو لباب دينهم، ونتاج عقولهم، ونسل قلوبهم، وكنز علومهم، وعِرض أمتهم؟!

وهل يجرؤ مسلم؛ يعرف قدر هذه الأمة وقدر علمائها الربانيين، وولاتها الصادقين؛ علىٰ أن يجوِّز أن يفوت شيء من سنة الصادق المصدوق ﷺ جميع علماء الأمة المحمدية، في حين يحتكره يهودي كاهن عراف منجم حتىٰ إن الأمة لتحتاج إليه، وتتسول منه، وتتطفل عليه؟!

لقد تكفل اللّه سبحانه وتعالىٰ بحفظ الذكر، فقال ﷻ:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وحفظ الذكر يشمل حفظ السنة كما بيَّنَ العلماء، فلا يمكن أن يفوت جميعَ الأمة شيء من سنة رسول اللّه ﷺ ، حتىٰ المخطوطات التي فقدت لا يترتب علىٰ فقدها ضياع ما فيها من سنة رسول اللّه ﷺ كجامع سفيان الثوري، وموطإ ابن أبي ذئب، ومسند بقي بن مخلد، لأن أحاديث هؤلاء الأئمة مدونة في كتب السنة التي بأيدينا.

إن علماءنا العاملين الربانيين هم فقط الذين يحتكرون حق القِوامة علىٰ تراثنا بحمله وتبليغه مَن بعدهم مصداقَ قولِ رسول اللّه ﷺ : **«يَحمِلُ هذا العلمَ مِن كلِّ خَلَفٍ عدولُهُ، ينفُونَ عنهُ تحريفَ الغالينَ، وانتحالَ المبطلينَ، وتأويلَ الجاهلينَ»**[2].

★ ★ ★

(١) «هرمجدون» ص (١٤).

(٢) رواه بنحوه البيهقي في «السنن» (١٠/٢٠٩) مرسلًا، لكنَّه رُوِي موصولًا عن جماعة من الصحابة، وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي، وانظر: «تحقيق المشكاة» (١/٨٢) رقم (٢٤٨).

نوستراداموس وأحداث سبتمبر ٢٠٠١م

نشرت مجلة «أون لاين» في العدد (١٤) - نصف أكتوبر ٢٠٠١م، مقالًا أنحت فيه باللائمة علىٰ وكالة «رويتر» للأنباء لأنها التي نشرت شائعة تنبؤ «نوستراداموس» بأحداث ١١ سبتمبر، ونسبت إلىٰ «جون هوج» أحد المتخصصين في دراسة نبوءات «نوستراداموس» قوله: « يبدو أن صحافيي وكالة رويتر نسوا أبسط قواعد الصحافة المحترمة، ألا وهي التأكد من الحقائق قبل نشرها، الأمر الذي لم يفعله أحد»، وقد دعا الوكالة الشهيرة إلىٰ الاعتذار عن خطئها، وتكذيب ذلك الخبر فورًا.

وذكرت المجلة أن طالبًا يدعى «نيل مارشال» كان قد صمم موقعًا له علىٰ شبكة الإنترنت باسم «التحليل النقدي لنوستراداموس» وقد نشر فيه عددًا من الرباعيات ونسبها إلىٰ الفلكي الشهير، وحرص علىٰ أن يجعلها ذات لغة مراوغة ليسخر من فكرة التنبوء بالمستقبل، ووصل إلىٰ استنتاج أن نصوص «نوستراداموس» يمكنها أن تعني كل شيء، وقد لا تعني شيئًا علىٰ الإطلاق.

ويقول محرر موقع «الأساطير الحضارية» Urban Legends : «إن لغة نوستراداموس تجعل نصوصه قابلة للتفسير علىٰ أي وجه، يمكنك أن ترى فيها الحروب أو المآسي، أو الانتصارات، أو أي شيء تريد أنت رؤيته»[1]. ثم تسخر مجلة Online من «نوستراداموس» وأشباهه، وتتساءل: لماذا يستخدم المنجمون دومًا تلك اللغة المراوغة؟ إذا كانوا بحق قادرين علىٰ كسر حاجز الزمن والإبحار عبر المستقبل؛ فلماذا لا يقولون لنا ما سيحدث بوضوح وصراحة دون أن «يوجعوا دماغنا»؟!

---

(١) ومن أجل ذلك تكرر استغلالها دعائيًا في الحرب النفسية:

- ففي أوائل عام ١٦٤٩م قام خصوم الكاردينال «مازاران» بنشر طبعة من «قرون»؛ وهو اسم كتاب «نوستراداموس» الذي ضمَّنه نبوءاته؛ بعد أن أضافوا إليها رباعيتين ضده، من أجل الحد من نفوذه في البلاط الفرنسي.

- وفي عصر «نابليون» تم إضافة رباعيات زائفة أُطلق عليها «نبوءات أوليفارس»، تبعتها: «تنبؤات أورفال»، ونُسِب كلاهما إلى «نوستراداموس».

- وخلال الحرب العالمية الثانية طهر أكثر من خمس طبعات من كتاب «قرون»، وكان كل طرف يقتصر على ذكر ما يفيده، ويتجاهل سائر الرباعيات.

- بل استغل وزير الإعلام النازي «جوبلز» نبوءات «نوستراداموس» في الحرب الدعائية أثناء الحرب العالمية الثانية، إذ انتقى منها بعض الرباعيات التي يمكن أن توحي بعظمة ألمانيا وحتمية انتصاراتها، وأثبتها في نشرة دعائية خاصة، ترجمت إلى الفرنسية، والإنكليزية، والهولندية، وكانت تلقيها الطائرات النازية على المدن الأوروبية التي كانت فزعة تترقب: ماذا سيفعل النازي بجيوشه الجرارة التي اجتاحت النمسا، وبدأت تتأهب لغزو سائر أوروبا؟

قابلت المخابرات البريطانية الموقف بسخرية، سرعان ما تحولت إلى عكس ذلك حينما لاحظت التأثير السلبي لتلك المنشورات على الأوروبيين، مصداق قول بعضهم: «إذا ما ضعفت النفس؛ استسلمت للخرافة»، وهنا حشدت المخابرات البريطانية كل ما يمكن جمعه من نبوءات «نوستراداموس» مما يمكن أن يفسر على أنه هزيمة لألمانيا في منشورات ترجمت إلى الألمانية لإحباط الشعب الألماني، ثم إلى الفرنسية والهولندية لرفع معنويات سائر الشعوب الأوروبية) اهـ. بتصرف من «روايات مصرية للجيب - كوكتيل ٢٠٠٠» ص (٧٣ - ١١٤).

كشف حقيقة التنجيم والمنجمين

لقد انبهر صاحب «هرمجدون» بتنبؤات اليهودي اللئيم، وراح يلتمس المعاذير والمسوّغات ليضفي عليها المصداقية كما رأيت، مع أن الغالب كذب المنجمين، والصدق فيهم نادر، ولا أدري كيف خاض هذا الإنسان في مستنقع «المنجم اليهودي»، وأهمل تفسير من لا ينطق عن الهوى ﷺ لظاهرة صدقِ بعضِ أقوال الكُهّان أحيانًا، وهو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : إن نبي اللَّه ﷺ قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ؛ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِئَةَ كَذِبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ»[١].

وعن أم المؤمنين عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت: سأل أناسٌ النبي ﷺ عن الكُهَّان، فقال: «إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ»، فقالوا: يا رسول اللَّه، فإنهم يُحَدِّثون بالشيء يكون حقًّا، قال: فقال النبي ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيُقَرْقِرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ كَذِبَةٍ»[٢].

وعن معاوية بن الحكم رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: «وإن منا رجالًا يأتون الكهان»، قال: «فَلَا تَأْتِهِمْ»[٣].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: إنما نهى عن إتيان الكُهَّان لأنهم يتكلمون في مُغَيَّبات قد يصادف بعضها الإصابة، فيخاف الفتنة على الإنسان بسبب ذلك؛ لأنهم يُلَبِّسُونَ على الناس كثيرًا من أمر الشرائع، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصديقهم»[٤] اهـ.

وعن بعض أمهات المؤمنين عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فقد كَفَرَ

---

(١) رواه البخاري، (٤٨٠٠)، (٥٣٧/٨).
(٢) رواه البخاري، (٧٥٦١)، (٥٣٥/١٣).
(٣) رواه مسلم، (٢٠/٥ - نووي).
(٤) «شرح النووي»، (٢٢/٥).
(٥) رواه مسلم، (٢٢٣٠) (١٧٥١/٤).

بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[١].

وعن عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا قَالَ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[٢].

قال الإمام الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «إنما يدخل الشبه علىٰ الناس في أمر المنجمين من قبيل أنهم يرون المنجمَ يُصيب في مسألة تقع بين أمرين؛ كالجنين الذي لا يخلو من أن يكون ذكرًا أو أنثى، أو المريض الذي لا يخلو من أن يصح أو يموت، والغائب الذي لا يخلو من أن يقيم بمكانٍ أو يئوب.

ومن شأن الناس أن يحفظوا الصوابَ؛ للعُجْبِ به والشَّغَف، ويتناسوا الخطأ؛ لأنه الأصل الذي يعرفونه، والأمرُ الذي لا يُنكرونه، ومن ذا الذي يتحدث بأنه سأل المنجمَ فأخطأ؟! وإنما التحدث بأنه سأله فأصاب[٣].

والصواب في المسألة إذا كانت بين أمرين قد يقع ـ أحيانًا ـ للمعتوه والطفل، فضلًا عن المتلطف الرفيق، والقولُ في إصابة المنجِّم كقول الشاعر في الطيرة:

تَعَلَّمْ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا ... عَلَى مُتَطَيِّرٍ وَهِيَ الثُّبُورُ
وَشَيْءٌ قَدْ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ ... أَحَايِينًا وَبَاطِلُهُ كَثِيرُ

وإن وُجِد لمن يَدَّعي الأحكامَ إصابةٌ في شيء، فخطؤه أضعافُه، ولا تبلغُ إصابتهُ عُشْرَ مِعْشاره، وتكون الإصابة اتفاقًا كما يظن الظانُّ المنافي للعلم المقارن للجهل الشيء، فيكونُ علىٰ ظنه، ويخطئ فيما هو معلومٌ أكثرَ عُمُره، ولا يُقَالُ: إن هذه إصابة يُعَوَّل عليها، ويُرْجَع إليها، بل إذا تكررت منه الإصابة في قوله، وكثر الصدقُ في لفظه، والصحة في حكمه، ولم يُخْرَمْ منه إلا الأقلُّ، حينئذ سلمت له هذه الفضيلة، وشُهِدَ له بهذه المعجزة، ولا فرق بين المنجم والكاهن؛ إذ كلُّ واحدٍ منهما يدَّعي الإخبارَ بالغيوب، وكيف يُسَلَّمُ للمنجمين ما يَدَّعونه، وأحدهم علىٰ التحقيق ما يعرف ما حدث في منزله، ولا ما يصلح أهلَه وَوَلَدَهُ؟ بل لا يعرف ما يُصلحهُ في نفسه، ويؤثر عنه أن يخبر بالغيب الذي لم يُؤْتِهِ الله أحدًا، ولم يستودعه بشرًا، إلا لرسول يرتضيه، أو نبيٍّ يصطفيه»[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/٤٢٩).

(٢) أخرجه البزَّار؛ كما في «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٣٠٤٤)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح، خلاف إسحاق بن الربيع، وهو ثقة» ا هـ. من «مجمع الزوائد» (٥/١١٧)، وصححه في «صحيح الجامع»، رقم (٥٣١١).

(٣) وهذا ما فعله بعض العابثين بأشراط الساعة؛ فإنهم أهملوا ذكر ما خابت فيه ظنون «نوستراداموس»، وما أكثره، واقتصروا على ذكر القسم الآخر، وراجع ص (٧٧ ـ ٧٨).

(٤) «القول في علم النجوم»، ص (١٩٢ ـ ١٩٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ:

«ولما أراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسافر لقتال الخوارج عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين! لا تسافر؛ فإن القمر في العقرب؛ فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هُزِمَ أصحابُك - أو كما قال - فقال عليٌّ: بل أسافر ثقة بالله، وتوكلًا علىٰ الله، وتكذيبًا لك؛ فسافر، فبورك له في ذلك السفر، حتىٰ قتل عامّة الخوارج، وكان ذلك من أعظم ما سُرَّ به؛ حيث كان قتاله لهم بأمر النبي ﷺ»(١)

إلى أن قال رحمه الله: «وكذلك أيضًا الاستدلال علىٰ الحوادث بما يستدلون به من الحركات العلوية، والاختيارات للأعمال: هذا كله يُعلم قطعًا أن نبيًّا من الأنبياء لم يؤمر قط بهذا؛ إذ فيه من الكذب والباطل ما ينزه عنه العقلاء الذين هم دون الأنبياء بكثير»اهـ(٢).

❁ ❁ ❁

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٧٨ - ١٧٩).

(٢) «السابق» (٣٥/١٨٢)، وانظره (٣٥/١٩١- ١٩٧).

الباب الثَّالث

مَظَاهِرُ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

الْفَصْلُ الأَوَّل — سرد مجمل لبعض مظاهر الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

الْفَصْلُ الثَّانِي — وقفة مع «الدجال» المصري.

الْفَصْلُ الثَّالِث — اسْتِدْلَالُ العابثين بِمَا لَا يَصْلُحُ دَلِيلًا.

الْفَصْلُ الرَّابِع — تحديد عمر الدنيا.

الفصل الأول

سرد مجمل لبعض مظاهر الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

- **يتخذ العبث بأشراط الساعة مظاهرَ عدةً، ويتجلى في عدة مجالات:**
- أما أقبح مظاهر العبث بأشراط الساعة: فاختلاق الكذب، وافتراء القصص، وإطلاق العِنان للخيال الجامح كما فعل كبيرهم ودجالهم «محمد عيسى داود».
- ومن ذلك: تكذيب النصوص الصحيحة، وزعم أنها كلها موضوعة.
- ومنه: إبطال معاني الأحاديث الصحيحة بالتأويل الفاسد(١).
- ومنه: الخوض بغير علم في قضية «تحديد عمر الأمة».
- ومنه: الغلو في محاولة مطابقة ما ورد في النصوص علىٰ وقائع وأحداث معينة، أو علىٰ أشخاص معينين رجمًا بالغيب.
- ومنه: محاولة توظيف النصوص لخدمة مآربهم، والتعسف في تفسيرها بما يتوافق مع أغراضهم.
- ومنه: الاستدلال بما لا يصلح دليلًا؛ كالإسرائيليات القديمة والحديثة، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، ومرويات الرافضة، وحساب الجُمَّل، وما يُسَمَّى علم الحروف(٢).

وبالجملة فكل من حادَ عن «الوسطية» في هذه القضية إلىٰ جفاء المنكرين، أو إلىٰ غلو المثبتين، فقد تورط في جريمة القول علىٰ الله بغير علم، والعبث بأشراط الساعة.

- **ومن العبث بأشراط الساعة:**

تكلف بعضهم اصطناع هذه الأشراط، وإيجادها في الواقع عَنْوة، حتىٰ إن من مُدَّعِي المهدية مَن يغير اسمه واسم أبيه، أو يدعي الانتساب إلىٰ آل البيت الشريف،

متناسين أن «الْمُنْتَظَرَ» تصنعه المهدية؛ لكنه لا يصنعها، ولا يصطنعها.

- **ومن العبث بأشراط الساعة:**

الابتهاج بانتشار الفساد والظلم في الأرض، وتمني ذلك؛ بحجة أن هذا يعجل بخروج المهدي

---

(١) وممن جمع رذيلتي التأويل الفاسد، والتكذيب أتباعُ المهدي الجونبوري؛ فقد كانوا يحاولون جهدهم أن يطبقوا جميع الأحاديث الواردة في المهدي على مهديهم المزعوم؛ فإن تعذر ذلك: فإما أن يؤوِّلوا الحديث بما يوافق توجهاتهم تأويلًا سخيفًا باردًا، وإما أن يردوه بالكلية؛ فقد قال لهم «الجونبوري»: «كثر الخلاف في الحديث، ويصعب تمييز الصحيح من السقيم؛ فالذي يوافق كتاب الله ـ تعالى ـ، ويوافق أحوالي؛ فاقبلوه»، انظر: «فرق الهند»، ص (٢٤٨).

(٢) بل من العابثين من ضم إلى مصادره في التلقي «ما تقوله الشياطين في جلسات تحضير الأرواح» كما زعم صاحب كتاب «اقترب خروج المسيخ الدجال» ص (١٥٩).

الموعود[١]، مع أنه تعالىٰ قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

أَيُّهَا الْعَابِثُونَ: بَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا!

فإن تَوَقُّعَاتكم تبعث أحيانًا علىٰ الإحباط، وتسوء المسلمين، وتؤذي مشاعرهم الإيمانية، وتُدخل الحَزَنَ في قلوبهم، خاصة وأنها توقعات مبنية علىٰ شفا جرف هار من الظنون والخيالات، فأحرى بها أن تُنْبَذَ نَبْذَ النواة، ولا شك أن هذه الكتابات تُصَادِمُ سنة النبي ﷺ في بعث الأمل في النفوس، فأين قوله ﷺ: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»، من ذلك الذي يدعي أن (الجفر) المزعوم؛ الذي يستمد منه كثيرًا من دعاواه، يخبر بأن «الهيكل سَيُعَادُ بناؤه»[٢].

وذاك الذي يحدد بالسنة والشهر واليوم موعد تفجير اليهود للمسجد الأقصى ـ صانه اللَّه من كل سوء ـ، وأن الهيكلَ يُبْنَى علىٰ أنقاضه[٣]، وثالث يزعم أن الغربَ سيحتلُّ تركيا، ويسترجع القسطنطينية عام (١٩٩٩م) لمدة أشهر، ورابع يخالفه، ويقول: «بل يحتمل أن يرتد جميع الأتراك عن الإسلام، ويتنصَّرون، مما سيتطلب فتح القسطنطينية مرة أخرى»[٤]، وخامس يستدل بحديث منكر فيه: «أن الروم سيثبون علىٰ من بقي في بلادهم من العرب فيقتلونهم، حتىٰ لا يبقى بأرض الروم عربي ولا عربية، ولا ولد عربي؛ إلا قُتل»[٥]، وسادس يقول: «فحصار العراق قد أعقبه حصار الشام (فلسطين)، وقد يمتد الحصار قريبًا إلىٰ سوريا ولبنان، واللَّه أعلم»[٦].

- **ومن العبث بأشراط الساعة:**

محاولة توظيف النصوص لخدمة مآربهم، والتعسف في تفسيرها بما يتوافق مع أغراضهم.

- **ومنه: الغلو في محاولة مطابقة ما ورد في النصوص علىٰ وقائع وأحداث معينة، أو علىٰ أشخاص معينين رجمًا بالغيب.**

ومن رواد هذا المنهج: (أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري)

مؤلف كتاب «مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية»

الذي تكلف فيه عند تطبيقه بعض أحاديث النبي ﷺ علىٰ المخترعات الحديثة وتنزيلها علىٰ وقائع هذا الزمان، وإن كان وُفِّق في بعضها[٧]، علىٰ أنه شحن الكتاب بالأحاديث الضعيفة دون

---

(١) كما يفعل الروافض قبحهم اللَّه.

(٢) «المفاجأة»، ص (٣١٦).

(٣) «أسرار الساعة»، ص (١٣٤ - ١٣٦)، وانظر «خدعة هرمجدون» ص (٥٧ - ٦١).

(٤) انظر «الحرب العالمية القادمة» ص (١٢٢).

(٥) «هرمجدون»، ص (٧١).

(٦) «السابق» ص (٢٥)

(٧) مثل كثرة الأمراض التي لم تكن معروفة، وتبرج النساء، وتقليد الكفار، ونحو ذلك.

تنبيه علىٰ ضعفها، لمجرد أن متنها يوافق ما يرمي إليه من المطابقة المزعومة.

ومع أنه يُلقب بالمحدث[١] الحافظ؛ إلا أنه صوفي قبوري غالٍ، يغي علىٰ الدعوة الوهابية السلفية التجديدية، وينبز أهلها «بالقَرْنيين»[٢]، ويجازف في رميهم بالعظائم[٣]، فاللَّه طليبه وهو حسيبه.

وقد ذكر الشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رحمه اللَّه تعالىٰ - أن الشيخ حمودًا التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ رد علىٰ كتاب الغماري المذكور بكتاب أسماه: «إيضاح المحجة في الرد علىٰ صاحب طنجة»[٤].

ومن تكلفه تفسيره حديث: **«لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي علىٰ الدِّينِ ظاهرينَ»** الحديث، وفيه: «ببيتِ المَقْدِسِ، وأكنافِ بيتِ المقدسِ»؛ بأن هذا تحقق في المصريين مع الإنكليز والفرنسيين واليهود والأمريكان، وأن الحديث تحقق بالاتحاد بين مصر وسورية في (الجمهورية العربية المتحدة)، إلىٰ أن قال: «وكل هذا آتٍ قريب، وهو يدل علىٰ قرب خروج الدجال اليهودي الأعور الكذاب، وعلى أن الأمة المصرية هي التي ستفوز بقتاله وقتال جنده اليهود لعنهم الله»، وذهب إلىٰ أن اللَّه تعالىٰ «سيظهر لهم كرامة كلام الشجر والحجر، فيقول الشجر والحجر للمؤمن: يا عبداللَّه هذا كافر ورائي فتعال فاقتله، والمؤمن من جيش مصر والاتحاد العربي» اهـ[٥] بتصرف.

تنبيه:

ومن سلك مسلك الغماري المذكور في تكلف تأويل بعض النصوص - ولو كانت ضعيفة لا تثبت - وتنزيلها علىٰ المكتشفات الحديثة:

* فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري - حفظه اللَّه - في رسالَتَيْهِ: «اللقطات في بعض ما ظهر للساعة من علامات» و«الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة»، وتعقبه فيهما الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته: «تنبيهات علىٰ رسالتين للشيخ أبي بكر الجزائري»، وبيَّن فيها ضعف معظم أحاديث الرسالتين المذكورتين، وردَّ ما حوَتاه من التأويل المتعسف.

---

(١) انظر ص (٨٨).

(٢) فهو ينسبهم ظلمًا وعدوانًا إلى (قرن الشيطان)، المذكور في الحديث عن نجد: «هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان» رواه البخاري، والصواب أن المقصود بنجد هنا بادية العراق ونواحيها، وانظر الجواب المفصل عن هذه الشبهة في (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) ص (٤٩٦ - ٥٠١)، و(دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) ص (١٨٥ - ١٩٢).

(٣) كقوله: (واحتل القرنيون الحجاز، وهم أعداء أهل المدينة الشريفة لمجاورتهم سيد الخلق وأفضل الرسل صلوات اللَّه وسلامه عليه، فتراهم يضيقون عليهم، ويعاملونهم بما يحملهم على مفارقتها والخروج منها مرة أخرى لتخرب) ا هـ. من «مطابقة الاختراعات العصرية» ص (١٢٧).

(٤) «الصحيح المسند من دلائل النبوة» ص (١١).

(٥) «مطابقة الاختراعات العصرية» ص (٥٤ - ٥٥).

* وكذلك الدكتور فاروق الدسوقي الذي قال: «إن الذي أولجني (بهذا) الباب، ووضعني في مدينة هذا العلم هو فضيلة الشيخ العالم الحافظ أحمد بن الصديق الغماري. . . وذلك بكتابه القيم الرائد السابق لعصره: «مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية» فهو الرائد الأول في عصرنا في مجال علم مطابقة النصوص علىٰ الأحداث»[١].

● ومن رواد (الغلو) في المطابقة:

شكري أحمد مصطفى (١٩٤٢ - ١٩٧٨م)

زعيم الخوارج الجدد، وإمام ما أسماه (جماعة المسلمين).

كتب رسالة (التوسمات) وكان مما تضمنته: الكلام علىٰ واقع المسلمين، وواقع جماعة الحق - التي هي جماعتهم بزعمهم - وظهور المهدي.

ومما جاء فيها: [«النصوص تؤكد أن جماعة الحق اليوم أصبحت وشيكة، من الدجال ونزول عيسى ابن مريم، ونرجو اللّٰه أن نكون خَلَفًا من حوارييه....».

«وإشارات كبيرة تؤكد أننا سندرك عيسى ابن مريم، وأننا جماعة الحق التي تستحق الخلافة في الأرض علىٰ هدي النبوة، ونرجو اللّٰه أن يجد فينا خَلَفًا من حوارييه».

«. . ونحن جماعة الحق في آخر الزمان تشملنا الآيتان: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، و﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾».

«فقد كلفهم اللّٰه - أي جماعة آخر الزمان - سبحانه وتعالىٰ - من الناحية القدرية التي يعلمها، والتي يريدها؛ بما لم يكلف به صحابة النبي ﷺ، حيث سوف يتم علىٰ يد جماعة آخر الزمان ظهورُ الإسلام علىٰ كافة الأديان والملل، ويُعبد اللّٰه لا يُشْرَكُ به شيئًا[٢]، ولا يبقى بيت من وبر أو مدر إلا أدخله اللّٰه هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، ويتم اللّٰه قدره ونعمته علىٰ عباده، وينتصر هو ورسله وحزبه علىٰ العالمين، ويمكِّن لهم في الأرض كما وعد بذلك»] ا هـ[٣].

«لهذا وغيره كان أعضاء هذه الجماعة يجزمون بأن قائدهم شكري هو مهدي هذه الأمة

---

(١) «القيامة الصغرى على الأبواب» (١/ ١٥)، وقد أثنى في نفس الموضع على سعيد أيوب صاحب كتاب «المسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى»، ومحمد عيسى داود صاحب كتابَيْ «احذروا المسيخ الدجال يغزو العالم من مثلث برمودا»، و«الخيوط الخفية» قائلًا: «فكل منهما رائد في مجاله، وبقية المكتوب عن المسيح الدجال حديثًا عالة عليهما، وإقرارًا بالفضل لله - تعالى -، ثم لصاحبه أقول:
إن المؤلِّفَيْنِ الفاضِلَيْنِ - وبخاصة الثاني - قد فتحا أمامي آفاقًا جديدة في علم أشراط الساعة بإزالة بعض علامات الاستفهام حول مطابقة بعض نصوص الوحي: قرآنًا وسنة بالأحداث المعاصرة) ا هـ. (١/ ١٥) وإن مما يؤسف له أن ينخدع هذا الفاضل صاحب «القضاء والقدر» رسالة الدكتوراة التي حصل بها على جائزة الملك فيصل، لمثل «محمد عيسى داود» الصائم عن علوم الشريعة، والذي يبرأ منه العلم الشرعي براءة الشمس من اللمس!

(٢) الصواب: شيءٌ.

(٣) «الحكم بغير ما أنزل اللّٰه وأهل الغلو» لمؤلفه محمد سرور زين العابدين، ص (٢١٥ - ٢١٦).

المنتظر، ولن تستطيع السلطة قتله، وسوف يذهب كل جهد تبذله في هذا السبيل أدراج الرياح، لأن اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ سوف يحفظه ليجاهد اليهود والنصارى، ويرفع رايات النصر في كل صُقْع من أصقاع العالم الفسيح، ويظهر اللَّه به دينه علىٰ كافة الأديان والملل، ويمكّن له في الأرض ما شاء أن يمكن.

. . . وكان أعضاء الجماعة يؤكدون أنه لو تم إعدام قائدهم لوجب عليهم إعادة النظر بتصورات ومفاهيم الجماعة....»[1].

تعليق، واستطراد

إن تعليق «وجوب إعادة النظر بتصورات ومفاهيم الجماعة» علىٰ «إعدام قائدهم» سوأة فكرية، وعورة منهجية خطيرة، ولماذا يأتي التصحيح دائمًا بعد فوات الأوان؟

ولا يتقون الشر حتىٰ يصيبهم ولا يعرفون الأمر إلا تدبرا

ولماذا لا نُخْضِع الفكر والمناهج للفحص والتفتيش ونحن مازلنا في دار (الامتحان)، حيث توجد فرصة بل فرص للمراجعة والتصحيح واستدراك الخطإ قبل الانتقال إلىٰ دار (ظهور النتائج)!

وإلى متى ستظل الدعوة الإسلامية تدفع ثمن استبداد بعض فصائلها بالرأي في غيبة عن الرّقابة العلمية الشرعية؟

إن هذا النمط العجيب من التفكير ليستدعي من الذاكرة قولَ إمام فتنةٍ من المتأولين: «إننا ـ واللَّه ـ نعلم أن بين يدي اللَّه موقفًا يسألنا فيه عن أعمالنا، ويحاسبنا عليها، ولكن نسأل اللَّه ـ إن كان لنا هوى، أو مقصدنا لغير وجهه الكريم ـ أن يُخزيَنا، ويُبِينَ باطلَنا علىٰ رءوس الأشهاد، وأن يفسد مساعينا ولا يسددها» ا هـ.

سبحان الله! «لقد حجّرتَ واسعًا»، أليس اللسان الذي تلفظ بهذه الدعوة العديمة الفقه، هو نفس اللسان الذي كان يمكن أن يدعو بالعفو والعافية من الهوى، ويسأل اللَّه الذي لا يُخَيِّبُ راجيَه، ولا يَرُدُّ داعيَه ـ أن يُرِيَه الحق حقًّا، ويرزقه اتباعه، ويريه الباطل باطلًا، ويرزقه اجتنابه؟! ولماذا نتأسى بالذين قال اللَّه ﷻ فيهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢]، وننسى هَدْيَ مَن هديُه خير الهدي ﷺ الذي عاد رجلًا من المسلمين قد خَفَت ـ أي: سكن وسكت ـ فصار مثل الفرخ، فقال له رسول اللَّه ﷺ: **«هل كنتَ تدعو بشيء أو تسأله إياه؟»** قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنتَ معاقبي به في الآخرة، فعَجِّلْهُ لي في الدنيا، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«سبحانَ اللَّه لا**

---

(١) «السابق» ص (٢١٦).

تُطِيقُهُ أو: لا تستطِيعُهُ، أفلا قُلْتَ: اللهمَّ آتنا في الدُّنيا حسنَةً، وفي الآخرةِ حسنَةً، وقنا عذابَ النَّارِ؟» قالَ: فدعا اللهَ له، فشفاه[١].

الْعُجْبُ وَالِاغْتِرَارُ بِالظُّنُونِ

ومع عبث هؤلاء القوم بأشراط الساعة، وقولهم على الله بغير علم، نجدهم موقنين بهذه الأفكار، جازمين بها، حتى يقولَ أحدهم:

«أستطيع أن أحلف ـ ولا أستثني ـ أن ملاحم آخر الزمان؛ والتي تبدأ بالحرب العالمية الثالثة والأخيرة «هرمجدون» ـ قد كشرت عن أنيابها، وشمَّرت ساعديها، وكَشَفَتْ عن ساقيها»[٢]، ويشكو من أنه لم يسلم من «شَغْبِ الصبية[٣]»؛ أي معارضيه؛ فهم يستقصرون أفهام مخالفيهم، ويسخرون ممن لا يتقبل خرافاتِهِم، ويَشُكُّ فيها.

فهذا صاحب «أسرار الساعة» يصف المنكرين عليه بالمرجفين، والمتشككين، ويقول: «لقد كان الواقع المعاصر والمعاش شاهدَ إثباتٍ على صحة كل ما ورد في هذا الكتاب من روايات وأحاديث[٤]؛ ولهذا تمكنتُ بتوفيق الله من إزاحة الستار عن أكثر الأسرار خطورةً؛ إنها أسرار النهاية وقيام الساعة؛ لقد تفككت أمامي ـ وبكل سهولة ـ أكثر الرموز المستعصية في روايات الفتن والملاحم وأشراط الساعة، لقد رأيت أمامي خيوط المؤامرة، وكشفتُ أبعادها السرية والعلنية؛ ولهذا سيجدُ القارئ في هذا الكتاب تحديدَ الزمان والمكان للملاحم، ويجد أسماء بعض قادة الفتن في آخر الزمان وزعماء آخرين، والجميع قادة سياسيون معاصرون، ولكن الرسول ﷺ قد وصفهم لنا[٥]»... إلخ.

ثم يُطْرِي كتابه قائلًا:

«ولا أريد أن أُطِيلَ، فهذا الكتاب بين أيديكم، وقد كفيتكم الرد عليه بأفصح لغة علمية، وهي لغة الأرقام، وبأقوى وأصدق المواعيد وهي التاريخ، وليس على المرجفين أو المتشككين إلا الانتظار لعدة شهور فقط[٦]، وتظهر الحقيقة أمام الجميع، إما مع الكتاب أو ضده، فعليهم الصمت والترقب

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٨٨) (٤/ ٢٠٦٨).

(٢) «هرمجدون»، ص (٧)، وانظره ص (١١٩)؛ حيث قال: «أحلف، ولا أستثني أن أولى جولاتها بدأت بالفعل»، وقد دافع عن هذا «القَسَم» مستدلًا بقَسَم بعض الصحابة على أن ابن صياد هو الدجال، فانظر الرد عليه في «فتح الباري»، (١٣/ ٣٢٥ ـ ٣٢٧)، و«كشف المكنون في الرد على كتاب هرمجدون» ص (١٠٧) وما بعدها.

(٣) «هرمجدون»، ص (٤٧).

(٤) مع أنها أحاديث، وروايات ضعيفة، أو موضوعة، أو لا أصل لها، أو إسرائيليات، أو شيعيات، أو كهانة، وتنجيم، واعتماد على حساب الحروف.

(٥) «أسرار الساعة»، ص (١٥).

(٦) وقد انتظرنا أضعاف المدة التي استمهلنا إياها، وانكشف زيف أقواله، ولم يحدث من تنبؤاته شيء!

حتىٰ لا يحرموا غيرهم من فائدة مرجوة قبل ظهور آية الدخان، أو يظهر الدجّال في شخصيته المزعومة...»[١] اهـ.

ويحاول أحدهم أن يروج لأفكاره بالإشارة إلىٰ «قرينة» وصفها بأنها «معتبرة عنده»، وهي أن رجلًا لا يعرفه أخبره أنه رأى رسول الله ﷺ في رؤيا يبتسم له، ويعطيه كتاب «عمر أمة الإسلام»[٢]، وذلك قبل صدور الكتاب بتسعين يومًا[٣].

❀ ❀ ❀

(١) «السابق»، ص (١٦).
(٢) راجع فصل «سلطان المنامات»، في كتابي «المهدي» ص (١٩٣ - ٢٣١)؛ لتعرف مدى حجية هذه القرينة، وانظر: «فتح الباري» (١٢/٤٠٤).
(٣) «هرمجدون»، ص (٥٦).

الفصل الثاني

وقفة مع «الدجال» المصري

إن هذا الصحافي يتيه ويفتخر بأنه أول من «تشرف» باختراع بعض الهذيان المتعلق بالمسيح الدجال، والأطباق الطائرة(١)، ويثبت لنفسه أن لديه «براءة اختراع»(٢) هذه الأفكار، يقول محمد عيسى داود في جريدة «صوت آل البيت»:

(لم يعرف العالم كله - بفضل الله - كاتبًا أو مفكرًا قال بنظرية وجود المسيح الدجَّال في مثلث برمودة، وأنه صاحب الأطباق الطائرة سوى الكاتب الصحفي محمد عيسى داود...) إلىٰ أن يقول: (ومعلوم للقاصي والداني أنني بصفتي الكاتب محمد عيسى داود عضو نقابة الصحفيين، والمستشار الإعلامي لمؤسسة أمل الإعلامية، الصاحب الأوحد لفكرة أن المسيح الدجَّال هو مخترع الأطباق الطائرة، وأن له قلعة بمثلث برمودة، ولا يوجد كاتب في كل الدنيا قال بذلك غيري، وقد تعدى «فلان...» بسرقة نتائج أبحاثي، وانتحلها لنفسه، وذلك ثابت بكتابين له تم إبلاغ النيابة العامة عنهما، وهي التي قامت بتحريك الدعوى ضده بتهمة السرقة الفكرية...)(٣) إلخ.

❊ ❊ ❊

---

(١) وقد تقدم بيان دعاواه مفصلة، ص (٣٤ - ٤٤)،وكلامه عن «الأطباق الطائرة» ص (٤٠).

(٢) وقد انتقدت المؤسسة التي أسماها «المصرية السويسرية» والتي تتبنى كتبه «قيام البعض بالسطو على فكرة مفكرنا الكبير دون إشارة إلى (الأولية) أو (براءة الاختراع) أو (الانفراد) اهـ. من «ما قبل الدمار» ص (٣٨).

(٣) عدد النصف الأول من نوفمبر ٢٠٠٠م، الموافق شعبان ١٤٢١هـ، ص (٥)، وباستطلاع أعداد من الجريدة، يتضح أنها شيعية التوجه؛ حيث تنشر مقالات من مفهوم شيعي، بما في ذلك سب بعض الصحابة الكرام - رضي الله عنهم -، والترويج لمفاهيم رافضية منحرفة، وقد أُوقف إصدارها مؤخرًا.

قل لي: من يصفق لك؛ أَقُلْ لك: من أنت

● فممن صفق له[١] الدكتور فاروق الدسوقي، وتخبطُه في أشراط الساعة مما عُرف واشتهر.

● وممن صفق له صاحب «الثمر الداني في ذكر المهدي والقحطاني»[٢] الذي لقبه «بالأستاذ البحاثة»، ثم قال: «وإني لأتقدم بالشكر للأستاذ محمد عيسى داود علىٰ ما تضمنته كتبه من نفائس المخطوطات وأعجبها، كما أشكر فيه تواضعه الجم، وأمانته العلمية في النقل...»[٣]

وإن تعجب فعجب قوله: (أورد الأستاذ محمد عيسى داود في ثنايا ما أورد من مخطوطات أسماء صريحة قد يستغربها البعض ويظنها موضوعة - ولا أظن الرجل ممن يكذب علىٰ اللّٰه ورسوله، وهو من آل البيت المحمدي - بل ويرد عليهم ما أورده «نوستراداموس» الفلكي العراف الفرنسي المشهور من أسماء صريحة مثل: هتلر ونابليون وغيرهما الكثير...»[٤].

● وممن صفق له: آلاف المعجبين بشطحاته:

يقول: (يكفيني فخرًا مئات بل آلاف القراء الذين يؤازرونني لعلمهم بالحقيقة، ويكفيني فخرًا شهادة الدكتور فاروق الدسوقي، الذي شهد لي بأني رائد هذا المجال، وصاحب الفكرة، ومن عداي عالة عليَّ من الهواة والمقلدين)[٥] اهـ. بتصرف.

وهو هو الذي وصف من يرفضون «اختراعاته» بأنهم «الأغبياء والضالون»[٦].

وفي مقدمة كتابه «الخيوط الخفية» يقول بعدما ذكر أن كتابه «احذروا المسيخ الدجال» أثار ضجة كبرى، وأنه استقبل مئات الخطابات: «وأحمد اللّٰه ﷻ أنه لم يأتني خطاب واحد فيه إنكار لما أوردت من معلومات إلا خطابان من مئات الخطابات، وأعذر صاحبيهما لقصور الفكر والتفكير».[٧]

ووصف أحد منتقديه بأنه: «يتهجم بسوء أدبٍ علىٰ مفكرٍ مرموق»[٨].

ويصف كتبه بأنها: «أعلى توزيع لكتب في الدنيا»[٩].

---

(١) انظر نص عبارته ص (٦٦).
(٢) راجع ص (٤٧).
(٣) «الثمر الداني» ص (١٠٣).
(٤) «السابق» ص (١٠٨).
(٥) «صوت آل البيت» عدد شعبان ١٤٢١هـ.
(٦) «احذروا»، ص (١٤٢).
(٧) «الخيوط الخفية» ص (٩).
(٨) «ما قبل الدمار» ص (١٢٩).
(٩) «السابق» ص (١٣٧).

ويصف نفسه بأنه: «واحد من ندرة امتلكوا ملكة التحليل الدقيق هبة من الله وصقلًا لها بجهد»(١).

ويقول «كان كتاباي «احذروا المسيخ الدجال» و«الخيوط الخفية» هما أول بحثين علىٰ مستوى العالم يقدمان للبشرية جمعاء هذه الحقائق مدعومة بأدلتها العلمية والعقلية والمنطقية والدينية»(٢).

خدعوه، فقالوا

سرد «السندباد المصري» قائمة من المعجبين بكتبه وأفكاره، وهاك بعضَ أقواله:

ـ أما الأستاذ الدكتور عبد الخبير عطا أستاذ العلوم السياسية فاعتبرها «مراجع لطلبة الماجستير، والدكتوراة».

ـ والصديق السفير الدكتور عبد المنعم جبريل يرى «أن العالم الإسلامي لم ير من مائة عام كتبًا بأهمية كتبي».

ـ أما اللواء الطيار المقاتل أنور أبو خطوة فقال: «إنني أبصم بأصابعي العشرة علىٰ دقة وخطورة ما جئت به في كتبك، وياليتنا نفهم».

ـ أما الأستاذ المفكر حسن جميعي فقال: «كتاباك (احذروا)، و(الخيوط) يزنان أعظم ثقلًا(!) من مكتبتي العامرة التي جمعتها علىٰ مدى أربعين عامًا»(٣).

ـ كتاباي قال فيهما الناشر الأستاذ أحمد يحيى: «هما كتابا القرن».

ـ وقال سفراء ووزراء وكبار ومثقفون: «حرام ألا تعطيك مصرُ ـ وَدَعْكَ من أمة النائمين ـ جائزتها التقديرية»، وكان ردي: «لم أكتب لجائزة إنما كتبت حبًا في ديني وأمتي الإسلامية، وبلدي مصر والمصريين، وتحذيرًا من خطر بصَّرَني اللَّه به».(٤)

وبعد أن ذكر جملة من المنبهرين بفكره، والمعجبين بكتبه؛ قال: «بعد هؤلاء الأعلام لا آبه بالحشرات والطَّغام بَلْهَ اللئام(٥)»، يقصد منتقديه.

أما هؤلاء المعجبون به، المُثْنُونَ عليه وعلى «فكره»؛ فمرحبًا بهم إذا تكلم كلٌّ في تخصصه، لكن أين هم من «أهل الذكر»؟ وهل فيهم فقيه أو محدث أو أصولي أو مفسر؟!

★ ★ ★

(١) «السابق» ص (١٣٨).

(٢) «السابق» ص (٤٦).

(٣) «ما قبل الدمار» ص (٧٦).

(٤) «السابق» ص (١٢٩)، وإنما أوردت هذه النقول لندرك حجم الكارثة، ومدى كثافة الأمية الدينية!

(٥) «أسرار الهاء في الجفر» ص (١٣١).

انْعِدَامُ التَّوْثِيقِ الْعِلْمِيِّ

● **ومن مظاهر ذلك:**

تلك الكتب التي صنفها محمد عيسى داود، وملأها بالخرافات والهذاءات، وشحنها بالروايات المكذوبة، وجهر في صراحة يُحْسَد عليها بميوله الشيعية[1]، واعتماده على مصادر الشيعة المزعومة؛ كالجفر، وغيره، ثم مارس الدجل «العلمي» ـ إن جاز التعبير ـ بإيهام القراء بأن هناك مخطوطات «بالجملة» هي مصدر معلوماته، ثم يحكي عن مصادره «الموثوقة» ـ في زعمه، وهي أحوج شيء إلى التوثيق ـ أمورًا يحتاج من يصدقها إلى أن يكون غبيًّا بدرجة كافية حتى تنطلي عليه.

يا نعايا «البحث العلمي»

أقيموا عليه مأتمًا وعويلًا!

يقول ـ مثلًا ـ تحت عنوان «نقطة على حرف» بعد أن أورد كثيرًا من خيالاته[2] حول «المسيح الدجال»: (قد يسأل القارئ الحبيب: وكيف اهتديت إلى كل هذه المعلومات بلا مصادر؟!

وأقول: بل هناك مصادر، ولكن القاعدة الذهبية معروفة لكل خبير وسائل: **«لا يُسأل الكاتبُ والمفكرُ عن مصادره، فقد يكون الضر في ذكرها أبلغ من النفع، وسد الذرائع (؟!!) مقدم على** جلب المنافع».

ثم أخطر الأمور وأقوى المصادر ـ التي لا قبلها ولا بعدها ـ استفتاء اللّه ﷻ، والتضرع إليه ـ جل في علاه ـ للإجابة وبيان ما خفي من الأمور، ثم الأخذ بالأسباب كما أخذ ذو القرنين بسياحته في أرض الله، والأخذ بمفاتيح العلوم، وأعلاها أسماء اللّه الحسنى ﷻ، والاجتهاد في «القراءة الواعية» ثم «استقراء الأحداث»، و«رفع درجات حدة الحدس والاستبصار» ثم «التقدير»،

---

(١) انظر نماذج من غلوه في علي ﷺ، وآل البيت ـ رضي اللّه عنهم ـ في كتابه «المفاجأة»، ص (٣٢ ـ ٥٦)،

وتأمل قوله تحت عنوان: «إهداء كبير جدًّا، لكبير جدًّا» في مقدمة كتابه «ما قبل الدمار» ص (٨): «إلى رجل مصر.. الملقب في النبوءات الكريمة بـ (صاحب مصر)..

صاحب المعالي والفخامة (م/ح ....).

سليل المجد السامق .. ابن بيت النبوة...

العسكري، ذو البأس الفولاذي.. الدبلوماسي الصدوق..!؟

إلى أن قال: «وفي جفر الإمام علي بن أبي طالب ـ كرّم اللّه وجهه ـ جدنا وجد المؤمنين: إن صاحب مصر مكتوب له النصر، وممنوع من الغدر »الخ.

ويبدو أن (م/ح ـ العسكري) هو مهدي الرافضة الموهوم محمد بن الحسن العسكري، فإن صح هذا؛ فلست أدري لم هذا «التلغيز» في اسمه؟!

(٢) انظرها ص (٣٤ ـ ٤٤).

وتحليل الأحداث تحليلًا دقيقًا، واستبطان المعلومات، ومحاولة سبر غورها «بالتأمل»، وفتح المغاليق بالمفتاح القـرآني العظيم الذي أوصى به رب العزة ﷻ : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤].

وحبذا بعض المغامرات بيقين التوفيق من اللَّه ﷻ ، وعقيدة أن الآجال لا يملكها أحد سوى اللَّه ﷻ، وأن الأقلام رفعت، والأحبار جفت، والصحف طُويت، والمقادير تمت.. ثم ما أحلى الخلوة مع الفكرة!!

وهي ليست حالات من السلبية المطلقة كما يتوهم السذج!!

إنها عناصر إيجابية جدًّا وخلَّاقة بالنسبة للمفكر.. إنها (فعل وحركة) و(انطلاقات إلىٰ عوالم أخرى) يرد منها المرء بفكر وعلم ووعي جديد.

وهي «جهاز استقبال لخواطر» يمكن أن يقف أمامها التحليل العلمي والفلسفة عاجزَيْن..

وكثير من «فكري» «ومضات من البرق» و«استنارات وإلهامات فجائية» إن لم أتداركها بالتسجيل أو التدوين تصبح بَدَدًا بلا بقاء!!..) اهـ[١].

ويقول في سياق التسويغ لمنهج «حاطب الليل»:

وأنا مع القاعدة التي تقول: (لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)، ومع هذا فإنني أيضًا مع أي أثر أو حكمة ليس لها إسناد، وروايتها هي عهدة علىٰ من نقلنا عنه، باعتبار أن(لنا فائدة الحكمة، وعليه تبعة الرواية أو الكتابة)[٢]اهـ.

ويتكلم «السندباد المصري» ناعيًا علىٰ الذين يقتصرون علىٰ الاستدلال بالأخبار المسندة، ويتحرون الصحة فيها، وكأن ما يفعلون «تحصيل حاصل»، أما هو فكأنه تمثل قول القائل: «ما للناس لا يتبعوني؟ .. ما هم بمتبعيَّ حتىٰ أبتدع لهم غيره»[٣]، فمن ثم قال: «ولو أني اعتمدت مبدأ ألا أكتب إلا ما له إسناد، وتم توثيقه من قبل؛ فظني أني أحرث في أرض محروثة، إلا أن يكشف اللَّه لي ﷻ بعض أزهار أو ثمار لم يبصرها الراءون قبلي، فهنالك يكون تمام جدي وسعدي»[٤]اهـ.

إنـي وإن كـنـت الأخـيـرَ زمـانـه   لآتٍ بما لم تـسـتـطـعـه الأوائـلُ

★★★

(١) «ما قبل الدمار» ص (٥٦٩ - ٥٧٠)، «احذروا المسيخ الدجال يغزو العالم من مثلث برمودة»، ص (١٨٣).

(٢) «الجفر» ص (١٢٨ - ١٢٩)، وهذا تسطيح للقضية، حيث إن استدلاله بهذه «الحِكَم» والآثار يشمل - ولا شك - أخبار المستقبل الغيبية التي لا تتلقى إلا من الوحي المحفوظ، وانظر ص (٨٥، ٨٨).

(٣) اقتباس من أثر صحيح موقوف على معاذ ﷺ، رواه أبو داود (٤/٢٠٢)، والآجري في «الشريعة» (٤٧، ٤٨)، والحاكم (٤/ ٤٦٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٣٢، ٢٣٣)، و الفريابي في «صفة النفاق» رقم (٤١)

(٤) «أسرار الهاء في الجفر» ص (١٢٩).

هوس المخطوطات

يتشدق «محمد عيسى داود» باستناده إلىٰ مخطوطات نادرة[١]، انفرد بالاطلاع عليها دون سائر خلق الله، ولا يمكن لغيره أن يحصل عليها، أو يطالبه بإثبات وجودها في الحقيقة، وهاك بعض تصريحاته:

١- وفي بقايا مخطوط نادر يحوزه أحد الأثرياء العرب المقيمون(؟!) دائمًا في ألمانيا - وقد طالعت بعض فقراته - لرسالة قصيرة اسمها «الشرر في خبر شر البشر» لعالم مسلم اسمه (الكامل بن ريح البر) من علماء القرن الخامس الهجري، كان يقطن ببغداد، وله مؤلفات عدة حازها التتار وملوك الغرب...[٢]

ثم لا يفوته أن يؤكد: (أن صاحب هذا المخطوط يرفض حتىٰ مجرد تصويره)[٣].

٢- (هذه الرواية سمعتها من عالم من أرض «اليمن السعيد» اسمه حيدر بن عبد اللّٰه ابن سلام بن شاري، يمتلك مخطوطات رهيبة، يقول إنها تعود إلىٰ مئات السنين، بل منها ما يعود في أصوله إلىٰ (٧٠٠) عام قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، وهو لا يُطلع عليها أحدًا إلا خاصة الخاصة، وهو من سكان «ريدة» المليئة بيهود اليمن، وهو لا يزال علىٰ قيد الحياة، ويبلغ المائة وعشر سنوات)[٤].

وبعدما ذكر أن أسرة الدجال كانت تعبد وثنًا علىٰ صورة البقرة، وأن أم الدجال مولدة من زنا المحارم، من زوجها المولد من زنا المحارم، وأنه من مواليد الحيض، وأن الشيطان جامع أمه مع أبيه.. إلىٰ آخر خيالاته، ثم يتبجح بقوله:

٣- «إن هذا الكلام لا أقوله من عنديات نفسي.. إنه مذكور في نقوش ومخطوطات صخرية في بلدة «إربد» بالأردن، ومع الزمن سُرقت النقوش والصخور الأثرية التي عليها هذه المدونات وغيرها، ولا يعلم أحد أين اختفت أو ذُهب بها!! لكن بقيت الرواية في أذهان بعض العلماء الذين تواتروها عن أجدادهم بالشام، وأنها كانت معروفة في أزمنة السابقين حكايةُ ولدٍ جاء بعد ثلاثين سنة زواجًا بلا إنجاب، وتواتروا أنه كان «معيب العينين» منذ الميلاد..

.. ولأن ولدها - أي أم المسيح الدجال - لا يرضع منها أصيبت باحتباس اللبن مما سبب لها حالة من التسمم! ماتت علىٰ إثرها»[٥].

(١) «المفاجأة»، ص (٣٠٥)، (٦٤٤)، وقد قال القاري في «المشرب الوردي في مذهب المهدي»: «وقد صرح الإمام ابن الهمام بعدم جواز النقل من غير الكتب المتداولة؛ سواء العلوم الأصلية، والفرعية»، نقله عنه في «خواطر دينية»، (١٩/٢).
(٢) «الخيوط الخفية» ص (٩٨).
(٣) «السابق» ص (٩٩)
(٤) «السابق» ص (٣٢).
(٥) «الخيوط الخفية» ص (٢٧).

وتحت عنوان: «عندما تكلمت المخطوطات» يقول:

٤- ومن عدة مخطوطات من أثمن وأندر ما يكون على وجه الأرض يمتلكها أحد العلماء بالقدس الشريف - يمكن أن نواصل الرحلة عبر الماضي حتى نصل إلى الحاضر.

ثم طفق يروي كيف كان جبريل «يتردد على الطفل (الدجال) وهو في تلك الجزيرة...»(١)، ثم قال:

«كل ما كتبته في الفقرة الآنفة بعنوان: «عندما تكلمت المخطوطات» هو من خلاصة عدة مخطوطات أثرية وجدت بسرداب تحت أرض مزارعين فلسطينيين، مدونة باللغة الآرامية القديمة من قبل مبعث موسى عليه السلام بحوالي أربعة قرون، وهي - والله أعلم - على ما يبدو أنها مما أملاه (إبراهيم) عليه السلام في وادي القدس... ودوَّن المخطوطات على ورق كورق البردي رجل ذكر أن اسمه «آزاد بن حارم بن صافور» حضر نبي الله إبراهيم عليه السلام، وسأله في فتنة «الرجل الدجال الخطير»(٢).

٥- «وهـذه المخطوطات توارثها أحفاد الرجل، وكانوا يعيدون كتابتها بالآرامية حتى زمان المسيح عليه السلام، فأخفاها أحفاد الأحفاد، وسألوا المسيح عليه السلام عما أخبر به إبراهيم عليه السلام، فأكَّد لهم الخبر.

وشاء الله عز وجل أن يعثر مزارع فلسطيني على هذه المخطوطات والبرديات، فسلَّمها لعالم فلسطيني جليل بالقدس، أعلمنا بما فيها بعدما فك طلاسمها وعباراتها؛ لأنه متخصص في النقوش الآرامية القديمة وعدة لغات ميتة، ولا يزال يحتفظ بها في سرداب بمنزله القديم بالقدس، وكنيته (أبو باسل عز الدين نور) للتوقي والتخفي، أما اسمه الحقيقي وكنيته الحقيقية؛ فالله وحده يعلم ذلك»(٣).

وفي كتابه «الجفر» يتحدث عن مخطوط عجيب، عبارة عن مجموعة وريقات بدار الوثائق بأنقرة بتركيا كان معنونًا ب (٣٦٦٤/ تراث المدينة) لعالم مجهول يقال إنه كان في القرن ٣هـ.... ويذكر أنه ائتمنه على النقل منه (أحد العلماء الذين عاهدتهم على كتمان اسمه)(٤)، ومن الواضح أنه - بعدم إثبات صورة واحدة (لأيٍّ من مخطوطاته الموهومة، وقطعه الإسنادَ إليها - يريد أن يقول: «لا تسألوا شاهدًا على وجودها غيري»!

وفي كتابه «المهدي المنتظر على الأبواب» أطلق لخياله العنان، وأخذ يختلق قصصًا خرافية مملَّة

(١) «السابق» ص (٣٣).
(٢) «السابق» ص (٣٨).
(٣) «السابق» ص (٣٨ - ٣٩).
(٤) «أسرار الهاء في الجفر» ص (١١٦).

تتعلق بمخطوطاته الموهومة، ويحكي مغامراته أو مغامرات أبطال القصص أثناء محاولتهم الحصولَ عليها[١]، ولما شعر أنه أسرف في الكذب والدجل إذا به يردد مقولته التي لا يمل من تكرارها:

«هذه الأحداث نبوءات ليست من تأليفي، إنها واردة في المخطوطات العربية والإسلامية لدى شرق وغرب».[٢]

ويتمادى في الحديث عن مخطوطاته النادرة:

فهذا مخطوط «مخبأ بمكتبة بابا الفاتيكان»[٣]، وهذا من طبيب تركي «د.ك.ع.ب»[٤]، وذاك «مخطوط بإحدى الجامعات الكندية»[٥].

وهذا مخطوط ينسبه إلىٰ الإمام أحمد: «رسالة آخر الزمان في خبر المهدي والدجال»[٦]، أما مخطوط «الدنيا كلها للمهدي - بمكتبة طهران العامة» فينسبه إلىٰ جعفر الصادق رحمه الله[٧]، وينسب إلىٰ «كاهن أرض الجزيرة» مخطوطًا بمكتبة أغادير العامة بالمغرب[٨].

ويدعي «السندباد المصري» أن مستشرقًا فرنسيًا أطلعه علىٰ مخطوط لرجل يُسمَّىٰ «ابن حرشل الرومي» اليهودي، ونقل عنه خماسيتين ثم سداسية يصفها بأنها «قنبلة ومفاجأة»[٩]، ويدعي فيها أن «ابن حرشل» نقل هذا الكلام عن «بارش بن حامس» حاضر موسى، وكليم الرب معه[١٠].

ويحاول «السندباد» تعجيز منتقديه، فيتحداهم أن يعرف واحد منهم مجرد أسماء الأعلام الذين لا يعرفهم غيره مثل «ابن عقدة» أو «الجوالبي» أو «فستقة» أو «البرهان السقا»، أو «الوولاتي» أو «ابن أركماش»أو «ابن كيكلدي» أو «الرمادي»[١١].

ولا يدري صاحبنا أن إتيانه بالمزيد من الغرائب سوف يزيد وحشته، ويضاعف غربته بين العلماء.

★ ★ ★

(١) انظر نماذج منها في «المهدي المنتظر على الأبواب» ص (٥٨)، (٧٧)، (١٥٣)، (١٨٣)، (٢٠٦).
(٢) «المهدي المنتظر على الأبواب»، ص (٧١).
(٣) «المفاجأة» ص (٢٠٩).
(٤) «السابق» ص (٢٤٣).
(٥) «السابق» ص (٣٧٩).
(٦) «المهدي المنتظر على الأبواب» ص (٧٠).
(٧) «السابق» ص(٢٧٤).
(٨) «السابق» ص (٦٢).
(٩) انظر: «الخيوط الخفية» ص(٢١٢ - ٢١٥).
(١٠) «السابق» ص (٢١٤ - ٢١٥).
(١١) «أسرار الهاء في الجفر» ص (١٣٥ - ١٣٦)، ويطيب لي أن أسأله: وهل تعرف أنت «أبا لمعة المصري»؟!

والجاهلون لأهل العلم أعداء

لأنهم الذين يكشفون أهل البدع، ويفضحون أكاذيبهم، ويفندون دجلهم، ومن هنا تطاول «السندباد» علىٰ قمم سامقة، وجبال شامخة لحاجة في نفسه، فتراه يُعَرِّض بوصف الشيخين «البخاري ومسلم» بالجبن؛ لأنهما في زعمه «أهملا الرواية عن آل البيت المحمدي الشريف»[١]، يقول ـ عامله الله بما يستحقه ـ:

«ولا أعذر البخاري ومسلمًا إلا ليقيني بأن الظروف السياسية القائمة آنئذٍ كان يمكن أن تطيح برأسيهما، فلا يصل شيء منهما أصلًا، وهو العذر الوحيد المقبول، لأنه يجوز أن يكون المؤمن جبانًا[٢]، ولكن لا يجوز أن يكون كذابًا»اهـ[٣].

---

(١) بفرض صحة هذا الزعم فإن عدم الرواية عن شخص لا يستلزم تجريحه أو انتقاصه، وكم من إمام جليل لم يرو له البخاري لا لشيء إلا لأنه ما قصد استيعاب الصحيح، ولعل تصنيف المستدركات أدل دليل على هذا، وكيف يزعم هذا الظالم لنفسه أن البخاري ومسلمًا أهملا الرواية عن أهل البيت؟ وكتاباهما حافلان بالرواية عن علي ﷺ، وأزواج النبي ﷺ، ورضي الله عنهن، وكذا عن أناس من آل جعفر، وآل علي، وآل العباس، وآل عقيل، فإن أهل بيت النبي ﷺ زوجاته، وقرابته الذين تحرم عليهم الصدقة من المذكورين آنفًا، أما الرافضة فقد حصروا أهل بيت النبوة في علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، ـ رضي الله عنهم ـ، وأضافوا لهم أئمتهم الثمانية، وأخرجوا منهم كل من سواهم، ثم أخرجوا أولاد عليٍّ غير الحسنين من أهل البيت: كمحمد بن الحنفية، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، والعباس، وجعفر، وعبدالله، وعبيدالله، ويحيى، وكذا أولادهم الذكور الاثني عشر، ومن البنات ثماني عشرة ابنة، كما أخرجوا من آل البيت بنات فاطمة ـ رضي الله عنها ـ: زينب، وأم كلثوم، وأولادهما من آل البيت، وأخرجوا أولاد الحسن بن علي منهم، وكذا أخرجوا من أولاد الحسين من لا ينهج منهجهم، وأخرجوا بنات النبي ﷺ الثلاث غير فاطمة، وكذا أزواجهن، وأولادهن، وانظر: «الشيعة وأهل البيت» ص (١٣ ـ ٢٠).

(٢) هذه «شِنْشِنة نعرفها من أخزم»، فإن رمي المحدثين بالجبن والخوف، ومداهنة الحكام ما هو إلا رَجْع صدى كلام المستشرقين ـ وبخاصة صنمهم اليهودي المتعصب الحاقد جولدتسيهر ـ وأذنابهم من بني جلدتنا الذين يتكلمون بألسنتنا، ويقصدون بذلك التشكيك في حَمَلَةِ السنة للتوصل بذلك إلى هدم الشريعة الشريفة.

إن الأمر لا يرجع إلى خوف أو شجاعة، وإنما إلى شروط التزمها المحدثون ولم يحيدوا عنها، فمنهم متشدد في شروطه كالشيخين، ومنهم دون ذلك، فمِن ثَمَّ رأينا الإمام أحمد قد خرَّج في فضائل بني أمية أكثر مما خرَّج الشيخان في صحيحيهما.

وقد أخرج الشيخان في فضائل علي ﷺ وآل بيته أحاديث عدة أكثر مما أخرجاه في فضائل العباس وابنه عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ، وخلفاء بني العباس كانوا يعتبرون العلويين مناوئين لهم، فلو كان مبنى الأمر على الخوف والمداهنة للعباسيين لما ذكرا في صحيحيهما شيئًا من ذلك.

وفي كتب أهل السنة مرويات عن أمير المؤمنين علي ﷺ أكثر مما يروى عن أبي بكر وعثمان وبقية العشرة عدا عمر، فإن مروياته قريبة من مرويات علي؛ رضي الله عنهم، وعن سائر الصحابة أجمعين.

ثم إن الخلفاء والأمراء عامتهم كانوا على دين، وخلق، وتعظيم للشرع الشريف، ولا يُظَن بهم أنهم كانوا يرضَوْن الكذب على رسول الله ﷺ لأجل مداهنتهم، والحوادث في هذا كثيرة شهيرة، ولو قُدِّر أن أحدهم تورط في ذلك ـ معاذ الله ـ لتصدى له المسلمون علماؤهم وعامتهم، ووقفوا له بالمرصاد، وقد حفل التاريخ بكثير من المواقف المشرقة ذبًّا عن السنة، وإنكارًا على من حاد عنها من الأمراء والحكام.

(٣) «أسرار الهاء في الجفر» ص (١٣٣).

ويتمادى في عدوانه حتى يطال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فيقول:

«ابن تيمية الذي يحبه هؤلاء القوم الذين ألسنتهم أطول من أجسادهم، ومعلوم أن ابن تيمية أحد عشاق يزيد بن معاوية، وأحد مبغضي سيدنا الحسين(١)، يقول في تفسير سورة النور: «إنه وقف على ما شاء الله من الكتب الكبار والصغار، أكثر من مائة تفسير»، وأنا أرجو أن يُحصُوا لي أسماء ٧٠ تفسيرًا، لا ١٠٠ كما قال ابن تيمية، فإما الرجل كذاب، وإما هناك ١٠٠ تفسير، ولكن لم يصلنا الكثير»اهـ (٢).

عَوْدٌ إلى خرافة المخطوطات

لقد ادَّعى «السندباد المصري» اطلاعه على إحدى المخطوطات الإسلامية(٣) الموجودة في دار الكتابخانة بتركيا تحت مسمى أو تصنيف (٣٦٦٤/تراث المدينة المنورة)(٤)، لعالم مدني كان يعيش بالمدينة المنورة في القرن الثالث الهجري، وهو «كلدة بن زيد بن بركة المدني»(٥)، بعنوان «أسمى المسالك لأيام المهدي الملك لكل الدنيا بأمر الله المالك»(٦)، ومما جاء في هذا المخطوط

---

(١) وهذا كذب صراح، فإنه سئل رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما تقولون في يزيدَ؟»، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا نَسُبُّه، ولا نُحِبُّه، فإنه لم يكن رجلًا صالحًا فنحبه، ونحن لا نسب أحدًا من المسلمين بعينه»، فقيل له: «أفلا تلعنونه؟ أما كان ظالمًا؟ أما قتل الحسين؟!»، فقال شيخ الإسلام: «نحن إذا ذُكر الظالمون كالحجاج بن يوسف وأمثاله؛ نقول كما قال الله في القرآن: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨]، ولا نحب أن نلعن أحدًا بعينه؛ وقد لعنه قوم من العلماء؛ **وهذا مذهب يسوغ فيه الاجتهاد**، لكن ذلك القول أحبُّ إلينا وأحسن.

وأما من قتل «الحسين» أو أعان على قتله، أو رضي بذلك: فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؛ لا يقبل الله منه صرفًا ولا عَدْلًا» ا هـ. من «مجموع الفتاوى» (٤/٤٨٧ - ٤٨٨)، وانظره: (٤/٥١١ - ٥١٢)، و«منهاج السنة النبوية» (١/٣٢١ - ٣٣٠).

(٢) «أسرار الهاء في الجفر» ص (١٢٧)، ونقول لهذا الباغي المعادي لأولياء الله - تعالى - من العلماء الربانيين، والأئمة المهديين المجددين: «اخسأ! فلن تعدوَ قدرك»، وما ادعاه على شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - كذب وافتراء، ولا يوجد أصلًا في تفسيره المبارك لسورة النور، ولعله لو نهل من علم ابن تيمية؛ لعرف قدره، وحفظ حرمته، وما أصدق عبارة الذهبي - رحمه الله -: «الكلام في الرجال لا يجوز إلا لتامِّ المعرفة، تامِّ الورع» ا هـ. من «ميزان الاعتدال» (٣/ ٤٦)، وانظر كتابي «حرمة أهل العلم» ص (٣٥٣) وما بعدها.

(٣) ولم يُثبت أي إسناد للمخطوطة المزعومة، ومخطوطٌ بلا سند رجل بلا نسب، كما أنه لم يثبت صورة واحده لأي جزء من أجزاء تلك المخطوطة كما هو ديدن المحققين الذين يحترمون علمهم وقُرّاءهم.

(٤) هذا التهويش لا يغني عنه شيئًا، لأن المكان الذي ادعى وجود المخطوط فيه مُمَوَّه، ولفظة «الكتابخانة» تعني دار الكتب، ودور الكتب في تركيا مختلفة من حيث الاسم والمكان، ويبلغ عدد مكتبات المخطوطات في تركيا اثنتين وخمسين ومائة مكتبة، فأيها حظي باحتضان تلك المخطوطة؟ وانظر: «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين (١/٣٥ - ٥٦) ، (١/١٠٠ - ١٠١).

(٥) فهلا أقمت بينة على أن هذا الشخص قد خُلِقَ أصلًا؟ فإن عرفنا من هو؛ فكيف هو، ومن ترجم له؟

(٦) وإن ركاكة هذا العنوان، وما به من سجع متكلف بارد يُبعد انتسابه إلى القرن الثالث، حيث لم يكن قد شاع هذا الأسلوب في تسمية الكتب.

المزعوم:

«وحرب في بلد أصغر من عَجْب الذَّنَب، يجمع أهل الدنيا لها، كأنها أغنى بلد أولم عليها الوالمون[(١)]، وأمير فيها سلَّم رايته لزعيمة الشر الآتية من الشواطئ البعيدة الغربية بداية آخر الزمن، فتجمع له صريخها من كل الدنيا، وترد له عرش الملك، ويخرب عراق في ملاحم بداية آخر الزمن، ويحارب أمير الذنب الصغير جيوش المهدي»[(٢)].

وفي نفس المرجع السابق في مخطوط آخر من القرن الثالث الهجري، لتابعي شامي[(٣)]، وجاء في ذلك المخطوط «النادر»:

«وفي عراق الشأم رجل متجبر.. و .. سفياني، في إحدى عينيه كسل قليل، واسمه من الصدام، وهو صدام لمن يعارضه، الدنيا جمعت له في «كوت» صغير، دخلها وهو مدهون، ولا خير في السفياني إلا بالإسلام، وهو خير وشر، والويل لخائن المهدي الأمين»[(٤)].

ومما جاء في «المخطوط» المزعوم:

«حربُ آخر الزمن حرب كونية، المرة الثالثة بعد اثنين[(٥)] كبريين، يموت فيهما خلائق كثيرة، الأولى أشعلها رجل كنيته السيد الكبير، وتنادي الدنيا باسم (هِتْلَر)...، وهذا مما رواه أبو هريرة وابن عباس وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم -، وفي رواية خاف أن يحدث بها أبو هريرة، ولما أحس بالموت خاف أن يكتم علمًا، فقال لمن حوله: في نبإ علمته عما هو كائن في حروب آخر الزمن، فقالوا: أخبرنا ولا بأس - جزاك الله خيرًا -، فقال: في عقود الهجرة بعد الألف وثلاث مئة، واعقدوا عقودًا، يرى ملكُ الروم أن حرب الدنيا كلها يجب أن تكون، فأراد الله له حربًا، ولم يذهب طويل زمن، عقد وعقد، فسلط رجل من بلاد اسمها «جزمِن»، له اسم الهِرِّ، أراد أن يملك الدنيا، ويحاربُ الكل في بلاد ثلج وخير، فأمسى في غضب الله بعد سنوات نار، أرداه قتيلًا سِرُّ الروش أو الروس[(٦)].

---

(١) وهذا لحن بغيض حيث إن اسم الفاعل من «أولم» «مولم» وليس والمًا، مما يشير إلى أن مؤلف هذه المخطوطة من القرن «الخامس عشر» وليس القرن الثالث! ويتأكد هذا إذا لاحظنا ركاكة الألفاظ، وتفكك السياق، وسماجة الكلام، وكونه مما يُسخر منه، ويمجه السمع، ويسمج معناه للفطن.

(٢) «المهدي المنتظر على الأبواب»، ص (١٣٢)، ويلاحظ أنه لم يوضح من قائل هذه النبوءات، ولو افترضنا أنه أسندها إلى النبي ﷺ، فلن يغني عنه السند شيئًا، لأن هذه الأخبار استوفت علامات وضع الحديث بالنظر إلى متنه، فانظرها مفصلة في «المنار المنيف» للإمام المحقق ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى.

(٣) كيف يكون (تابعيًّا) ومن (القرن الثالث)؟!

(٤) «السابق»، ص (٢١٦).

(٥) والصحيح : اثنتين!

(٦) ولمزيد من التحقيق، والتوثيق، والإبهام والدجل قال في هذا الموضع: «الشك من الراوي، ومكان النقط مطموس متآكل في المخطوطة!!».

وفي عقود الهجرة بعد الألف وثلاث مئة، عُدَّ خمسًا أو ستًّا، يحكم مصر رجل يُكْنَى «ناصر»، يدعوه العرب «شجاع العرب»، وأذلَّه اللَّه في حرب وحرب، وما كان منصورًا، ويريد اللَّه لمصر نصرًا له حقًّا في أحب شهوره، وهو له، فأرضى مصرَ ربُّ البيت والعرب بأسمر سادا، أبوه أنور[1] منه، لكنه صالح لصوص المسجد الأقصى بالبلد الحزين، وفي عراق الشأم رجل متجبر.. و.. سفياني..) إلىٰ أن يقول:

«وفي عقود الهجرة الألف وأربع مئة، واعقد اثنين أو ثلاثًا.. يخرج المهدي الأمين، ويحارب كل الكون، يجمعون له الضالون والمغضوب عليهم، والذين مردوا علىٰ النفاق في بلاد الإسراء والمعراج، عند جبل مَجِدُّون، وتخرج له ملكة الدنيا والمكر، زانيةٌ اسمها «أمريكا»، تُراود العالم يومئذ في الضلال والكفر، ويهود الدنيا يومئذ في أعلى عليين، يملكون كل القدس والمدينة المقدسة»... إلخ[2].

وقال ـ أيضًا ـ: وقد وقعت علىٰ نص توراتي في سفر أشعياء الحقيقي، به تفاصيل أكثر أورده بلا تعليق، ففي نسخة الفاتيكان يقول النص:

«وجاءوا إلىٰ سيناي، وحاربوا الملك المصري الذي كان خاسرًا في مواجهتهم، وكل الخيانة كان خدعة نصر لإسرائيل.. وجاء ملك أسمر اللون، رأسه حاسر من الشعر، له أسود ونسور[3]، فانتصر علىٰ إسرائيل، وكلمهم أن يكونوا أصدقاء، وسلام عَمَّ كل المصريين، ولكن ملكهم أسمر اللون أضحى شهيدًا..» إلىٰ أن قال: «وحراسه كانوا الذين اغتالوه، وكانوا شرارًا وتجارًا»[4].

هذا الشبل من ذاك الأسد

وقد اغتر به «حاطب ليل»، فاتخذ الغرابَ دليلًا، ومارس ـ مثله ـ هواية التهويش بأن لديه مراجع «بالجملة»، ودون إحراج بطلب ذكر التفاصيل، فقال في مقدمة كتابه:

«كما ينبغي التنبيه علىٰ أنَّ ثمة مخطوطات نادرة لم تُطبع، تحوي أضعاف الأحاديث المعروفة، سواء في الكتب المشهورة والغير مشهورة، محفوظة في المكتبات العالمية، كمخطوطات، منها ما هو موجود في المكتبة العراقية الكبرى ببغداد، ومنها في دار الكتابخانة بإسطنبول بتركيا، وكذلك مكتبة التراث في «طنجة»، ومنها في مكتبة دار الكتب القديمة بالرباط، ومنها بمكتبة بحرة الشام؛ وهي دمشق، في الجامع الأموي، هذا غير كثير من المخطوطات الإسلامية النادرة الموجودة في

(١) أحسب أن اسم «محمد أنور» مركب؛ فليس «أنور» اسم أبيه.
(٢) «المهدي المنتظر على الأبواب»، ص (٢١٦).
(٣) وهو هنا (يغازل) الضربة الجوية الأولى في حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ (٦أكتوبر ١٩٧٣م)!
(٤) «السابق»، ص (١٢٢).

الفاتيكان، مكتبة البابا»(١).

لقد سَرَت عدوى «هوس المخطوطات» إلى صاحبنا، فراح يهذي بنفس ضلالات «السندباد المصري»، ويردد صدى صوته:

أَثَّر البهتان فيه وانطلى الزورُ علَيه
يا له من ببغاء عقله في أذنيه

تلمح ذلك واضحًا في قوله يحاكي مُقَلِّدَه في الهروب من «المحاكمة» العلمية:

«كما أن كثيرًا من أحداث الفتن وملاحم آخر الزمان وردت في أحاديث وآثار غير مشهورة، مثبتة في مخطوطات وكتب ليست سهلة المنال، فكذلك حال الآثار التي بها توجيهات نبوية، ونصائح غالية تستبين بها سبيل النجاة، ولذلك خَفِيت على أكثر الناس قديمًا وحديثًا، إلا من اختصه اللَّه ـ تعالىٰ ـ بعلمها، حتىٰ يبثها وينشرها إذا جاء وقتها، وحان أوانها»(٢).

ثم ذكر أنه بعد أن يستدل بالأحاديث والآثار المشهورة يُثَنّي «بتلك الآثار الخفية غير المشهورة، مع عدم التشديد في اعتبارات مدى صحة أو ضعف الأثر من ناحية السند؛ إذ إنها نصائح وإرشادات(٣) من باب فضائل الأعمال التي يتساهل العلماء في قبول أحاديثها وآثارها، وإن كانت ضعيفةَ السند، مع الأخذ في الاعتبار أن ضعف سندها ليس شديدًا ولا موضوعًا، ثم إنها قد جاءت من أكثر من طريق(٤)؛ مما يجعلني مطمئنًا لإيرادها وذكرها»(٥) اهـ.

(١) «هرمجدون، آخر بيان يا أمة الإسلام»، ص (١١)، ونقول تعليقًا على هذا «التهويش»: ما زِدتَ على أن قلت: «في المكتبات مخطوطات»، فكان ماذا؟! وأين صور هذه المخطوطات، وأرقامها، وتوثيقها؟!! خاصَّةً، وأنها تتحدث عن أمور غيبية خطيرة؟ وننصح القارئ المكرم أن يطالع شيئًا من المصنفات التي توضح الضوابط العلمية في التعامل مع المخطوطات، منها:

ـ «تحقيق النصوص ونشرها» للعلامة عبد السلام هارون.
ـ «تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره» للدكتور عبد المجيد دياب.
ـ «مبادئ لفهم التراث» للشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني.
ـ «مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين» د. رمضان عبدالتواب.

(٢) «هرمجدون» ص (١١٠).

(٣) وهل التزمتَ التوثيق، والتحقيق يا عبداللَّه فيما ليس من فضائل الأعمال؛ كالإخبار عن الغيوب المستقبلة؟ أم تردد مقولة مقلِّدك: «أقول للمرة الألف: حديث الفتن ليس من العقيدة، وليس من التشريع»اهـ. «من أسرار الهاء في الجفر» ص (١١٨).

(٤) اعلم ـ رحمك اللَّه ـ أن كثرة الطرق لا تقوي الحديث الضعيف بإطلاق، فليس كل ضعيف ينجبر بكثرة طرقه، وليس كل شاهد ومتابع يصلح لتقويته، بل ربما زادت كثرةُ الطرق الضعيفَ ضعفًا، حين يتداوله، ويحتكر روايته الوضاعون الكذابون، والضعفاء المتروكون، فأين كان الجهابذة المتقنون؟!

(٥) وهذا الكلام ظلمات بعضها فوق بعض، إذ يتعامل مع هذه الأخبار بالجملة، ويعمم الأحكام بصورة جائرة عسى أن ينجو من المحاكمة العلمية.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «من طلب غريب الحديث كذب».

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي - رحمه اللَّه تعالى -: «وينبغي للمنتخب أن يقصد تخير الأسانيد العالية، والطرق الواضحة، والأحاديث الصحيحة، والروايات المستقيمة، ولا يُذْهِب وقته في التُّرَّهات، مِن تتبع الأباطيل والموضوعات، وَتَطلُّبِ الغرائب والمنكرات».[(١)]اهـ.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أكثر طالبي الحديث في هذا الزمان يغلب على إرادتهم كتبُ الغريب دون المشهور، وسماع المنكر دون المعروف، والاشتغال بما وقع فيه السهو والخطأ من روايات المجروحين والضعفاء، حتى لقد صار الصحيح عند أكثرهم مجتنبًا، والثابت مصروفًا عنه مُطَّرَحًا، وذلك كله لعدم معرفتهم بأحوال الرواة ومحلهم، ونقصان علمهم بالتمييز، وزهدهم في تعلمه، وهذا خلاف ما كان عليه الأئمة من المحدثين، والأعلام من أسلافنا الماضين»[(٢)] ا هـ.

مِنْ فَمِكَ أُدِينُكَ

ومن مغالطات هذا المقلِّد قوله معلقًا على الأثر الذي ادعى أن أبا هريرة كان يكتمه ثم بثه: «وقد قلت في «قبل البيان» إنني سأورد بعض الآثار العجيبة معزوة إلى مصادرها، منسوبة إلى قائليها[(٣)]، جاعلًا عهدتها على قائليها[(٤)]، ولولا أنني أقبلها ما أوردتها»[(٥)]، ثم أضاف - إمعانًا في

(١) «الجامع» (٢/١٥٩).

(٢) «الكفاية» ص (١٤١).

(٣) إنما يستقيم لك ذلك إذا كان مصنفوها قد اشترطوا الصحة فيما يروون من الأحاديث، أما الكتب التي اقتصر مؤلفوها على الجمع والتقميش فإنه يتعين على من ينقل عنها أن يثبت صحة الأحاديث إن كان يحتج بها.

(٤) إنما يصح هذا إذا أوردتها مقرونة بأسانيدها، أما إذا حذفت الإسناد أو اختصرته؛ فالعهدة عليك.

(٥) وهذا ما يجعل عهدة هذه الأخبار عليك لا على من رَوَوْها مقرونة بأسانيدها ، وانظر ص: (٨٨)، وما بعدها.

فائدة: **«من أسند؛ فقد أحالَكَ»**

إن اشتغال كثير من العلماء في عصر التدوين بجمع الأحاديث مسندة دون تفتيش في أسانيدها لا يصح فهمه على أنهم يحتجون بالأحاديث الضعيفة، وإنما كان جلُّ اهتمامهم بالجمع والتدوين مبادرة للعوارض التي قد تعرض للمحدِّث نفسه، واغتنامًا لفرصة لقيا الراوي الذي قد يعرض له سفر أو تغير أو موت، وهذا سر قولهم: **«سيندم المنتخِب»**، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التحقيق والتمحيص إعمالًا لقاعدة **«قَمِّشْ ثم فتش»** ، وللعلامة المحدث ناصر الدين الألباني - قدس اللَّه روحه، ونور ضريحه - كلام نفيس ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة تحقيقه لكتاب «اقتضاء العلم العمل»، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قد يقول قائل: إذا كان المؤلف بتلك المنزلة العالية في المعرفة بصحيح الحديث ، ومطروحه؛ فما بالنا نرى كتابه هذا وغيره من كتبه قد شحنها بالأحاديث الواهية؟

والجواب: أن القاعدة عند علماء الحديث أن المحدث إذا ساق الحديث بسنده؛ فقد برئت عهدته منه، ولا مسئولية عليه في روايته ما دام أنه قد قرن معه الوسيلة التي تمكن العالم من معرفة ما إذا كان الحديث صحيحًا أو غير صحيح، ألا وهي الإسناد.

المغالطة - أن أبا هريرة ﷺ كان من أحفظ الصحابة لحديث رسول الله ﷺ... إلخ،[١] وتجاهل أن عليه أن يثبت ابتداءً صحة السند إلىٰ أبي هريرة ﷺ؛ لأننا لن نؤتى من صحابي قط، فالصحابة - رضي الله عنهم - كلهم عدول، وراوية الإسلام أبو هريرة ﷺ من أعدلهم وأضبطهم.



= نعم، كان الأولى بهم أن يُتبعوا كلَّ حديث ببيان درجته من الصحة أو الضعف، ولكن الواقع يشهد أن ذلك غير ممكن بالنسبة لكل واحد منهم، وفي جميع أحاديثه على كثرتها لأسباب كثيرة لا مجال لذكرها الآن، ولكن أذكر منها أهمها، وهي أن كثيرًا من الأحاديث لا تظهر صحتها أو ضعفها إلا بجمع الطرق والأسانيد ، فإن ذلك مما يساعد على معرفة علل الحديث، وما يصح من أحاديث لغيره، ولو أن المحدثين كلهم انصرفوا إلى التحقيق وتمييز الصحيح من الضعيف لما استطاعوا - والله أعلم - أن يحفظوا لنا هذه الثروة الضخمة من الأحاديث والأسانيد، ولذلك انصبت همم جمهورهم على مجرد الرواية إلا فيما شاء الله، وانصرف سائرهم إلى النقد والتحقيق مع الحفظ والرواية، وقليل ما هم، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾» انتهى ص (٤).

(١) «هرمجدون»، ص (٤٠).

الفصل الثالث

اسْتِدْلَالُ العابثين بِمَا لَا يَصْلُحُ دَلِيلًا

المطلب الأول

الإِسْتِدْلَالُ بِالْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَوْضُوعَةِ

وهذه الآفة «قاسم مشترك» بين الخائضين بالظن في أشراط الساعة، فهم يوردون الأحاديث الضعيفة والباطلة، ثم يؤسسون عليها توقعاتٍ وأحكامًا، متناسين أن التفسير فرع التصحيح، ولو أعملنا قول بعض السلف: «أثبت العرش، ثم انقش»؛ لطرح ذلك عن كاهلنا عبئًا ثقيلًا من هذه المرويات الباطلة، ولأرحنا واسترحنا من عناء الجواب عما يطرأ بسببها من إشكالات، وتوقعات[١].



الحافظ نُعيم بن حماد، وكتابه «الفتن»

يعد كتاب «الفتن» للحافظ نُعيم بن حماد المروزي رحمه الله تعالىٰ المرجع الأساسي الذي ينهل منه العابثون بأشراط الساعة، ولنضرب لذلك مثلًا صاحبَ «هرمجدون» الذي وصفه بأنه كتاب «بديع»[٢]، ولا يفتأ يكرر وصف مؤلفه نعيم بن حماد بأنه: «شيخ البخاري»[٣]، وقال في موضع آخر: «جمع فيه كوكبة هائلة من أحاديث الفتن وملاحم آخر الزمان، يعز وجودها في مكان آخر»[٤]، فماذا عن الكتاب ومؤلفه؟

أما الكتاب فقال فيه مسلمة بن قاسم: «**له أحاديث منكرة في الملاحم، انفرد بها**»[٥].

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد صنف كتاب «الفتن» فأتى فيه بعجائب ومناكير»[٦].

(١) وقد لمسنا أثر الأحاديث الضعيفة في رمضان (١٤٢٢هـ) حيث: كان بعض الشباب يجزم بأن «الفزعة سوف تحصل منتصف الشهر الكريم»؛ بناءً على الأحداث السياسية، والعسكرية الصاخبة في أفغانستان في ذلك الوقت، مع ضعف الحديث الذي اتّكئوا عليه، وانظر: «المفاجأة»، ص (١٨٥).

(٢) «هرمجدون» ص (٨٠).

(٣) السابق» ص (١٠)، (٨٠).

(٤) «السابق» ص (١٠).

(٥) «تهذيب التهذيب» (٤٦٢/١٠).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٦٠٩/١٠).

وقال الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي ـ حفظه الله ـ : «إن في صحة نسبة الكتاب إليه نظرًا، ولا نستطيع أن نحمله كل المسئولية»، إلىٰ أن قال: «وهكذا فجميع الروايات التي تفرد بها هذا الكتاب لم أحتج بها، وإنما هي تصلح للاعتبار»(١).

وأما المؤلف **فهو الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢):**

قال الحافظ في «هدي الساري»: «لقيه البخاري، ولكنه لم يخرج عنه في الصحيح سوى موضع أو موضعين، وعلّق له أشياء أخر، وروى له مسلم في المقدمة موضعًا واحدًا».

وقال في «التهذيب»: «روى عنه البخاري مقرونًا»، وقال أيضا:«وأما نعيم فقد ثبتت عدالته وصدقه، ولكن في حديثه أوهام معروفة».

وقال في «التقريب»: «صدوق، يخطئ كثيرًا».

وقال الذهبي: «نعيم من كبار أوعية العلم، لكنه لا تركن النفس إلىٰ رواياته».

وقال في «تذكرة الحفاظ»: «وهو ـ مع إمامته ـ منكر الحديث»، وقال أيضا: «كان من أوعية العلم ولا يحتج به».

وقال في «ميزان الاعتدال» : «أحد الأئمة الأعلام، علىٰ لين في حديثه».

وقال في «تلخيص المستدرك»: «وفي قوة روايته نزاع»، وقال: «ونعيم منكر الحديث إلىٰ الغاية»، وقال: «لا يجوز لأحد أن يحتج به».

قال يوسف بن عبد الله الخوارزمي: «سألت أحمد بن حنبل عن نعيم بن حماد، فقال: «لقد كان من الثقات».

وقال أحمد العجلي: «نعيم بن حماد ثقة مروزي».

وقال أبو حاتم: «محله الصدق».

وعن أحمد بن ثابت أبي يحيى قال: «سمعت أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان: «نعيم بن حماد معروف بالطلب»، ثم ذمه يحيى، وقال: «يروي عن غير الثقات».

وقال أبو علي صالح بن محمد الأسدي: «وكان نعيم يحدث من حفظه، وعنده مناكير كثيرة، لا يتابع عليها».

وقال أبو زرعة الدمشقي : «يصل أحاديث يوقفها الناس» يعني أنه يرفع الموقوفات.

(١) «المهدي المنتظر» ص(١٢١ ـ ١٢٢).

(٢) مصادر هذه الترجمة: «تاريخ بغداد» (٣٠٦/١٣)، «ميزان الاعتدال» (٢٦٧/٤)، «تذكرة الحفاظ» (٤١٨/٢)، «تهذيب التهذيب» (٤٥٨/١٠)، «تقريب التهذيب» (٥٦٤)، رقم (٧١٦٦)، «هدي الساري» (٤٤٧)، «سير أعلام النبلاء» (٥٩٥/١٠)، «تلخيص المستدرك للحاكم» (٥١٦/٤).

وساق له الخطيب في «تاريخه» حديثًا في ذم أهل الرأي، ثم قال: «وبهذا الحديث سقط نعيم بن حماد عند كثير من أهل العلم بالحديث، إلا أن يحيى بن معين لم يكن ينسبه إلىٰ الكذب، بل كان ينسبه إلىٰ الوهم».

وقال الآجري، عن أبي داود: «عند نعيم بن حماد نحو عشرين حديثًا عن النبي ﷺ، ليس لها أصل».

وقال النسائي: «ليس بثقة»، وقال مرة: «ضعيف».

وقال أبو علي النيسابوري: «سمعت النسائي يذكر فضل نعيم بن حماد وتقدمه في العلم والمعرفة والسنن، ثم قيل له في قبول حديثه، فقال: قد كثر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة فصار في حدِّ من لا يحتج به».

وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال : «ربما أخطأ، ووهم».

وقال أبو سعيد بن يونس : «وكان يفهم الحديث، وروى أحاديث مناكير عن الثقات».

وقال مسلمة بن قاسم: «كان صدوقًا وهو كثير الخطأ، وله أحاديث منكرة في الملاحم، انفرد بها».

وقال الدارقطني: «إمام في السنة، كثير الوهم».

وقال أبو أحمد الحاكم «ربما يخالف في بعض أحاديثه».

وقال ابن الجوزي في «التحقيق»: «نعيم بن حماد مجروح».

وقال صالح بن محمد الأسدي الحافظ: «وكان نعيم يحدث من حفظه، وعنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها»، قال: وسمعت يحيى بن معين سئل عنه، فقال: «ليس في الحديث بشيء، ولكنه صاحب سنة».

فها أنت ترى إطباق النقاد علىٰ وصفه بالوهم، والخطإ الكثير ، وكثرة المناكير، ورواية ما لا أصل له(*)، أما من أثنوا عليه خيرًا ووثقوه؛ فذلك بالنظر إلىٰ دينه وصلابته في السنة، وكونه عدلًا صدوقًا، لا يتعمد الكذب.

❁ ❁ ❁

(*) ولو قلنا للعابثين: حدثونا عن أشراط الساعة، والفتن، ولكن لا تحدثونا عن كتاب «الفتن» لأبي نعيم رَحِمَهُ اللَّهُ ولا عمَّن نقل عنه لصارت كتبهم خاوية على عروشها.

ذِكْرُ نُصُوصِ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي حُكْمِ رِوَايَةِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَوْضُوعَةِ

قال العلماء: لا يحل رواية الحديث الموضوع في أي باب من الأبواب إلا مقترنًا ببيان أنه موضوع مكذوب، سواء في ذلك ما يتعلق بالحلال والحرام، أو الفضائل، أو الترغيب والترهيب، أو القصص والتواريخ(١).

ومن رواه من غير بيان وضعه، فقد باء بالإثم العظيم، وَحَشَرَ نفسه في عداد الكاذبين؛ وذلك لما رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يرَى(٢) أَنَّهُ كَذِبٌ؛ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِين**»(٣).

وعن أبي قتادة ﷺ: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول على هذا المنبر: «**إياكم وكثرةَ الحديثِ عني، فمن قال عليَّ؛ فليقل حقًّا أو صدقًا، ومن تقوّل عليَّ ما لم أقل؛ فليتبوأ مقعده من النار**»(٤).

وعن عبداللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ: أن النبي ﷺ قال: «**بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار**»(٥).

قال ابن حبان ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ: «في أمر النبي ﷺ أمته بالتبليغ عنه مَن بعدهم ـ مع ذكره إيجابَ النار للكاذب عليه ـ دليل علىٰ أنه إنما أُمِر بالتبليغ عنه ما قاله عليه السلام، وما كان من سنته فعلًا أو سكوتًا عند المشاهدة، لا أنه يدخل به في قوله ﷺ: «**نضر اللَّه امرءًا**» المحدثون بأسرهم، بل لا يدخل في ظاهر هذا الخطاب إلا من أدى صحيح حديث رسول اللَّه ﷺ دون سقيمه، وإني خائف علىٰ من روى ما سمع من الصحيح والسقيم أن يدخل في جملة الكذبة علىٰ رسول اللَّه ﷺ إذا كان عالمًا بما يروى» اهـ(٦).

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول اللَّه ﷺ: «**كفى بالمرء كذبًا أن يُحَدِّث بكل ما سمع**»(٧).

وعن عبداللَّه بن وهب قال: قال لي مالك: «اعلم أنه ليس يسلم رجل حدَّث بكل ما سمع،

---

(١) انظر: «علوم الحديث»، لابن الصلاح، ص (١٠٩)، و«تدريب الراوي»، ص (٩٨).
(٢) ولم يقل: «يتيقن أنه كذب»، فكل شاكٍّ فيما يروي أنه صحيح أو غير صحيح؛ داخل في ظاهر خطاب هذا الخبر، أفاده ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٧).
(٣) رواه مسلم (٤) في المقدمة.
(٤) رواه الإمام أحمد (٥/٢٩٧)، وابن ماجه في «المقدمة» رقم (٣٥).
(٥) انظر تخريجه ص (١٢٦).
(٦) «كتاب المجروحين» ص (٦).
(٧) رواه مسلم في مقدمة «صحيحه» (٥).

ولا يكون إمامًا[1] أبدًا وهو يحدث بكل ما سمع»[2].

قال عمرو بن ميمون ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: ما أخطأني ابن مسعود ﷺ عشية خميس إلا أتيته فيه، قال: فما سمعته يقول بشيء قط: «قال رسول الله ﷺ»، فلما كان ذات عشية قال: «قال رسول الله ﷺ»، قال: «فنكس»، قال: فنظرت إليه فهو قائم، محلَّلةً أزرارُ قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه، قال: «أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريبًا من ذلك، أو شبيهًا بذلك»[3].

وحَكَمَ كثير من العلماء علىٰ من روى حديثًا موضوعًا ـ دون تنبيه إلىٰ وضعه وتحذير الناس منه ـ بالتعزير والتأديب؛ فقد قال البخاري في حق أحد هؤلاء: «من حَدَّثَ بهذا؛ استوجب الضرب الشديد، والحبس الطويل»، بل قال يحيى بن معين ـ لما ذُكِرَ له حديث سويد الأنباري: «من عشق، وعف، وكتم، ثم مات ـ مات شهيدًا»، قال: هو حلال الدم»[4].

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما الأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة؛ ليلبسوا بها علىٰ أهل الإسلام، أو الأحاديث الضعيفة ـ إما لضعف رواتها، أو جهالتهم، أو لعلة فيها ـ، فلا يجوز أن يُقَالَ بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها»[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالواجب أن يُفَرِّقَ بين الحديث الصحيح والحديث الكَذِبِ؛ فإن السنة هي الحق دون الباطل، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة، فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عمومًا، ولمن يدعي السنة خصوصًا»[6].

وقال ـ أيضًا ـ: «الاستدلال بما لا تُعلم صحته لا يجوز بالاتفاق؛ فإنه قول بلا علم، وهو حرام بالكتاب، والسنة، والإجماع»[7].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الأحكام الشرعيةَ متساويةُ الأقدام، لا فرقَ بينها، فلا يحلُّ إذاعةُ شيء منها إلا بما يقوم به الحجة، وإلا كان من التقول علىٰ الله ما لم يَقُلْ، وفيه من العقوبة ما هو معروف»[8].

(1) رواه مسلم في «السابق» (٤).
(2) قال النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه: «معناه أنه إذا حدَّث بكل ما سمع؛ كثر الخطأ في روايته، فتُرك الاعتماد عليه، والأخذ عنه» ا هـ. من «شرح النووي» (١/ ٧٥).
(3) «صحيح سنن ابن ماجه» رقم (٢١).
(4) انظر: «الإسرائيليات، والموضوعات في كتب التفسير»، ص (٢٩).
(5) «ذم التأويل»، ص (٤٧).
(6) «مجموع الفتاوى»، (٣/ ٣٨٠).
(7) «منهاج السنة النبوية»، (٧/ ٦٧ ـ ٦٨).
(8) «الفوائد المجموعة»، ص (١٠٠).

المطلب الثاني

الاعْتِمَادُ عَلَى مَرْوِيَّاتِ الرَّافِضَةِ، وَغُلَاةِ الصُّوفِيَّةِ

ـ كاعتماد بعضهم على كتاب «عنقاء مُغرِب»، لابن عربي الصوفي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تعالىٰ ـ: «وابن عربي في كتاب «عَنقاء مُغْرِب» وغيره أخبر بمستقبلات كثيرة، عامتها كذب»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدَّس الله روحه، ونوَّر ضريحه ـ:

«ومن أمثلة ذلك: أنك تجد عند الرافضة والمتشيعة ومن أخذ عنهم من دعوى علوم الأسرار والحقائق التي يدَّعون أخذها عن أهل البيت، إما من العلوم الدينية، وإما من علم الحوادث الكائنة ما هو عندهم من أجَلِّ الأمور التي يجب التواصي بكتمانها، والإيمان بما لا يعلم حقيقته من ذلك، وجميعها كذب مختلق، وإفك مفترى، فإن هذه الطائفة «الرافضة» من أكثر الطوائف كذبًا، وإدعاءً للعلم المكتوم، ولهذا انتسبت إليهم الباطنية والقرامطة.

وهؤلاء خرج أولهم في زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وصاروا يدَّعون أنه خُصَّ بأسرار من العلوم والوصية، حتىٰ كان يسأله عن ذلك خواص أصحابه، فيخبرهم بانتفاء ذلك، ولما بلغه أن ذلك قد قيل؛ كان يخطب الناس، وينفي ذلك عن نفسه»اهـ(٢).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما ما يرويه أهل الكذب والجهل من اختصاص عليٍّ بعلم انفرد به عن الصحابة؛ فكله باطل.. وكذلك ما يذكر أنه كان عنده علم باطن امتاز به عن أبي بكر وعمر وغيرهما: فهذا من مقالات الملاحدة الباطنية»(٣).

وقد ادَّعى «محمد عيسى داود» أن عليًا ﷺ تلقى العلـوم الظاهرة والباطنة من النبي ﷺ(٤)، وكذا الأسرارَ الغيبيةَ المتعلقةَ بكل ما يحدث في العالم حتىٰ يوم القيامة، ثم إن عليًا لَغَّزَ(٥) هذه العلوم بالرموز، والحروف المقطعة، والأشكال الخاصة، وادَّعى أن ذلك لا يطلع عليه إلا ورثة علم سيدنا علي من آل البيت الشريف(٦).

---

(١) «مجموع الفتاوى»، (٤/٨١).

(٢) «السابق» (٤/٧٧).

(٣) «السابق» (٤/٤١٢ ـ ٤١٣)، وانظره: (٣٥/١٨٦).

(٤) وهذا أحد مظاهر التزاوج بين الشيعة، والصوفية، انظر: «قطر الولي»، ص (٨٠ ـ ٨١).

(٥) وتساءل: «هل يمكن أن تكون هذه القوانين مصاغة(!) في صورة كلمات، وجمل، هي رموز، و«شفرات»؟ وسمَّى هذا الفعل المُفْتَرَى على أمير المؤمنين علي ﷺ «التلغيز الكريم»، و«التشفير العظيم»، وزعم أنه كان بتوجيه المصطفى ﷺ، انظر كتابه «المفاجأة»، ص (٦١).

(٦) «المفاجأة»، ص (٥٨ ـ ٥٩)، وقد نشر بداخل الكتاب دائرة فيها، رموز، وطلاسم، ورسوم غريبة أشبه ما تكون بما يرسمه الدجالون، وصناع الأحجبة!

- وزعم - أيضًا - أن أهل البيت توارثوا كتاب «الجامعة»، وادَّعى أنه إملاء من رسول الله ﷺ، وخط علي رضي الله عنه[(١)].

- وادَّعى - أيضًا - حجية «الجفر» المزعوم[(٢)]، وذكر استدلالات منه على إعادة بناء الهيكل اليهودي[(٣)].

- وقال في شأن «الجفر»: (وفي الجفر الكبير «الأحمر» علوم صريحة واضحة الأُحداث والمعالم، و«الجفر الصغير» مجموعات علوم، وتنبؤات ملغزة بقواعد علم الحرف، تلك العلوم الشديدة الخصوصية، والتي لا يعرفها إلا ندرَةٌ من أهل العلم)[(٤)].

فيا أسفا على مصنفين من أهل السنة، يُخدعون بمثل هذا الإنسان، ويرتضونه لهم قائدًا:

أَعْـمَـى يَـقُـودُ بَـصِـيـرًا لَا أَبَـا لَـكُـمُ   قَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَتِ الْعُمْيَانُ تَهْدِيهِ



(١) «السابق»، ص (٥٦).

(٢) «السابق»، ص (٥٧)، وراجع: «المهدي» هامش (٤) ص (٣٨٩ - ٣٩٠)، وانظر فيما يأتي ص (١٠٩ - ١١١). وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وأما الكذب والأسرار التي يدَّعونها عن جعفر الصادق: فمن أكبر الأشياء كذبًا، حتى يقال: «ما كُذِب على أحدٍ ما كُذِبَ على جعفر رضي الله عنه».

«ومن هذه الأمور المضافة: كتاب «الجفر» الذي يدعون أنه كتب فيه الحوادث»اهـ. من «مجموع الفتاوى» (٤/٧٧- ٧٨)، وانظره أيضًا: (٣٥/١٨٣ - ١٨٤).

(٣) «السابق»، ص (٣١٦)، وما بعدها.

(٤) «المفاجأة»، ص (٦١)، وقد أفرد «السندباد المصري» الجفر بمصنف أسماه «أسرار الهاء في الجفر» في ست وثلاثين وخمس مئة صفحة أتي فيه بطامات تستوجب تعزيره، والحجر عليه استصلاحًا للديانة، وحماية للمسلمين من دجله.

المطلب الثالث

الْغُلُوُّ فِي تَقَبُّلِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ(١)

تمتلئ كتب «العابثين بأشراط الساعة» بعشرات الأخبار الإسرائيلية المنقولة عن كتب اليهود والنصارى، وقد فصَّل العلماء الموقفَ من هذه الإسرائيليات، وبينوا أنها على ثلاثة أقسام:(٢)

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ:

ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن والسنة، والقرآن هو الكتاب المهيمن، والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو حق وصدق، وما خالفه فهو باطل وكذب. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٨].

وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غُنْيَةٌ عنه، ولكن يَجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم؛ وذلك مثل ما ذكر في صاحب موسى ـ عليه السلام ـ، وأنه الخَضِرُ، فقد ورد في الحديث الصحيح، ومثل ما يتعلق بالبشارة بالنبي ﷺ، وبرسالته، وأن التوحيد هو دين جميع الأنبياء؛ مما غفلوا عن تحريفه، أو حرفوه، ولكن بقي شعاع منه يدل على الحق.

وفي هذا القسم: ورد قوله ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(٣)، قال الحافظ في «الفتح»: «أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تَقَدَّمَ منه ﷺ الزجرُ عن الأخذ عنهم، والنظرِ في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية، خشيةَ الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك؛ لما في سماع الأخبار التي كانت في زمنهم من الاعتبار»(٤).

(١) الإسرائيليات: جمع إسرائيلية؛ نسبة إلى بني إسرائيل؛ والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافي، لا لصدره، وإسرائيل هو يعقوب ـ عليه السلام ـ؛ أي: عبدالله؛ وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد إلى عهد موسى، ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى ـ عليه السلام ـ، وحتى عهد نبينا محمد ﷺ، وانظر: «الإسرائيليات، والموضوعات في كتب التفسير»، ص (٢١).

(٢) انظر: «التفسير والمفسرون»، (١/١٦٥ ـ ١٨٣)، و«الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير»، ص (١٥٠ ـ ١٥٦).

(٣) رواه البخاري، (٣٤٦١)، (٤٩٦/٦ ـ فتح).

(٤) «فتح الباري»، (٤٩٨/٦).

القِسْمُ الثَّانِي:

ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه؛ وذلك مثل ما ذكروه في قصص الأنبياء، من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ؛ كقصة يوسف، وداود، وسليمان، ومثل: ما ذكروه في توراتهم: من أن الذبيح إسحاق، لا إسماعيل، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترنا ببيان كذبه، وأنه مما حرفوه، وبدلوه، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١].

وفي هذا القسم: ورد النهي عن النبي ﷺ للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حديث: «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حَسَنٍ: أما ما عُلِمَ كَذِبُهُ فلا[(١)].

ولعلَّ هذا هو المراد من قول ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أُنزل علىٰ رسول اللّه ﷺ أحدثُ[(٢)] الأخبار باللّه، تقرءونه مَحْضًا لم يُشَبْ؟[(٣)]، وقد حدَّثكم اللّه أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب اللّه، وغيَّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩]، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، ولا واللّه ما رأينا منهم رجلًا قطُّ يسألكم عن الذي أُنزل عليكم»[(٤)].

القِسْمُ الثَّالِثُ:

ما هو مسكوت عنه، لا من هذا، ولا من ذاك، فلا نؤمن به، ولا نُكَذِّبُهُ؛ لاحتمال أن يكون حقًّا فنكذبه، أو باطلا فنصدقه، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم[(٥)].

ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة، قال: «كان أهل الكتاب يقرءُون التوراة بالعبرانية. ويُفَسِّرُ بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول اللّه ﷺ: «**لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا** ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾... الآية [العنكبوت: ٤٦][(٦)]، ومع هذا: فالأولى عدم ذكره، وأن لا نضيع الوقت في الاشتغال به[(٧)]، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَرَدَ حديث

---

(١) «السابق»، ص (٦/٤٩٨ ـ ٤٩٩).
(٢) أحدث: آخر الكتب السماوية نزولًا من عند اللّه ـ تعالى ـ، وفي رواية: «أحدث الأخبار باللّه».
(٣) لم يُشَب: لم يُخلَط بغيره قط؛ لأنه محفوظ من التبديل، والزيادة وفي رواية: «تقرءونه محضًا لم يُشَب»
(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢٦٨٥)، (٥/٢٩١ ـ فتح)، (٧٣٦٣)، (١٣/٣٣٣ ـ ٣٣٤).
(٥) انظر: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، للإمام المفسر برهان الدين البقاعي، (١/٢٧٢ ـ ٢٧٧).
(٦) رواه البخاري (٧٣٦٢)، (١٣/٣٣٣ ـ فتح).
(٧) وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني مما أبهمه اللّه ـ تعالى ـ في القرآن، ولا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم، أو دنياهم.

أخرجه الإمام أحمد، وابن أبي شيبة والبزار، من حديث جابر: أن عمر أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه، فغضب، وقال: **«لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ، فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»**، ورجاله موثقون: إلا أن في مجالدٍ - أحدِ رواته - ضَعْفًا، وأخرج البزّارُ - أيضًا -، من طريق عبدالله بن ثابت الأنصاري: أن عُمَرَ نسخ صحيفة من التوراة، فقال: رسول الله ﷺ: **«لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ»**، وفي سنده جابر الجعفي، وهو ضعيف، واستعمله - يعني البخاري - في الترجمة لورود ما يشهد بصحته من الحديث الصحيح»[1].

قال ابن بَطَّال عن المهلب: «هذا النهي في سؤالهم عما لا نصَّ فيه؛ لأن شرعنا مُكْتفٍ بنفسه، فإذا لم يُوجدْ فيه نص، ففي النظر والاستدلال غِنًى عن سُؤَالِهِم، ولا يدخل في النهي سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا، والأخبار عن الأمم السالفة»[2].

● **تَشْدِيدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رضي الله عنه عَلَى مَنْ كَانَ يَكْتُبُ شَيْئًا مِنْ كُتُبِ الْيَهُودِ:**

وقد كانت مَقَالَةُ النبي ﷺ لعمرَ رضي الله عنه، وغضبه لكتابته شيئًا من التوراة، درسًا تعلم منه سيدنا عمر، ومنهجًا أخذ الناس به؛ فقد روى الحافظ أبو يعلى، بسنده، عن خالد ابن عرفطة قال: «كنت جالسا عند عمرَ، إذ أُتي برجل من عبدالقيس، مسكنه بالسوس، فقال له عمر، أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم، قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم، فضربه بقناة معه. فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟!. فقال له عُمَرُ: اجلِسْ، فَجَلَسَ، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ١-٣]، فقرأها عليه ثلاثًا، وضربه ثلاثًا، فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟! قال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال[3]، قال: مُرْني بأمرك أتَّبِعْهُ، قال: انطلق فامحه بالحميم[4]، والصوف الأبيض، ثم لا تقرأْهُ، ولا تُقْرِئْهُ أحدًا من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته، أو أقرأته أحدًا من الناس لأنهكنك عقوبة، ثم قال: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقتُ أنا فانتسختُ كتابًا من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم[5]، فقال لي رسول الله ﷺ: **«مَا هَذَا فِي يَدِكَ يَا عُمَرُ؟»** قلت: يا رسولَ اللَّه، كتابٌ نسختُهُ لنزداد به علمًا إلى علمنا، فغضب رسول اللَّه ﷺ، حتى احمرت وجنتاه، ثم نُودِيَ

---

(١) «فتح الباري»، (١٣/٣٣٤)، وانظره: (١٣/٥٢٥).

(٢) «السابق».

(٣) أحد أنبياء بني إسرائيل.

(٤) الحميم: الماء الحار.

(٥) الأديم: الجلد.

بـ«الصَّلاةُ جَامِعَةٌ»، فقالت الأنصار: أغضب نبيُّكم؟ السلاحَ السلاحَ، فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ، فقال: **«يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَخَوَاتِيمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِيَ اخْتِصَارًا، وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، فَلَا تَهَوَّكُوا، وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ الْمُتَهَوِّكُونَ»**[1]. قال عمر: فقمتُ، فقلتُ: «رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبك رسولًا، ثم نَزَلَ رسول الله ﷺ».

وروى الحافظ أبو بكر الإسماعيلي بسنده عن جبير بن نفير: أن رجلين كانا بحمص في خلافة عُمَرَ ﷺ، فأرسل إليهما فيمن أرسل من أهل حمص، وكانا قد اكتتبا من اليهود شيئًا في صحيفة، فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين عمر، فلما قدما عليه قالا: إنا بأرض أهل الكتاب، وإنا نسمع منهم كلامًا تقشعرُّ منه جلودنا، أفنأخذ منه ونترك؟ فقال سأحدثكما... ثم ذكر قصته لما كتب شيئًا أعجبه من كلام اليهود، وقرأه عليه، فغضب الرسول، وصار يمحوه بريقه، ويقول: **«لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَوَّكُوا، وَتَهَوَّكُوا»**[2]، حتى محا آخرَهُ، حَرْفًا حَرْفًا، ثم قال عمر: «فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئا جعلتكما نَكَالًا لهذه الأمة» قالا: «والله ما نكتبُ منه شيئًا»، ثم خرجا بصحيفتهما، فحَفَرَا لها، وعَمَّقَا في الحفر، ودفناها، فكان آخر العهد منها[3].

ونقل الحافظ في «الفتح» عن الإمام الشافعي - رحمه الله - قوله في حديث: **«حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا حَرَجَ»**: «من المعلوم أن النبي ﷺ لا يُجِيزُ التحدث بالكذب؛ فالمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كَذِبَهُ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم، وهو نظير قوله: **«إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ»**، ولم يرد الإذن[4]، ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه»[5].

وقال: الحافظ في الفتح في حديث: **«لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ...»**: (أي إذا كان ما يخبرونكم به مُحْتَمَلًا؛ لئلا يكون في نفس الأمر صدقًا فتكذبوه، أو كذبًا فتصدقوه، فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نَبَّهَ على ذلك الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، ويؤخذ من هذا الحديث: التوقف عن الخوض في المشكلات، والجزم فيها بما يقع في الظن، وعلى هذا: يُحْمَلُ ما جاء عن السلف من ذلك)[6]. اهـ.

وبهذا البيان والتوفيق بين المرويات في هذا الباب: ظهر أن لا تعارض بينها، ولا يخالف بعضها بعضًا، وأن لكل حالة حكمها.

---

(١) المتهوك: المتحير الشاكُّ.

(٢) أي شَكُّوا، وشككوا غيرهم.

(٣) «تفسير القرآن العظيم»، للحافظ ابن كثير - رحمه الله - (٤/٤١٢ - ٤١٣)، ط. المنار.

(٤) أي: «فيما عُلِم كَذِبُه»؛ لتستقيم العبارة.

(٥) «فتح الباري»، (٦/٤٩٩).

(٦) «السابق»، (٨/١٧٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ تعالىٰ ـ: (الاختلاف في التفسير علىٰ نوعين: منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يُعْلَمُ بغير ذلك؛ إذ العلم: إما نقل مُصَدَّق، وإما استدلال مُحَقَّق.

والمنقول: إما عن المعصوم، وإما عن غير المعصوم. والمقصود بأن جنس المنقول سواء كان عن المعصوم أو غير المعصوم ـ وهذا هو النوع الأول ـ منه ما يمكن معرفة الصحيح منه؛ والضعيف، ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه، وهذا القسم الثاني من المنقول؛ وهو: ما لا طريق إلىٰ الجزم بالصدق منه ـ فالبحث عنه مما لا فائدة فيه، والكلام فيه من فضول الكلام، وأما ما يحتاج المسلمون إلىٰ معرفته: فإن اللَّه نصب علىٰ الحق فيه دليلًا.

فمثال ما لا يفيد، ولا دليل علىٰ الصحيح منه: اختلافهم في أحوال «أصحاب الكهف» وفي «البعض» الذي ضَرَبَ به موسى من البقرة، وفي مقدار «سفينة نوح»، وما كان خَشَبُهَا، وفي اسم «الغلام» الذي قتله الخَضِرُ، ونحو ذلك، فهذه الأمور طريق العلم بها: النقل، فما كان من هذا منقولًا نقلًا صحيحًا عن النبيِّ ﷺ؛ كاسم صاحب موسى أنه الخَضِرُ ـ فهذا معلومٌ، وما لم يكن كذلك، بل كان مما يُؤْخَذُ عن أهل الكتاب؛ كالمنقولِ عن كعب، ووهب، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم؛ ممن يأخذ عن أهل الكتاب، فهذا لا يجوز تصديقه، ولا تكذيبه إلا بحجة[١]، كما ثبت في الصحيح عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، فَإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوهُ، وَإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوهُ»**.

وكذلك: ما نُقِلَ عن بعض التابعين، وإن لم يَذْكُرْ أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعضُ أقوالهم حجةً علىٰ بعض، وما نُقِلَ في ذلك عن بعض الصحابة نقلًا صحيحًا، فالنفس إليه أسكن مما نُقِلَ عن بعض التابعين؛ لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي ﷺ، أو من بعض من سمعه منه أقوى، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين، ومع جزم الصاحب فيما يقوله، كيف يُقَالُ: إنه أخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم[٢]؟!، والمقصود أن الاختلاف الذي لا يُعْلَمُ صحيحه، ولا تفيد حكايةُ الأقوال فيه: هو كالمعرفة؛ لما يُرْوَى من الحديث الذي لا دليل علىٰ صحته، وأمثال ذلك. وأما القسم الأول الذي يمكن معرفة الصحيح منه، فهذا موجود فيما يُحْتَاجُ إليه، ولله الحمد)[٣]. اهـ.

وقال في موضع آخر: (وغالب ذلك ـ يعني المسكوت عنه ـ مما لا فائدة فيه يعود إلىٰ أمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك كما

(١) انظر: «الرد على البكري»، ص (٦).

(٢) والجواب عن ذلك: أنهم أخذوا عنهم لما فهموا من الإذن، والإباحة من قوله ﷺ: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا حَرَجَ»، مادام لم يدل دليلٌ على كذبه.

(٣) «مقدمة في أصول التفسير»، ص (١٧ ـ ٢٠).

يذكرون في مثل هذا أسماءَ أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى، من أي الشجر كانت؟، وأسماءَ الطيور التي أحياها اللَّه لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضُرِب به المقتول من البقرة، ونوع الشجرة التي كلَّم اللَّه منها موسى، إلىٰ غير ذلك؛ مما أبهمه اللَّه في القرآن؛ مما لا فائدة في تعيينه تعود علىٰ الْمُكَلَّفِينَ في دنياهم، ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز؛ كما قال - تعالىٰ -: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة علىٰ الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا؛ فإنه - تعالىٰ - أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضَعَّفَ القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدلَّ علىٰ صحته؛ إذ لو كان باطلًا لرَدَّهُ كما رَدَّهُما، ثم أَرْشَدَ إلى أن الاطلاع علىٰ عدتهم لا طائل تحته؛ فَيُقَالُ في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾، فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس، ممن أطلعه اللَّه عليه؛ فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾؛ أي: لا تُجْهِدْ نفسك فيما لا طائلَ تحته، ولا تسألهم عن ذلك؛ فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب، فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تُستوعبَ الأقوال في ذلك المقام، وأن يُنَبَّه علىٰ الصحيح منها، ويُبْطَلَ الباطل، وتُذْكَرَ فَائِدَةُ الخلاف، وثمرتُهُ؛ لئلا يطول النزاع، والخلاف فيما لا فائدة تحته، فَيُشْتَغَلَ به عن الأهم، فأما من حكى خلافًا في مسألة، ولم يستوعب أقوال الناس فيها، فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه، ولا ينبه علىٰ الصحيح من الأقوال، فهو ناقص - أيضًا -، فإن صحح غير الصحيح عامدًا، فقد تعمد الكذبَ، أو جاهلًا، فقد أخطأ، كذلك من نصب الخلافَ فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالًا متعددة لفظًا، ويرجع حاصلها إلى قول، أو قولين معنى، فقد ضَيَّعَ الزمان، وتَكَثَّر مما ليس بصحيح، فهو كلابس ثَوْبَيْ زور، واللَّه الموفق للصواب»[1].

مَوْقِفُ الْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ مِنَ الْقِسْمِ الثَّالِثِ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة «البداية والنهاية»:

«ولسنا نَذْكُرُ من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب اللَّه، وسنة رسوله ﷺ، وهو القسمُ الذي لا يُصَدَّق ولا يُكَذَّب؛ مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم

(١) «المرجع السابق»، (٤٦ - ٤٧).

وَرَدَ به شرعنا، مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلي به، لا على سبيل الاحتياج إليه، والاعتماد عليه.

وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب اللَّه، وسنة رسوله ﷺ، ما صَحَّ نقله أو حسن، وما كان فيه ضعف نُبَيِّنُهُ، واللَّه المستعانُ، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العزيز الحكيم، العلي العظيم»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا المقصود من قوله ﷺ: «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»: إنه «محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار، وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق، فلا حاجة بنا إليه؛ استغناءً بما عندنا، وما شَهِدَ له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردودٌ لا يجوز حكايته، إلا على سبيل الإنكار والإبطال.

فإذا كان اللَّه - سبحانه - وله الحمد - قد أغنانا برسولنا محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما وقع فيه خبط وخلط، وكَذِبٌ ووضع، وتحريفٌ وتبديل، وبعد ذلك كله نسخٌ وتغيير»[2].

● **تَعْلِيقُ الْعَلَّامَةِ أَحْمَد شَاكِر عَلَى كَلَامِ الْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ وَمَنْ وَافَقَهُ:**

«إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه - شَيْءٌ، وذِكْرُ ذلك في تفسير القرآن، وجَعْلُهُ قَوْلًا أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يُعَيَّن فيها، أو في تفصيل ما أُجْمِلَ فيها - شَيْءٌ آخر!

لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام اللَّه ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبَيِّنٌ لمعنى قول اللَّه - سبحانه -، ومُفَصِّلٌ لما أُجْمِلَ فيه، وحاشا للَّه ولكتابه من ذلك.

وإن رسول اللَّه ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم - أَمَرَنَا أن لا نُصَدِّقَهُمْ ولا نُكَذِّبَهُمْ، فأيُّ تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب اللَّه، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟! اللهم غفرًا».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«.. وفي القرآن غُنْيَةٌ عن كل ما عَدَاهُ من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وُضِعَ فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحُفَّاظِ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين؛ كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء، والسادة والأتقياء، والبررة والنجباء،

(١) «البداية والنهاية»، (١/٦).
(٢) «السابق»؛ (١/٦ - ٧).

من الجهابذة النقاد، والحُفَّاظ الجياد، الذين دَوَّنوا الحديث وحرَّروه، وبيَّنوا صحيحه من حسنه من ضعيفه، من منكَره وموضوعه، ومتروكه ومكذوبه، وعرَّفوا الوضَّاعين، والكذَّابين، والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي، خاتم الرُّسُل، وسيد البشر ﷺ أن يُنْسَبَ إليه كَذِبٌ، أو يُحدَّثَ عنه بما ليس منه، فرضي اللَّه عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير الآيات (٥١-٥٦) من سورة الأنبياء، بعد إشارته إلىٰ حال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أبيه، ونظره إلىٰ الكواكب والمخلوقات -: «وما قَصَّه كثير من المفسِّرين وغيرهم، فعامَّتُها أحاديثُ بني إسرائيل، فما وافقَ منها الحقَّ مما بأيدينا عن المعصوم قَبِلْناه؛ لموافقته الصحيح، وما خالف منها شيئًا من ذلك رَدَدْناه، وما ليس فيه موافقةٌ ولا مخالفةٌ، لا نصدِّقه ولا نكذِّبه، بل نجعله وَقْفًا، وما كان من هذا الضَّرْب منها فقد رخَّص كثير من السلف في روايته، وكثيرٌ من ذلك مما لا فائدة فيه، ولا حاصلَ له مما يُنْتَفَع به في الدِّين، ولو كانت فائدتُهُ تعود علىٰ المكلَّفين في دينهم لبيَّنَتْهُ هذه الشريعةُ الكاملةُ الشاملةُ، والذي نَسْلُكُه في هذا التفسير الإعراضُ عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية؛ لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثيرٌ منها من الكذب المُرَوَّج عليهم؛ فإنهم لا تَفْرِقَةَ عندهم بين صحيحها وسقيمها، كما حرَّره الأئمةُ الحفَّاظ المُتْقِنُون من هذه الأمة».

وقال عند تفسير الآية (١٠٢) من سورة البقرة: «وقد رُوي في قصة هاروتَ وماروتَ عن جماعة من التَّابعين؛ كمجاهد، والسُّدي، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، والزهري، والرَّبيع بن أنس، ومقاتل بن حيَّان، وغيرهم، وقصَّها خلقٌ من المفسِّرين، من المتقدِّمين والمتأخِّرين، وحاصلُها راجع في تفصيلها إلىٰ أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديثٌ مرفوع صحيح متَّصلُ الإسناد إلىٰ الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهرُ سياق القرآن إجمالُ القصة من غير بَسْطٍ ولا إطنابٍ فيها، فنحن نُؤْمِنُ بما ورد في القرآن علىٰ ما أراده اللَّه - تعالىٰ -، واللَّه أعلم بحقيقة الحال».

وقال في أول سورة ق: «وقد رُوي عن بعض السلف أنهم قالوا: ق، جبل مُحيطٌ بجميع الأرض، يقال له جبل قاف!!! وكأنَّ هذا - واللَّه أعلم - من خرافاتِ بنى إسرائيل التي أخذها عنهم بعضُ الناس؛ لِمَا رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدَّق ولا يكذَّب، وعندي أن هذا وأمثالَهُ وأشباهَهُ من اختلاقِ بعض زنادقتهم، يُلَبِّسُونَ به علىٰ الناس أمرَ دينهم؛ كما افْتُرِيَ في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها، وحفَّاظها، وأئمتها - أحاديثُ علىٰ النبي ﷺ، وما بالعَهْدِ من قِدَمٍ؛ فكيف بأمةِ بني إسرائيلَ، مع طول المدَى، وقلة الحفَّاظ النُّقَّادِ فيهم، وشُرْبِهِمُ الخمورَ، وتحريف علمائِهم الكلمَ عن مَوَاضعه، وتبديلِ كُتُب اللَّه وآياتِه، وإنما أباح الشارعُ الروايةَ عنهم في قوله: «**وَحَدِّثُوا عَنْ**

بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ» ـ فِيمَا قد يُجَوِّزُه العقل، فأما فيما تُحِيلُه العقول، ويُحْكَم فيه بالبُطلان، ويَغْلُبُ على الظنون كذبُهُ، فليس من هذا القَبِيل».

وقال عند تفسير الآيات (٤١-٤٤) من سورة النمل، وقد ذكر في قصة ملكة سبإ أثرًا طويلًا عن ابن عباس، وَصَفَه بأنه «منكرٌ غريبٌ جدًّا»، ثم قال: (والأقربُ في مثل هذه السياقات أنها متلقَّاةٌ عن أهل الكتاب، مما وُجِدَ في صُحُفِهم، كروايات كَعْب، وَوَهْب، سامحهما الله فيما نقلاه إلىٰ هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل، من الأوابد، والغرائب، والعجائب، مما كان، وما لم يكن، ومما حُرِّف، وبُدِّلَ، ونُسِخَ، وقد أغنانا الله ـ سبحانه ـ عن ذلك بما هو أصحُّ منه، وأنفعُ، وأوضحُ، وأبلغُ، ولِلّهِ الحمْدُ والمنَّة».

وقال عند تفسير الآية (٤٦) من سورة العنكبوت، بعد أن رَوَىٰ الحديث: «إذا حدَّثكم أهلُ الكتابِ فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم»، قال: «ثُمَّ لِيُعْلَم أنَّ أكثرَ ما يتحدَّثون به غالبُهُ كذبٌ وبهتانٌ؛ لأنه قد دخله تحريفٌ، وتبديل، وتغيير، وتأويل، وما أقلَّ الصدقَ فيه! ثم ما أقلَّ فائدتَه لو كان صحيحًا!».

وقال عند تفسير الآية (١٩٠) من سورة الأعراف: «ثم أخبارُهم علىٰ ثلاثة أقسام: فمنها ما علمنا صحتَهُ، بما دلَّ عليه الدليلُ من كتاب الله، أو سنة رسوله؛ ومنها ما علمنا كذبَه؛ بما دلَّ علىٰ خلافه من الكتاب والسنة ـ أيضًا ـ، ومنها ما هو مسكوتٌ عنه، فهو المأذون في روايته، بقوله ـ عليه السلام ـ: «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»، وهو الذي لا يُصدَّق ولا يُكذَّب؛ لقوله: «**فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**».

وهناك قصةٌ طويلةٌ جدًّا، رواها النسائي في باب التفسير من السنن الكبرى، التي لم نَرَها، وابنُ أبي حاتم في تفسيره، عن ابن عباس، ويسميها الحافظُ ابنُ كثير «حديثَ الفُتُون»، ساقه بِطُوله عند تفسير قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾، من الآية (٤٠) من سورة طه، ثم قال: «وهو موقوفٌ من كلام ابن عبّاس، وليس فيه مرفوعٌ إلَّا قليلٌ منه، وكأنَّه تلقَّاه ابن عباس مما أُبيح نقله من الإسرائيليات، عن كعب الأحبار، أو غيره، والله أعلم، وسمعتُ شيخَنا أبا الحجاج المِزِّي يقول ذلك ـ أيضًا».

وهذا الحديثُ ـ حديثَ الفتون ـ يشيرُ إليه الحافظ ابن كثير، في مواضعَ متعددةٍ من تفسيره، وقد نفيتُه عن كتابي هذا نَفْيًا، ولم أُشِرْ إليه إلَّا مرةً واحدةً، عند أول مرة أشار إليه ابنُ كثير فيها، عند تفسير الآية (٤٩) من سورة البقرة، ثم أعرضتُ عن الإشارة إليه ـ إن شاء الله ـ؛ فلا أُشِيرُ إليه إلَّا أنْ أُضْطَرَّ إلىٰ ذلك اضطرارًا، وأسأل الله التوفيق والتيسير، والهدى والسداد.

ومن أعظم الكَلِم في الدلالة علىٰ تنزيه القرآن العظيم عن هذه الأخبار الإسرائيلية ـ كلمةٌ لابن

عباس، رواها البخاري في صحيحه، ونقلها عنه الحافظُ ابنُ كثير، عند تفسير الآية (٧٩) من سورة البقرة؛ فقال ابن عباس: «يا معشَرَ المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابُكم الذي أنزل اللّه على نبيّه أحدَثُ أخبارِ اللّه، تقرءونه مَحْضًا لم يُشَبْ! وقد حدَّثكم اللّه أنَّ أهل الكتابِ قد بَدَّلُوا كتابَ اللّهِ وغيَّروه، وكتبوا بأيديهم الكتابَ، وقالوا: هو من عند اللّه؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا، أفَلَا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مُسَاءَلَتِهِم؟ ولا واللّه ما رأينا منهم أحدًا قَطُّ سألكم عن الذي أُنزل إليكم».

وهذه الموعظةُ القويةُ الرائعةُ، رواها البخاري في ثلاثة مواضعَ من صحيحِهِ: [٥:٢١٥، و١٣:٢٨٢، ٤١٤ من فتح الباري]. اهـ[١].

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه اللّه - تعالى -، وهو يناقش حكم النظر في كتب أهل الكتاب: «والذي يظهر أن كراهية ذلك للتنزيه لا للتحريم، والأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكن ويَصِرْ من الراسخين في الإيمان؛ فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك، بخلاف الراسخ؛ فيجوز له، ولا سيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدل على ذلك نقلُ الأئمة قديمًا وحديثًا من التوراة، وإلزامُهُمُ اليهودَ بالتصديق بمحمد ﷺ بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جوازَ النظر فيه لما فعلوه، وتواردوا عليه»[٢].

وقال علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي - رحمه اللّه - تعالى - بعد بحث طويل عن وقوع التبديل في كتب أهل الكتاب: (وبالجملة فكتب الكتابيِّين، كأقوالهم، لا يُعتمد عليها كلِّها؛ لظهور الكذب والتناقض فيها إلى اليوم، ولظهور تلفيقها؛ فهي ككتب القصص عندنا، فيها شيء من القرآن والسنة، ولكنه ممزوج بالأكاذيب والآراء المقتبسة من الأمم، ثم إن موافقة القرآن الكريم، أو الحديث الصحيح، لبعض ما في كتبهم دون بعض - تدل على أن اللّه - تعالى - بيَّنَ له حقَّ كلامهم من باطله، وصِدْقَهُ من كَذِبِهِ، وهذا معنى قوله - تعالى -: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال بعضهم: «لا شيْءَ يُعَوَّلُ عليه في صِحَّةِ بعض أقوالِ كُتُبِ اليهود دون بعض، بعدما طَرَأَ عليها من الضياع، والتحريف، والخلط، إلا الوحي، وقد ثبتت نبوةُ محمَّدٍ ﷺ بالدلائل الساطعة، والآثار النافعة». انتهى؛ أي: فَعَلَى وحيه المُعَوَّل؛ فالحمد للّه الذي وفقنا لاتباعه). اهـ[٣].

وَبَعْدُ: فهذه أقسام الإسرائيليات، والموقف الصحيح من كل قسم منها، وعلينا الآن أن نتساءل:

هل المنهج الذي سَلَكَهُ العابثون بأشراط الساعة يعكس التزامهم بالضوابط التي وضعها العلماء في حكاية الإسرائيليات؟ والجواب بالنفي:

(١) «عمدة التفسير»، (١/١٣ - ١٧).
(٢) «فتح الباري»، (١٣/٥٢٥ - ٥٢٦).
(٣) «محاسن التأويل»، (١/٥٠).

أَوَّلًا: لأن مِن القوم مَن يروون كل ما يقفون عليه منها بغضِّ النظر عن هذا التقسيم.

ثَانِيًا: ولأن من يقتصرون علىٰ حكاية القسم الثالث منها[1] لا يذكرون ذلك استشهادًا وتحلية - علىٰ حد تعبير ابن كثير -، وإنما اعتقادًا، واستدلالًا، واحتجاجًا، بل منهم من يُقْسِمُ علىٰ صحة ما فيه، ومنهم من يُعَبِّرُ عن هذه «الإسرائيلياتِ» بالوحي القديم[2].

وَثَالِثًا: لأنهم عامَّتهم - كما يتضح من كتاباتهم - ليسوا من الراسخين الذين يجوز لهم النظر في كتب أهل الكتاب، كما قال الحافظ ابن حجر[3] رَحِمَهُ اللَّهُ؛ ولذلك تأتي أقوالهم - بل أقوال الواحد منهم - متعارضة متضاربة، يكذب بعضها بعضًا، وينقض آخرها أولها.

وَرَابِعًا: أن منهم من يتجاوز الاستشهاد بالإسرائيليات إلىٰ الاستدلال بها، ثم يزيد الطينَ بِلَّة حين يُضِيفُ إلىٰ ذلك الاستدلال بتفسيرات علمائهم ومفكريهم لها، فإذا كانت هذه الإسرائيليات نفسها محل توقف في كونها وحيًا معصومًا أو لا، فهل هناك توقف أو تردد في أن علماءهم وأحبارهم ومفكريهم غارقون في التيه، والحيرة، والضلال المبين؟



(١) راجع ص (٩٣).
(٢) راجع ص (٤٧).
(٣) تقدم نقله عنه آنفًا ص (١٠١).

ظَاهِرَةُ «التَّطْبِيعِ» مَعَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ

إن النقل عن أهل الكتاب لم يقف عند الحد المسموح به، وإنما خرج الأمر عن كونه استشهادًا مشروطًا بشروط إلىٰ كونه «ظاهرةً ملحةً متكررةً»، أكسبت الإسرائيليات في نفوس العوام صفة المرجعية، ولأول مرة ترتقي الإسرائيليات ـ علىٰ يد هذه الكوكبة من رواد «التطبيع الفكري مع الإسرائيليات» ـ إلىٰ مستوى الحجية والمصداقية، وإذا بالقوم يفخرون «بالتهوك»[1]، ويمعنون فيه حتىٰ إنه لتؤلف كتب ممحضة للنقل من الإسرائيليات فحسب[2]، مع نبذهم المصادرَ الإسلاميةَ وراءهم ظهريًّا؛ عن أبي عبيدةَ قال: «من شغل نفسه بغير المهم؛ أضرَّ بالمهم»، وقال الإمام أحمد: «الاشتغال بهذه الأخبار القديمة يقطع عن العلم الذي فُرِضَ علينا طلبُه»[3]

وإذا بالمناظرات الإسلامية النصرانية التي تجرى تحت ظل الهيمنة الثقافية الغربية في ديار الغرب تجوس أشرطتها السمعية والمرئية خلال بيوت المسلمين؛ لتمرن قلوبهم علىٰ سماع سب الله ﷻ، وشتم رسول الله ﷺ، والطعن في كتاب الله ـ تعالىٰ ـ، والتطاول علىٰ دين الحق علىٰ لسان شياطينهم، ويُغَضُّ الطرف عن هذه الجرائم بحجة لزوم الإنصاف والعدل بين المتناظرين، مع أن غالب استدلالات المناظر المسلم تحوم حول الإسرائيليات، وقلما يستدلُّ بشيء من القرآن الكريم، أو السنة النبوية[4].

وإذا أنكرت عليهم هذا «الإغراق» في إشاعة الإسرائيليات بادروا بذكر قول النبي ﷺ: «**وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»، وبأن العلماء أجازوا حكايةَ القسم الثالث من الإسرائيليات.

نقول: نعم يجوز ذلك، لكن **البياضَ إذا اشتد صار بَرَصًا**، فلماذا نبدأ من حيث انتهى بنا

---

(١) راجع حديث جابر بن عبدالله، وحديث خالد بن عرفطة، ص (٩٤).

(٢) كما فعل صاحبا «تاريخ اليهود» في جزأين، و«موسى في الأساطير الإسرائيلية»، في ثلاث مئة صفحة، ليس فيها آية قرآنية واحدة، ولا حديث عن المعصوم ﷺ، بل محض نقل من توراة اليهود، وإسرائيلياتهم، فالله المستعان.

(٣) «الجامع» للخطيب (٢/١٦٠).

(٤) وإن مما يؤسف له أشد الأسف استمراء هذا الوضع، وعدم إنكاره، لقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾، الآية: [آل عمران: ١٨٦]، وها نحن ـ الآن ـ نسمع الأذى من «بعض المسلمين» الذين يترجمون هذه المحاضرات السمعية البصرية بما فيها من طعن، وسب لدين الإسلام، ويذيعونها في أوساط العوام بغير فقه، ونحن لا ننكر مناظرة أهل الكتاب؛ فإن هذا أحد أساليب الدعوة إلى الله، وإقامة الحجة، ولكن للمناظرة ضوابط، وكلما كانت في دائرة محدودة، كلما كانت أعون على الإقناع؛ كي لا تأخذ المجادلَ العزةُ بالإثم أمام جمهور الحاضرين؛ فيستكبر عن الانصياع للحق، ولابد أن يتولى المناظرة عن الجانب الإسلامي عالم فقيه بصير يحسن الاستدلال ـ أولًا، وقبل كل شيء ـ بأدلة القرآن، والسنة الصحيحة، وأن يكون مؤهلًا ذا خبرة بشبهات القوم؛ لأنه إذا رد ردًّا ضعيفًا زادهم فتنة بكفرهم، ثم ينبغي أن تحجب شبهات، وطعون المناظر الكافر عن عوام المسلمين؛ خشية أن تفتن قلوبهم بشبهات أعداء الله الذين يجهرون بالسوء من القول، ويحترفون التشويه، والتضليل للصد عن سبيل الله تعالى.

الشرع؟ ونجعل نقطة النهاية نقطة انطلاق إلىٰ الإفراط في الاستدلال بالإسرائيليات، «والتمحور» حول كتبهم المُحَرَّفَةِ، الأمر الذي ينعكس سلبًا علىٰ ارتباط الناس بالقرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ، والاعتماد عليهما في المحاججة.

إن من أسلحة «الصهيونية النصرانية» في حربها ضد الإسلام الترويج للتأويلات الباطلة لما لديهم من نبوءات، ومن خلال ذلك تمارس حربًا نفسيةً لتخذيل المسلمين، وتثبيط هممهم[١].

فأين ما نحن فيه الآن من «التطبيع مع الإسرائيليات»، وموقفنا «البارد» تجاهه من سلفنا الصالح الذين كانت الدماء تغلي في عروقِهم إذا رأوا من ينشغل بهذه الكتب عن القرآن الكريم، كتابِ اللَّه المعجزِ المهيمنِ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

وما غَرَسَ في قلوبهم تلك الغيرةَ الإيمانيةَ على كتاب اللَّه ﷻ إلا هَدْيُ رسـول اللَّه ﷺ، الذي وَرَدَ عنه أنه كان يغضب أشدَّ الغضب إذا وجد من أصحابه من يشتغل بكتب أهل الكتاب عن القرآن الكريم؛ فقد روى الإمام أحمد من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبداللَّه - رضي اللَّه عنهما -: «أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه علىٰ النبي ﷺ، فغضب، فقال: **«أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا بْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»**.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والبزار، ورجاله مُوَثَّقُون، إلا أن في مجالدٍ ضعفًا». اهـ[٢].

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «لكنَّ الحديثَ قَوِيٌّ؛ فإن له شواهدَ كثيرةً»، ثم ذكر بعضها ومنها: ما رُوِي عن عقبةَ بن عامرٍ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لَوْ كَانَ فِيكُمْ مُوسَى، وَاتَّبَعْتُمُوهُ وَعَصَيْتُمُونِي، لَدَخَلْتُمُ النَّارَ»**.

ومنها: ما رُوِيَ عن خالد بن عرفطةَ قال:

«كنت جالسًا عند عمرَ ﷺ، إذ أُتِيَ برجل من عبدالقيس سَكَنُهُ بالسوس، فقال له عمر: أنت فلانُ بن فلان العبدي؟ قال: نعم، قال: وأنت النازلُ بالسوس؟ قال: نعم، فضربَهُ بعصَاةٍ معه، فقال: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس. فجلس، فقرأ عليه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ ... الآية، فقرأها عليه ثلاثًا، وضربه ثلاثًا، فقال الرجل: ما لي يا

(١) انظر: «خدعة هرمجدون» للمؤلف - نشر دار بلنسية - الرياض.
(٢) «فتح الباري»، (١٣/٣٣٤).

أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب «دانيال»؟! فقال: مُرْني بأمرك أتَّبِعْهُ. قال: انطلق فامْحُهُ بالحميم، والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه، ولا تُقْرِئْهُ أحدًا من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته، أو أقرأته أحدًا من الناس، لأُنْهِكَنَّكَ عقوبةً، ثم قال له: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقت أنا فانتسخت كتابًا من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم، فقال النبي ﷺ: «**مَا هَذَا فِي يَدِكَ يَا عُمَرُ؟**»، قال: قلت: يا رسول الله، كتابٌ نَسَخْتُهُ لنزْدادَ به علمًا إلىٰ علمنا؛ فغضب رسول الله ﷺ حتىٰ احمرت وجنتاه، ثم نُودِيَ بـ«الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ»، فقالت الأنصار: أَغَضِبَ نبيكم، هَلُمَّ السلاحَ السلاحَ، فجاءوا حتىٰ أحدقوا بمِنْبَرِ رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِيمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِيَ اخْتِصَارًا، وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَا تَتَهَوَّكُوا، وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ الْمُتَهَوِّكُونَ**». قال عمرُ: فقمتُ فقلتُ: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبك رسولًا، ثم نَزَلَ رسولُ الله ﷺ».

ومنها: ما رُوِيَ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «جاء عمرُ بجوامِعَ من التوراةِ إلىٰ رسول الله ﷺ» ... الحديثَ، نحوَ روايةِ جابرٍ باختصارٍ، وفيه: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ كَانَ مُوسَى بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي، لَضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا، أَنْتُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ**».

ومنها: ما رُوِيَ عن حفصةَ ـ رضي الله عنها ـ أنها: «جاءت إلىٰ النبي ﷺ بكتاب من قِصَصِ يوسفَ في كِتْفٍ[1]، فجعلت تقرأ عليه، والنبي ﷺ يتلون وجهه، فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَتَاكُمْ يُوسُفُ وَأَنَا مَعَكُمْ، فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي، ضَلَلْتُمْ**».

ثم قال الألباني ـ عليه الرحمة ـ بعد أن بَيَّنَ ضعفَ عامَّةِ هذه الشواهِدِ: «وجملة القول: إن مجيءَ الحديث في هذه الطرق المتباينة، والألفاظ المتقاربة، لَمِمَّا يدل علىٰ أن مجالد بن سعيد قد حَفِظَ الحديث، فهو علىٰ أقل تقدير حديثٌ حسنٌ، والله أعلم»[2].

● ذَمُّ السَّلَفِ مَنِ انْكَبَّ عَلَى كُتُبِ «أَخْبَارِ الْأَوَائِلِ»

روى الخطيب بسنده عن ابن أبي أُوَيْسٍ قال: سمعت خالي مالكَ بنَ أنس، وسَأَلَهُ رجلٌ عن زَبُورِ داودَ، فقال له مالكٌ: «ما أَجْهَلَكَ! مَا أَفْرَغَكَ! أما لنَا في نافع، عن ابن عُمَرَ، عن نبينا ﷺ ما شَغَلنا بصحيحه عما بيننا وبين داود عليه السلام؟»[3].

وعن صدقة بن يسار سمع عمرو بن ميمون يقول:

«كنا جلوسًا في مسجد الكوفة، وذاك أولَ ما نُزِلَ[4]، فأقبل مِنْ نحو الجسر رجل معه كتابٌ،

(١) الكِتْفُ: كل وعاءٍ مثل العَيْبَةِ لحفظ شيء، وكِتْفُ الراعي والصانع والتاجر: ما يحفظ فيه متاعه وأشقاطَه.

(٢) «إرواء الغليل»، (٦/٣٤ - ٣٨).

(٣) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، (٢/١٦١).

(٤) أي أول ما افتتح المسجد للصلاة، والوعظ، وما أشبه ذلك.

قلنا: ما هذا؟ قال: هذا كتابٌ. قلنا: وما كتابٌ؟ قال: كتابُ «دانيال»، فلولا أن القوم تحاجزوا لقتلوه، وقالوا: كتاب سوى القرآن؟ أكتاب سوى القرآن؟»[١].

وقال الخطيبُ البغدادي - رحمه اللّه - تعالىٰ -: «ويترك المُنتخِب - أيضًا - الاشتغالَ بأخبار الأوائلِ؛ مثل كتاب «المبتدإ» ونحوه؛ فإنَّ الشُّغْلَ بذلك غيرُ نافع، وهو عن التَّوَفُّر علىٰ ما هو أولى قاطع»[٢]، ثم أُسْنِدَ عن الإمام أحمد قوله: «الاشتغال بهذه الأخبار القديمة يقطع عن العلمِ الذي فُرِضَ علينا طلبه»[٣] ثم قال: «ونَظِيرُ ما ذكرناهُ آنفًا أحاديثُ الملاحِمِ، وما يكون من الحوادثِ؛ فإنَّ أكثرها موضوع، وجُلَّها مصنوع؛ كالكتاب المنسوب إلىٰ «دانيال»، والخُطب المروية عن علي بن أبي طالب»[٤].

وأخرج الخطيب في «الجامع»: أن عُمَرَ ﷺ بلغه أن رجلًا كتب «كتاب دانيال»، قال: فكتب إليه يرتفع إليه، قال: فلما قدم عليه جعل عُمَرُ يضرب بطنَ كفِّهِ بيده، ويقول: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾؛ فقال عمر: أَقَصَصٌ أحسن من كتاب ربنا؟! فقال: يا أمير المؤمنين، أَعْفِنِي؛ فواللّه لأَمْحُوَنَّهُ»[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللّه - تعالىٰ - ما معناه:

(وقد انتفع عُمَرُ ﷺ في هذا بما وقع منه حين رأى النبي ﷺ بيده شيئًا من التوراة، فقال: «**لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ**»، وفي رواية: «**مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي**»، وفي لفظ: «فتغَيَّرَ وجه رسول اللّه ﷺ لَمَّا عَرَضَ عليه عمر ذلك، فقال له بعضُ الأنصارِ: يا بنَ الخطَّابِ، ألا ترى إلىٰ وجه رسول اللّه ﷺ؟ فقال عمر: رَضِينَا باللّه ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ نبيًّا؛ ولهذا كان الصحابةُ ينهون عن اتباع كتبِ غيرِ القرآن)[٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا -:

«.. ولما كان القرآن أحسن الكلام؛ نُهُوا عن اتباع ما سواه؛ قال - تعالىٰ -: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، إلىٰ أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وروى ابن أبي حاتم، حَدَّثَنَا أبي، حَدَّثَنَا إسماعيلُ بْنُ خليل، حَدَّثَنَا عليُّ بن مسهر، حَدَّثَنَا عبدالرحمن بن إسحاق، عن خليفة بن قيس، عن خالد بن عرفطة، قال: كنت عند عمرَ بن

---

(١) «الجامع»، (٢/١٦٢).
(٢) «السابق»، (٢/١٦٠).
(٣) «السابق»، (٢/١٦١).
(٤) «السابق»، (٢/١٦١).
(٥) «الجامع»، (٢/١٦١ - ١٦٢).
(٦) «مجموع الفتاوى»، (١٧/٤١).

الخطَّاب ﷺ، إذ أُتِيَ برجلٍ من عبدالقيس مَسْكَنُهُ بالسوس، فقال له عمر: «أنت فلانُ ابنُ فلانٍ العبدي؟» قال: نعم، قال: «وأنت النازلُ بالسوسِ؟» قال: نعم، فضَرَبَهُ بقناة معه، فقال له: ما ذنبي؟ قال: فَقرَأَ عليه: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝﴾، فقرأها عليه ثلاث مرات، وضربه ثلاث ضربات، ثم قال له عمر: «أنت الذي انتسخت كتاب دانيال؟» قال: نعم، قال: «اذهب فامْحُهُ بالحميمِ، والصوف الأبيض، ولا تقرأه، ولا تُقْرِئْهُ أحدًا من الناس».

فقرأ عليه عُمَرُ هذه الآية ليبين له أن القرآن أحسن القصص؛ فلا يُحتاج معه إلىٰ غيره، وهذا يدل علىٰ أن القصصَ عَامٌّ لا يختص بسورة يوسف، ويدل علىٰ أنهم كانوا يعلمون أن القرآنَ أفضل من كتاب «دانيال»، ونحوِه من كتب الأنبياء، وكذلك مثل هذه القصة مأثورة عن ابن مسعود ﷺ لَمَّا أُتِيَ بما كُتِبَ من الكُتُبِ مَحَاهُ، وذَكَرَ فضيلةَ القرآنِ كما فعل عُمَرُ ـ رضي الله عنهما ـ، ثم شَرَعَ رَحِمَهُ اللهُ في بيان معنى كون القرآن المجيد مهيمنًا علىٰ الكتب السابقة إلىٰ أن قال: «ولهذا لم تَحْتَجِ الأمة مع رسولها وكتابها إلىٰ نبي آخر، وكتاب آخر، فضلًا عن أن تحتاج إلىٰ شيء لا يستقل بنفسه عن غيره، سواء كان من علم المحدثين والملهمين، أو من علم أرباب النظر والقياس الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتابٍ مُنَزَّلٍ من السماء»[1].

ونقل القرطبيُّ في «التذكرة» عن الحافظ أبي الخَطَّابِ بن دحية؛ أنه قال عن «دانيال»: «نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل، كَلَامه عبراني، وهو علىٰ شريعة موسى بن عمران، وكان قبل عيسى ابن مريم بزمان، ومن أسند مثل هذا إلىٰ نبي؛ عن غير ثقة أو توقيف من نبينا ﷺ؛ فقد سقطت عدالته، إلا أن يبين وضعه؛ لتصح أمانته، وقد ذكر في هذا الكتاب من الملاحم، وما كان من الحوادث، وسيكون، وجمع فيه التنافي والتناقض بين الضب والنون، وأغرب فيما أعرب في روايته عن ضرب من الهوس والجنون، وفيه من الموضوعات ما يُكَذِّبُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا، ويتعذر علىٰ المتأول لها تأويلُها، وما يتعلق به جماعة الزنادقة، من تكذيب الصادق المصدوق محمد ﷺ أن في سنة ثلاث مئة يظهر الدجَّال من يهودية أصبهان، وقد طعنَّا في أوائل سبع مئة في هذا الزمان، وذلك شيء ما وقع ولا كان، ومن الموضوع فيه المصنوع، والتهافت الموضوع، الحديث الطويل الذي استفتح به كِتَابَهُ؛ فهلا اتقى اللهَ، وَخَافَ عِقَابَهُ، وإنَّ من أفضح فضيحة في الدين نقلَ مثل هذه الإسرائيليات عن المتهودين؛ فإنه لا طريق فيما ذُكِرَ عن دانيال إلا عنهم، ولا رواية تُؤْخَذُ في ذلك إلا منهم»[2].

---

(١) «السابق»، (١٧/٤١ ـ ٤٦) باختصار.

(٢) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، (٧١٦ ـ ٧١٧).

وروى الخطيب بسنده إلىٰ يحيى بن معين، قال: «كان أبو اليمان يقول لنا:«الحقوا ألواحا؛ فإنه يَجِيءُ ههنا الآن خليفة بسَلَمْيَةَ[1]، فيتزوج ابنة هذا القرشي الذي عندنا، ويُفْتَحُ بَابٌ ههنا، وتكونُ فتنةٌ عظيمة، قال أبو زكريا: فما كان من هذا شيء، وكان كله باطل[2]، قال أبو زكريا: وهذه الأحاديث كلها التي يحدثون بها في الفتن وفي الخلفاء، تكون كلها كذب[3] وريح، لا يعلم هذا أحد إلا بوحي من السماء».

ثم أسند إلىٰ أحمد بن حنبل قوله: «ثلاثةُ كتب ليس لها أصول:[4] المغازي، والملاحم، والتفسير»[5].

ثم قال:

«وهذا الكلام محمولٌ علىٰ وجه، وهو أن المرادَ به كتب مخصوصةٌ في هذه المعاني الثلاثة غير مُعْتَمَدٍ عليها، ولا مَوْثُوقٍ بصحتها؛ لسوء أحوال مصنفيها، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات القُصَّاصِ فِيهَا».

ثم قال: «فأما كتب الملاحم؛ فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة والفتن المنتظرة، غير أحاديث يسيرة اتَّصلت أسانيدها إلىٰ الرسول ﷺ من وجوه مرضيَّة، وطرق واضحة جليَّة»[6].

---

(١) سَلَمْيَة: بلد بالشام، شرقي مدينة حماة.

(٢) ، (٣) كذا بالأصل، والصواب النصب.

(٤) أي: أسانيد؛ لأن الغالب عليها المراسيل، وانظر: «مقدمة في أصول التفسير»، ص (٢٠ - ٢٢).

(٥) انظر: «الرد على البكري»، لشيخ الإسلام، ص (١٧ - ١٨)، وقال الحافظ ابن حجر معلقًا على العبارة المذكورة: (قلتُ: وينبغي أن يضاف إليها الفضائل، فهذه أودية الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ إذ كانت العمدة في المغازي، على مثل الواقدي،وفي التفسير على مثل مقاتل والكلبي، وفي الملاحم على الإسرائيليات، وأما الفضائل؛ فلا يُحصى كم وضع الرافضة في فضل أهل البيت، وعارضهم جهلة أهل السنة بفضائل معاوية؛ بل وبفضائل الشيخين، وقد أغناهما الله، وأعلى مرتبتهما عنها) اهـ. من: «لسان الميزان» (٩٢/١).

(٦) «الجامع»، (١٦٢/١ - ١٦٣).

المطلب الرابع

حُرُوفُ أَبِي جَادٍ، وَالِاسْتِدْلَالُ بِهَا عَلَى الْمُغَيَّبَاتِ(١)

أربابُ هذه الطريقة يزعمون أن لهذه الحروف علاقَةٌ ورابطة قوية بحياة الإنسان ومستقبله، وبالكون وما يحدث فيه من الحوادث، ويزعمون أنهم يعرفون حوادث هذا العالم من هذه الحروف، وطريقتهم في ذلك أنهم يكتبون حروف أبي جاد، ويجعلون لكل حرف منها قدرًا من العدد معلومًا عندهم، ويجرون على ذلك أسماء الآدميين، والأزمنة، والأمكنة، وغيرها، ثم يجرون على هذه الأعداد عملية حسابية من جمع وطرح بطريقة ما، وينسب العدد الباقي من هذه العملية إلى الأبراج الاثني عشر، ثم يقضون بالسعود والنحوس، وبأوقات الحوادث والملاحم، وبمدد الملك وأعمار الناس، إلى آخر ذلك من أمور الغيب، على وفق ما أصَّله لهم أسلافهم، وأملاه عليهم شيطانهم؛ ومن ذلك ما فعله يعقوب بن إسحاق الكندي، الذي عمل تسييرًا لهذه الأمة، وزعم أنها تنقضي عام ثلاثة وتسعين وسبع مئة، وزعم بعض أتباعه أنه استخرج ذلك من حساب الجُمَّل الذي للحروف التي في أوائل السور(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

(فلهذا تجد عامة من في دينه فساد يدخل في الأكاذيب الكونية، مثل أهل الاتحاد، فإن ابن عربي - في كتاب «عنقاء مُغْرِب» وغيره - أخبر بمستقبلات كثيرة عامتها كذب، وكذلك ابن سبعين، وكذلك الذين استخرجوا مدة بقاء هذه الأمة من حساب الجمل من حروف المعجم الذي ورثوه من اليهود، ومن حركات الكواكب الذي ورثوه من الصابئة، كما فعل أبو نصر الكندي، وغيره من الفلاسفة، وكما فعل بعض من تكلم في تفسير القرآن من أصحاب الرازي، ومن تكلم في تأويل وقائع النساك من المائلين إلى التشيع.

وقد رأيت من أتباع هؤلاء طوائف يدعون أن هذه الأمور من الأسرار المخزونة والعلوم المصونة، وخاطبت في ذلك طوائف منهم، وكنت أحلف لهم أن هذا كذب مفترى، وأنه لا يجرى من هذه الأمور شيء، وطلبت مباهلة بعضهم - لأن ذلك كان متعلقًا بأصول الدين)اهـ(٣).

ويدخل ضمن هذه الصناعة ما يسميه الرافضة بعلم أسرار الحروف، وأهم مؤلف فيه عندهم كتاب الجفر، المنسوب كذبًا وبهتانًا إلى جعفر الصادق ﷺ، ونسبته إليه كَذِبٌ عليه باتفاق أهل

(١) انظر: كتاب «التنجيم والمنجمون»، للدكتور/ عبد المجيد بن سالم المشعبي، ص (٣١١ - ٣١٨).
(٢) انظر: «الفتاوى الكبرى»، (١/٣٣٦).
(٣) «السابق» (٤/٨١ - ٨٢).

العلم به[١]؛ إذ إن واضع هذا الكتاب هو هارون بن سعيد العجلي[٢]، وهو رأس الزيدية، وكان له كتاب يزعم أنه يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، وقع ذلك لجعفر الصادق ونظائره عن طريق الكشف والكرامة؛ كما يزعمون، ويزعمون أنه كان مكتوبًا عند جعفر في جلد جفر صغير، فرواه عنه هارون العجلي وكتبه، وسماه الجفر، باسم الجلد الذي كُتِبَ فيه، وصار هذا الاسم عَلَمًا على هذا الكتاب عندهم، وهذا الكتاب لم تتصل روايته، ولا عُرِفَ عينه وإنما تَظْهَرُ منه شواذُّ من الكلمات التي لا يصحبها دليل[٣]، ويزعمون أن هذا الكتاب مشتمل على حوادث الأزمان على مر العصور، عُرِفَتْ عن طريق علم الحروف المتعلق بآثار النجوم[٤].

ومما يتشبثون به لتعضيد هذا المعتقد عندهم ما رواه الكليني عن أبي عبدالله جعفر الصادق أنه قال: (وإن عندنا الجفرَ، وما يدريهم ما الجفرُ؟ فقيل له: ما الجفرُ؟ قال: وِعاءٌ من أَدَم فيه علم النبيين والوَصِيِّين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل)[٥].

وما رواه ـ أيضًا ـ أن أبا عبدالله سُئِلَ عن الجفر، فقال: (هو جلد ثور[٦] مملوء علمًا)[٧]، وتارة يذكرون أن هذا العلم مأثور عن آدَمَ عليه السلام، فقد نقل علي اليزيدي الحائري عن كتاب الينابيع: (أما آدَمُ عليه السلام فهو نبيٌّ مرسل خلقه الله ـ تعالى ـ بيده، ونَفَخَ فيه من روحه، فأنزل عليه عَشْرَ صحائفَ، وهو أول من تكلم في علم الحروف، وله كتاب سفر الخفايا، وهو أول كتاب كان في الدنيا في علم الحروف، ثم ذكر أن آدَمَ عليه السلام وَرَّثه لأبنائه من بعده، وأبناؤه وَرَّثُوهُ لمن بعدهم، وهكذا إلى أن قال: ثم وَرِثَ هذا العلمَ عن أبيه جعفرُ الصادقُ، وهو الذي حَلَّ مَعَاقِدَ رموزه، وفك طلاسم كنوزه). ثم ذكر أن له كتابَ الجفرِ الأكبر، والجفر الأصغر، وأن الجفرَ الأكبرَ إشارة إلى المصادر

(١) وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تعالى ـ: «ونحن نعلم من أحوال أمتنا، أنه قد أضيف إلى جعفر الصادق ـ وليس هو بنبي من الأنبياء ـ من جنس هذه الأمور ـ أي علم النجوم ـ ما يعلم كل عالم بحال جعفر رضي الله عنه أن ذلك كذب عليه؛ فإن الكذب عليه من أعظم الكذب، حتى أنهم قد نسبوا إليه أحكام الحركات السفلية، والعلماء يعلمون أنه بريء من ذلك كله» اهـ. من «الفتاوى الكبرى»، (٣٣٢/١).

بل، قد أورد بعضهم عنه ـ أي جعفر الصادق ـ أنه سئل عن النجوم؛ فقال: «هو علم قلَّت منافعه، وكثرت مضراته؛ لأنه لا يدفع به المقدور، ولا يتقى به المحذور، وإن أخبر المنجم بالبلاء، لم ينجه التحرز من القضاء، وإن أخبرهم بخبر لم يستطع تعجيله، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجم ينازع الله في علمه بزعمه أنه يرد قضاء الله عن خلقه» اهـ. من «مرآة العقول»، (٤٦٢/٤).

(٢) هو هارون بن سعيد العجلي، ويقال: الجعفي، الكوفي الأعور؛ كان من غلاة الرافضة توفي سنة خمس وأربعين ومئة. انظر: «الجرح والتعديل»، (٩٠/٩)، و«ميزان الاعتدال»، (٢٨٤/٤)، و«تهذيب التهذيب»، (٦/١١).

(٣) انظر: «مقدمة ابن خلدون»، ص (٣٣٤).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) «الأصول من الكافي»، (١٨٦/١).

(٦) هذا مخالف لأصل التسمية؛ إذ إن الجفر ولد الماعز، لا الثور، انظر: «الصحاح»، (٦١٥/٢).

(٧) «الأصول من الكافي»، (١٨٧/١).

الوفقية التي هي من أ، ب ، ت، ث... إلىٰ آخرها، وأنها أَلفُ وفق، وأن الجفر الأصغر إشارة إلىٰ المصادر الوفقية التي هي مركبة من أبجد إلىٰ قرشت، وهي سبع مئة وفق[١].

وهذا كلُّهُ من أكاذيبِ الرافضةِ علىٰ آل بيت رسول اللَّه ﷺ، وهذا الكتابُ كما ذكرتُ آنفًا نُسِبَ كَذِبًا إلىٰ جعفر الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ، وليس لهم برهان علىٰ إثباته سوى القول المجرد عن الدليل، بل قد نفى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يكون هو وذريته مخصوصين بشيء من الوحي دون الناس، وذلك فيما رواه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنه قيل لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي، إلا ما في كتاب اللَّه؟ قال: لا. والذي فلق الحبة وبرأ[٢] النسمة ما أعلمه، إلا فَهْمًا يعطيه اللَّه رجلًا في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل[٣]، وفكاك الأسير، وأن لا يُقْتَلَ مسلمٌ بكافر»[٤].

أما نسبة هذا العلم إلىٰ آدَمَ عليه السلام فليست صحيحةً؛ إذ إن كل ما رُوِيَ في ذلك عن آدَمَ عليه السلام، من أنه كان عالمًا بحروف أبي جاد، وأن اللَّه أنزلها عليه، فقد نُقِلَتْ عن أخبار إسرائيلية، لا يُوثَقُ بها، وقد أجمع المسلمون علىٰ أن ما رُوِيَ عن بني إسرائيل في الأنبياء المتقدمين لا يُجْعَلُ عُمْدَةً في ديننا، ولا يجوز التصديقُ بصحتها إلا بحجة صحيحة واضحة[٥]، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة ـ: **«لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا...»**[٦]، وما رواه البخاري ـ أيضًا ـ عن ابن عبَّاس ـ رضي اللَّه عنهما ـ، قال: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أُنْزِلَ علىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، أحدثُ الأخبار باللَّه؟ تقرءونه ولم يُشَبْ، وقد حدثكم اللَّه أن أهلَ الكتاب بَدَّلُوا ما كتب اللَّه، وغَيَّرُوا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند اللَّه؛ ليشتروا به ثَمَنًا قليلًا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا واللَّه ما رأينا منهم رجلًا قَطُّ قد يسألكم عن الذي أُنْزِلَ عليكم»[٧].

وبهذا يتبين أن ما ذُكِرَ عن آدمَ عليه السلام من ذلك لا يجوز تصديقه، وكذلك ما روي عن النبي ﷺ في الحث علىٰ تعلم أبي جاد، وتعلم تفسيرها لا يصح ـ أيضًا ـ؛ وذلك لأن هذا الحديثَ رُوِيَ من طريقين كلاهما لا يَصِحُّ عن النبي ﷺ:

أَوَّلُهُمَا: ما ذكره ابن تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أن أبا بكر النَّقَّاش[٨] رواه في تفسيره، وغيره من المفسرين،

---

(١) انظر: «إلزام الناصب»، (١/٢٣٢ ـ ٢٣٥).
(٢) أي: خلق، انظر: «الصحاح»، (١/٣٦).
(٣) العقل: الدية، «النهاية في غريب الحديث»، (٣/٢٧٨).
(٤) أخرجه البخاري، (١٦٠٤)، كتاب الجهاد والسير.
(٥) انظر: «مجموع الرسائل والمسائل»، (١/٣٨٣).
(٦) أخرجه البخاري، (٩/٢٨٠)، كتاب التوحيد.
(٧) انظر تخريجه ص (٩٣).
(٨) هو محمد بن الحسين بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش، عالم بالقرآن، وتفسيره، توفي سنة إحدى وخمسين =

كما ذكره ابن جرير الطبري في آخر تفسيره، ورد عليه، فذكر أن أبا بكر النقَّاش روى بسنده من طريق محمد بن زياد الجزري[١]، أن رسول الله ﷺ قال: (تعلموا أبا جاد وتفسيرها، ويل لعالم جهل تفسير أبي جاد...).

وذكر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ قال بعد إيراد هذا الحديث: (لو كانت الأخبار التي رُوِيَتْ عن النبي ﷺ في ذلك صِحَاحَ الأسانيد لم يعدل عن القول بها إلىٰ غيرها، ولكنها واهية الأسانيد، غير جائز الاحتجاج بمثلها، وذلك أن محمد بن زياد الجزري غير موثوق بنقله).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: (الحديث فيه فرات بن السائب، وهو ضعيف لا يُحْتَجُّ به، وهو فُرَاتُ بن أبي الفرات[٢]، ومحمد بن زياد الجزري ضعيف - أيضًا)[٣].

أما الطريق الثاني فقد رواه الصدوق القمي الرافضي بسنده عن الأصبغ بن نُبَاتَةَ[٤]، أن النبي ﷺ قال: (تعلموا تفسير أبجد؛ فإن فيه الأعاجيبَ كلها، ويل لعالم جهل تفسيره...)[٥].

والأصبغ بن نباتة لا يُحْتَجُّ بروايته.

وقد ورد أن هذه الصناعةَ مأثورةٌ عن فلاسفة اليونان، الصابئة الذين يعبدون الأوثان، فقد جعل أرسطو في آخر كتاب (السياسة) فصلًا في حساب الجُمَّل، وادعى أنه يعرف بها الغالبَ من المغلوب، ونحو ذلك من أمور الغيب[٦].

والذي ينبغي أن يُعْلَمَ في هذا الموضع أن هذه الحروفَ ليست أسماءً لمسميات، ولا علاقةَ لها بمستقبل الإنسان ولا بحياته، وإنما أُلِّفَتْ لِيُعْرَفَ تأليف الأسماء من حروف المعجم، بعد معرفة حروف المعجم، ثم إن كثيرًا من أهل الحساب صاروا يجعلونها علامات علىٰ مراتب العدد،

= وثلاث مئة، قال الخطيب البغدادي: في أحاديثه مناكير بأسانيد مشهورة، وقال أبو القاسم اللالكائي: تفسير النقاش إشقاء الصدور، وليس بشفاء الصدور.

وقال البرقاني: كل حديث النقاش منكر، وقال الذهبي: فيه ضعف.

انظر: «تاريخ بغداد»، (٢٠١/٢)، و«ميزان الاعتدال»، (٥٢٠/٣)، و«لسان الميزان»، (١٣٢/٥).

(١) انظر: «كتاب الضعفاء الصغير»، (رقم ٣١٧)، و«الضعفاء»، لأبي زرعة، (٤٤٧/٢)، و«تهذيب التهذيب»، (١٧٠/٩)، و«التقريب»، (٥٨٩٠).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل»، (٨٠/٧)، و«ميزان الاعتدال»، (٣٤٣/٣)، و«لسان الميزان»، (٤٣٢/٤).

(٣) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل»، (٣٨٤/١ - ٣٨٦).

(٤) هو الأصبغ بن نُبَاتَةَ الحنظلي المجاشعي الكوفي، قال النسائي: «متروك الحديث»،

وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال عنه - أيضًا -: ليس بثقة، وقال ابن حمدان: متروك، وقال أبو بكر بن عياش: كذاب، وقال ابن عدي: بَيِّنُ الضعف، وقال ابن سعد: كان شيعيًا، وكان يضعف في روايته.

انظر: «الضعفاء والمتروكين»، للنسائي، ص (١٥٦)، و«الجرح والتعديل»، (٣١٩/٢)، و«ميزان الاعتدال»، (٢٧١/١)، و«تهذيب التهذيب»، (٣٦٢/١).

(٥) «التوحيد»، لابن بابويه القمي، ص (٢٣٧).

(٦) انظر: «مقدمة ابن خلدون»، ص (١١٤).

فيجعلون الألف واحدًا، والباء اثنين، والجيم ثلاثة... وهكذا، ثم أخذ هؤلاء هذا الاصطلاح، ولفقوا عليه الأباطيل، وادعوا أَنَّهُ علم، وأن به تُعْرَفُ الأمورُ الغيبية، وربطوه بالتنجيم؛ لخفاء بطلان التنجيم على كثير من الناس، والعلم لا يُؤْخَذُ عن مثل هذه النظريات الفاسدة، ولا من هذه العقليات الجاهلية الباطلة، بل لا بد فيه من عقل مُصَدِّقٍ، ونقل مُحَقَّقٍ[1]، وهذا الذي يزعمون ما هو إلا ادعاء علم استأثر اللَّه به، وهذا بلا شك من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صَدَّقَ به، واعتقد فيه كفر ـ والعياذ باللَّه[2] ـ؛ كما قال ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ مُنْكِرًا على الذين يتخذون هذه الصناعة: «إن قومًا يحسبون أبا جاد، وينظرون في النجوم، ولا أرى لمن فعل ذلك من خلاق»[3].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ثبت عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ الزجر عن عدِّ أبي جاد، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد؛ فإنه لا أصل له في الشريعة»[4].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن مُحَمَّد بن عبدالوهَّاب ـ رحمهم اللَّه تعالى ـ: «وكتابة أبي جاد، وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب، هو الذي يسمى علم الحرف، وهو الذي فيه الوعيد، فأما تعلمها للتهجي وحساب الجُمل، فلا بأس به»[5] ا هـ.

---

(١) انظر: «مجموعة المسائل»، (١/٣٨٦ ـ ٣٨٧).

(٢) انظر: «معارج القبول»، (١/٣٢٦)، «كفر من ادعى علم الغيب» لمؤلفه أبي هارون عيسى بن يحيى نشر مكتبة الصحابة ـ جدة ـ ١٤١٥هـ.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف»، (١١/٢٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف»، (٥/٢٤٠)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق»، ص (٣٠٩)، رقم (٧٧٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى»، (٨/١٣٩)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير»، (١٠٩٨٠) مرفوعًا، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»، «وفيه خالد بن يزيد العمري، وهو كذاب»، (٥/١١٧).

(٤) «فتح الباري» (١١/٣٥١).

(٥) «فتح المجيد»، (٢/٤٩٧)، وانظر: «الدين الخالص»، (٢/٣٤٠).

وقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما تعلمها للتهجي وحساب الجُمَّل، فلا بأس به»؛ يقصد به استعماله في التأريخ للمعارك والوفيات والأبنية ونحو ذلك كما شاع عند بعض المسلمين، حيث إن لكل حرف قيمة عددية وفق الترتيب الأبجدي هكذا:

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش
٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠
ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

ومن أمثلة تطبيقه في التأريخ للوفاة:

ـ عندما توفي السلطان «برقوق» وهو من سلاطين المماليك، قاموا بصياغة عبارة طريفة تحدد تاريخ وفاته، وهي: «في المشمش» وقيمتها العددية طبقًا لحساب الجمل = (٨٠١)هـ. =

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وزعم بعضهم أن الساعة تقوم سنة ١٤٠٧هـ؛ بناء علىٰ أن عدد حروف «بغتة» في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ ١٤٠٧»[1]، وبيَّن ـ رحمه الله ـ أن بعض الناس حاول تحديد عمر هذه الأمة عن طريق «عدد أبي جاد»، ثم قال: «وقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عَدِّ أبي جاد، والإشارة إلىٰ أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد؛ فإنه لا أصلَ له في الشريعة»[2]، وقال ـ أيضًا ـ: «وأما عَدَدُ أبي جاد فليس بِلُغَوِيٍّ، ولا شرعي، بل هو اصطلاح يهودي»[3].

أَصْلُ طَرِيقَةِ «حِسَابِ الجُمَّلِ»

التي اعتمد عليها البعض في تحديد عمر الدنيا، وبعض أشراط الساعة، وبيان بدعية اعتمادها في تفسير فواتح السور:

رُوِيَ أن أول من أدخل حساب الجُمَّل في تأويل حروف المعجم التي وردت في أوائل السور هم اليهود ـ لعنهم الله ـ؛ كيدًا للإسلام وأهله، وأن حُيَيَّ بن أخطبَ عَدَّ جملة السنين التي تدل عليها هذه الحروف، وحسب عمر الأمة المحمدية؛ طبقًا لحساب الجُمَّل، غير أن هذا الحديث ضعيف[4]، ولو صح؛ فكيف يكون لنا في هذا اليهودي أسوةٌ؟

= وقال شاعر يرثي الشاعر الدلنجاوي:

سألت الشِّعْرَ هل لك من صديق ... وقد سكن الدلنجاويُّ لحْدَهْ
فصاح وخَرَّ مغشيًّا عليه ... وأصبح راقدًا في القبر عنده
فقلت لمن يقول الشعر: أقصِر ... لقد أرَّختُ: مات الشِّعْرُ بعده

فعبارة: «مات الشعر بعده» تشير إلى تاريخ وفاة الشاعر الدلنجاوي:

فمجموع

م	ا	ت	ا	ل	ش	ع	ر	ب	ع	د	هـ
٤٠	١	٤٠٠	١	٣٠	٣٠٠	٧٠	٢٠٠	٢	٧٠	٤	٥

يساوي: ١١٢٣هـ

وكثيرًا ما يستعمل في التأريخ للفراغ من نظم المتون وتصنيف الكتب، ومثاله:

قول ناظم «تحفة الأطفال»: * تاريخها بُشْرىٰ لمن يتقنها * أي: ١١٩٨هـ.

(١) «تفسير المنار»، (٤٠١/٩).

(٢) «السابق»، (٣٩٦/٩).

(٣) «السابق»، (٣٩٧/٩).

(٤) رواه ابن إسحاق بأسانيد ضعيفة مضطربة، وقال ابن كثير: «وهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي؛ وهو ممن لا يُحتج بما انفرد به، بل قد رُمي بالكذب»، وقال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ عند ذكره الخلاف في تفسير الحروف المقطعة، في أوائل السور: «وقال بعضهم: هي حروف من حساب الجُمَّل، كرهنا ذكر الذي حُكي ذلك عنه؛ إذْ كان الذي رواه ممن لا يُعتمد على روايته ونقله» اهـ. من «تفسير الطبري»، (٢٠٨/١).

ولقد ذهب البعض إلىٰ أن «المتشابهات» الواردة في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾، الآية، [آل عمران: ٧]، يُرَادُ بِهَا «الحروف المقطعة في أوائل السور»، وحكى الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَوْلَ من ذهب إلىٰ أن الحروف المقطعة في أوائل السور من «المتشابه»؛ وقولهم في تعليل ذلك: «لأنهن متشابهات في الألفاظ، وموافقات حروف حساب الجُمَّل»، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان قوم من اليهود علىٰ عهد رسول الله ﷺ طَمِعوا أن يدركوا من قِبَلِها معرفة مدة الإسلام وأهله، ويعلموا نهاية أُكُلِ[1] محمد ﷺ وأمته؛ فأكذب الله أحدوثتهم بذلك، وأعلمهم أن ما ابتغوا علمه من ذلك من قِبَلِ هذه الحروف المتشابهة لا يدركونه، ولا من قبل غيرها، وأن ذلك لا يعلمه إلا الله».

ثم قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا القول أشبه بتأويل الآية»[2].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح قوله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمَّى الله؛ فَاحْذَرُوهُمْ».

«والمراد التحذير من الإصغاء إلىٰ الذين يَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ من القرآن، وأول ما ظهر ذلك من اليهود؛ كما ذكره ابن إسحاق في تأويلهم الحروف المقطعة، وأن عددها بالجُمَّل مقدار مدة هذه الأمة»[3].

وإن مما يُؤْسَفُ له أن فكرة «حساب الجُمَّل» هذه انتقلت إلىٰ بعض كتب التفسير التي تَقَبَّلَتْهَا دون رَوِيَّةٍ؛ ولهذا استخرج بعض أئمة المغرب من ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾، [الروم: ١، ٢] فتح بيت المقدس، واستنقاذه من يد العدو في سنة معينة[4]، وقال العز بن عبدالسلام عند تفسيره: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة: ١]: «هي حروف من حساب الجُمَّل»، ثم ذكر حكاية حُيَيِّ بن أخطب مع النبي ﷺ، وقال السهيلي: «لعل عدد الحروف التي في أوائل السور، مع حذف المكرر؛ للإشارة إلىٰ بقاء هذه الأمة»[5].

ونقل السيوطي عن أبي الفضل المرسي قوله في الحروف المقطعة: «وإن فيها ذكر مدد، وأعوام لتواريخ أمم سالفة، وإن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة، وتاريخ مدة أيام الدنيا، وما مضى، وما بقي مَضْرُوبٌ بعضها في بعض»[6].

---

(١) الأُكُل: مدة العُمُر.

(٢) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، (١٧٩/٦ - ١٨٠).

(٣) «فتح الباري»، (٢١١/٨).

(٤) «الحروف المتقطعة»، ص (٥٦)، نقلًا عن «البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن»، ص (٦٠).

(٥) «الإتقان في علوم القرآن»، (١٠/٢).

(٦) «السابق»، (١٢٨/٢).

ويقول السهيلي[١] كذلك تعليقًا على الحساب اليهودي: «وهذا القول من أحبار يهود، وما تأولوه من معاني هذه الحروف محتمل - حتى الآن - أن يكون من بعض مادلت عليه الحروف المقطَّعة ...».

ولقد أدى تَسَرُّبُ هذه الفكرة إلى أن توقع بعض العلماء انقضاء هذه الأمة المحمدية بعد الخمس مئة سنة الأولى، وها نحن الآن في عام ١٤٢٣هـ، والأمة باقية بحمد الله - تعالى -، ومَنِّه، وكرامته، وهي تزيد عددًا، ويكثر أتباع دين الحق.

● **يَقُولُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّد أَبُو فراخ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا المَسْلَكِ:**

«وإني لأعجب أشد العجب من قوم يَعْلَمُونَ أن الله - تعالى - قد استأثر بعلم الغيوب، ورأوا أن رسول الله ﷺ لم يثبت عنه أنه قال في شيء من ذلك كلامًا صريحًا؛ كيف يشقون على أنفسهم، ويتحملون العناء؛ ليذكروا من هذا ما لا يقبله العقل، ولا يطمئن إليه، ثم إنهم إذا أرادوا أن يجعلوا الحروف التي وقعت في أوائل السور تدل - فيما تدل عليه - على ذلك المعنى، لماذا اقتصروا على بعضها دون بعض؟ وَهَلَّا جمعوها كلها؛ سواءٌ أتكررت، أم لم تتكرر، ثم ذهبوا إلى أن مجموع جميعها هو المقصود»، إلى أن قال: «وبعد؛ فإنَّا لا نسيغ لأنفسنا، ولا نرضى لأحدٍ سوانا أن يخوض في هذا، وفيما أشبه هذا؛ فإن علم ذلك كله عند الله وحده»[٢].

ثم قال: «قال الخويبي: «وقد استخرج بعضهم من ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [الروم: ١] فتح بيت المقدس؛ يفتحه المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة، ووقع كما قاله»، ويوضح ابن عربي الكيفية التي تَمَّ بها ذلك الحساب الغريب، فَارْجِعْ إلى «روح المعاني» في ذلك - إن شئت.

وذكر بعضهم أن «طه» معناه: يا بدر، لأن الطاء بتسعة، والهاء بخمسة؛ فذلك أربع عشرة؛ إشارةً إلى البدر؛ لأنه يتم فيها، وقريب من هذا ما عُنِيَ به بعض الشيعة من حذف المكرر من هذه الحروف، وصياغة جمل مما بقي منها في مدح عليٍّ رضي الله عنه، أو تفضيله، وترجيح خلافته؛ كقولهم: «صراط عليٍّ حق نمسكه»، ولكنهم قوبلوا بجمل أخرى مثلها من بعض السنيين تنقض ما قالوه؛ كقولهم: «صح طريقك مع السنه»[٣]، إلى غير ذلك من الأقوال الغريبة الأخرى، ليس هذا موضع بسطها[٤] -، ولقد نهى ابن عباس - رضي الله عنهما - عن مثل هذا المسلك، الذي اعتبره من جملة

(١) وعلَّق الحافظ ابن حجر على موقف السهيلي هنا بقوله: «ولم أذكر ذلك - أي تطبيق حساب الجمَّل على الحروف المقطعة - ليُعتمد عليه؛ إلا لأبين أن الذي جنح إليه السهيلي لا ينبغي الاعتماد عليه لشدة التخالف فيه» اهـ. من «الفتح» (١١/ ٣٥٢).

(٢) «الحروف المتقطعة»، ص (٥٩).

(٣) وقال بعضهم: «نصٌّ حكيمٌ قاطعٌ له سِرٌّ».

(٤) انظرها في: «الإتقان»، (٢/ ٨ - ١٣) ، «روح المعاني» ، (١/ ١٠٤)، «المنار»، (١/ ١٢٣)، «سيرة النبي ﷺ»، لابن هشام، (٢/ ١٧٢).

السحر، واعتبر أصحابه من الذين يتبعون المتشابه؛ لما في قلوبهم من الزيغ، والفتنة، والضلال. وذكر ابن حجر أن حساب الجمل: «باطلٌ لا يُعْتَمَدُ عليه، ولا أصل له في الشريعة»(١)، وقال ابن كثير: «وأما من زعم أنها دَالَّةٌ على معرفة المدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث، والفتن الملاحم؛ فقد ادَّعى ما ليس له، وطار في غير مطاره»(٢)، وفي «تفسير المنار»: «أضعف ما قيل في هذه الحروف وأسخفه: إن المراد بها الإشارة بأعدادها في حساب الجملة إلى مدة هذه الأمة، أو ما شابه ذلك»، وقال القاضي أبو بكر: «ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور، وقد تحصل لي فيها عشرون قولًا وَأَزْيَدُ، ولا أعرف أحدًا يحكم عليها بعلم، ولا يصل منها إلى فَهْم، والذي أقوله: إنه لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولًا متداولًا عندهم؛ لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي ﷺ؛ تلا عليهم ﴿حمٓ ۝١﴾ [فصلت: ١]، ﴿صٓۚ﴾، وغيرها، فلم ينكروا ذلك، بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة، والفصاحة مع تشوقهم إلى عثرة، وحرصهم على زلة؛ فدل على أنه كان أمرًا معروفًا بينهم لا إنكار فيه»(٣).

إنه لم يُعْرَفْ عن هؤلاء العرب مثل هذه الحسابات العددية لتلك الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية؛ فوجب رد هذه التأويلات التي لم يقصد بها وجه الحق، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾، [الإسراء: ٣٦](٤).

وممن استروح لمنهج حساب الجمل الشيخ طنطاوي جوهري الذي زَعَمَ إمكانية الرمز، والإشارة بالحروف إلى حساب الجمل، وقد نزل القرآن بذلك؛ ليأخذ الناس في فَهْمِهَا؛ «حيث كان اليهود، والنصارى يتخذون رموزًا، وإشاراتٍ مشهورةً في دينهم، فنزل القرآن بهذه الرموز؛ ليكون مفهومًا لجميع الطوائف؛ لأنه نزل للعرب، والعجم جميعًا».

قال الشيخ في ذلك: «اعلم أن القرآن كتابٌ سماويٌّ، والكتب السماوية تُصَرِّحُ تارةً، وترمز أخرى، والرمز والإشارة من المقاصد السامية، والمعاني والمغازي الشريفة، وقديمًا كان ذلك في أهل الديانات؛ ألم تر إلى اليهود الذين كانوا منتشرين في المدينة، وفي بلاد الشرق أيام النبوة، كيف كانوا يصطلحون فيما بينهم على أعداد الجُمَّل المعروفة اليوم في الحروف العربية؛ فيجعلون الألف بواحدٍ، والباء باثنين، والجيم بثلاثة، والدال بأربعة، وهكذا مارِّين على الحروف الأبجدية، إلى الياء بعشرة، والكاف بعشرين، وهكذا إلى القاف بمائة، والراء بمائتين، وهكذا إلى الغين بألف، كما ستراه في هذا المقام؛ كذلك ترى أن النصارى في إسكندرية، ومصر، وبلاد الروم، وفي سوريا قد

(١) «فتح الباري»، (٨/٢١١)، وانظر: «الإتقان»، (٢/١١).
(٢) «تفسير القرآن العظيم»، (١/٣٨).
(٣) انظر: «الإتقان»، (٢/١١).
(٤) «الحروف المقطعة»، ص (٦٠ - ٦٢).

اتخذوا الحروف رموزًا دينية معروفة فيما بينهم أيام نزول القرآن، وكانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية في مصر، وكانوا يرمزون بلفظ (اكسيس) لهذه الجملة: «يسوع المسيح ابن اللَّه المخلص»؛ فالألف من «اكسيس» هي الحرف الأول من لفظ «ايسوس» يسوع، والكاف منها هي الحرف الأول من «كرستوس» المسيح، والسين منها هي حرف الثاء التي تبدل منها في النطق في لفظ «ثيو» اللَّه، والياء منها تدل علىٰ «ايوث» ابن، والسين الثانية منها تشير إلىٰ «ثوتير» المخلص، ومجموع هذه الكلمات «يسوع المسيح ابن اللَّه المخلص»[1]، ولفظ «اكسيس» اتفق أنه يدل علىٰ معنى سمكة؛ فأصبحت السمكة عند هؤلاء رمزًا لإلههم.

فانظر، كيف انتقلوا من الأسماء إلىٰ الرمز بالحرف، ومن الرمز بالحرف إلىٰ الرمز بحيوانٍ، دلت عليه الحروف، قال الحَبْرُ الإنجليزي «صموئيل مونتج»: «إنه كان يوجد كثيرًا في قبور رومة صور أسماك صغيرة مصنوعة من الخشب، والعظم، وكان كل مسيحي يحمل سمكة؛ إشارةً للتعارف فيما بينهم»[2].

وجنح الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني صاحب «مناهل العرفان» إلىٰ تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور بالرموز التي تعارفت عليها الطوائف اليهودية من حساب الجمل، وأن القرآن قد جاء بها؛ لتتفق مع مذاهبهم، قال الشيخ: «إذا كان من طبائع الأمم التي أحاطت بالبلاد العربية، وتغلغلت فيها، ونزل القرآن لجميع الناس من عربٍ، وعجمٍ، كان لا بد أن يكون علىٰ منهج تَلَذُّهُ الأمم، ويكون فيه ما يألفون».

- ثم ذكر الشيخ حكاية حييِّ بن أخطب اليهودي؛ الذي عَدَّ فيها عمر الأمة الإسلامية، وانتهى الشيخ بعد أن ذكر هذه الرواية - دون أن ينبه علىٰ ضعفها - إلىٰ أن حساب الجمل كان للتعارف عن اليهود، وهو نوع من الرموز الحرفية؛ فكانت هذه الحروف لا بد من نزولها في القرآن[3].

ويعلق الدكتور محمد محمد أبو فراخ - حفظه اللَّه - قائلًا:

«إن هذه الحروف لم تأت علىٰ منهج يَلَذُّهُ اليهود، أو غيرهم؛ وإنما جاءت علىٰ منهج القرآن العظيم المتلائم المتناسب، فيما قدمه من حروف وكلمات، ومع المعاني المرادة منها، والمقاصد التي أتى بها؛ لإثبات الحق، ونفي الباطل بأعظم وجه، وأتم بيان»، اهـ[4].

★★★

(١) تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.
(٢) «الجواهر في تفسير القرآن الكريم»، (٥/٢).
(٣) «مناهل العرفان»، (١/٢٢٤ - ٢٢٥).
(٤) «الحروف المتقطعة»، ص (٦٦).

الفصل الرابع

تحديد عمر الدنيا

باديء ذي بَدْءٍ، نُقرِّرُ أن الخوض في هذه القضية مما لا يترتب عليه عمل؛ إذ يشبه السؤال عنها قول السائل لرسول الله ﷺ : «متى الساعة؟»، فأجابه ﷺ بجوابِ الحكيم، فقال: **«وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»**[١]، فلكلِّ إنسانٍ ساعته، وقيامته[٢]، والذي يعنيه: أن يستعد للقاء الله إذا حضر أجله بالعمل الصالح.

ومع هذا، فقد خاض البعض في هذا الأمر وغلطوا؛ كما فعل الحافظ السيوطي رحمه الله في كتابه «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف[٣]»، احتج فيه بأحاديث لم تصح؛ منها ما رواه الضحاك بن زمل الجهني[٤]، قال: رأيت رؤيا، فقصصتها على رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وفيه: إذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات، وأنت في أعلاها درجة، فقال ﷺ: **«أما المنبر الذي رأيت سبع درجات، وأنا أعلاها درجة؛ فالدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفًا»**[٥].

وذكر الإمام المحقق ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ تعالىٰ ـ في «المنار المنيف» أمورًا كلية، يُعْرَفُ بها كونُ الحديث موضوعًا؛ منها مخالفته صريح القرآن؛ كحديث مقدار الدنيا، وأنها سبعة آلاف سنة، ونحن الآن في الألف السابعة، وهذا من أبين الكذب؛ لأنه لو كان صحيحًا، لكان كل واحد عالمًا أنه بقي للقيامة من وقتنا هذا مئة وإحدى وخمسون سنة. ا هـ[٦]. علمًا بأن ابن القيم عاش في القرن الثامن الهجري.

وقال ابن كثير في «النهاية في الفتن والملاحم»: حديث أن النبي ﷺ يؤلف تحت الأرض لا أصل له[٧]، وحديث «الدنيا جمعة من جمع الآخرة» لا يصح إسناده، وكذا كل حديث ورد فيه تحديد وقت القيامة على التعيين، لا يثبت إسناده[٨].

واحتج السيوطي رحمه الله بآثار فيها تحديد عمر الدنيا، وأغلبها إسرائيليات، وقال رحمه الله «الذي

(١) انظر تخريجه، ص (٢٥)، هامش رقم (٧).
(٢) انظر: «تفسير المنار»، (٣٨٧/٩).
(٣) ضمن «الحاوي»، (٨٦/٢).
(٤) انظر: «فتح الباري» (٣٥١/١١).
(٥) وهذا حديث موضوع، انظر: «ضعيف الجامع الصغير» (١٦٠/٣) رقم (٣٠١٣).
(٦) «المنار المنيف»، ص (٨٠).
(٧) «نهاية البداية والنهاية» (١٩/١)، ومعنى يؤلِّف ـ هنا ـ: يُكَمِّل ألف سنة.
(٨) «السابق» (٢٢/١).

دلَّت عليه الآثار أنَّ مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمس مئة سنة».

تَعْلِيقُ الْعُلَمَاءِ عَلَى كَلَامِ السُّيُوطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

نقل الشيخ صديق حسن خان في «الإذاعة» عن العلامة الصنعاني قوله:

«وإذا أحطت علمًا بجميع ما سقناه؛ علمت بأن القول بتعيين مدة الدنيا من أولها إلى آخرها بأنه سبعة آلاف سنة لم يثبت فيه نصٌّ يُعْتَمَدُ عليه؛ وغاية ما فيه آثار عن السلف، وإن كانت لا تقال إلا عن توقيف؛ فلعلها مأخوذة عن أهل الكتاب، وفي أسانيدها مقال، وقد عُلم تغييرهم لما لديهم عن اللَّه - تعالىٰ -، وعن رسوله» اهـ[1].

وممن تعقب السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ الشيخ مرعي الكرمي في «بهجة الناظرين» قائلًا: «وهذا مردود؛ لأنَّ كل من يتكلَّم بشيء من ذلك؛ فهو ظنٌّ، وحسبانٌ، لا يقوم عليه برهان»[2].

وقد بين الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ أن السيوطي أقام رسالته «الكشف» على آثار بواطيل، وجمع ما تضمنته من تواريخ، وحسابات؛ فبلغت معه مئتي سنة وثلاثًا وستين سنة، ثم قال الصنعاني: «ونحن الآن في القرن الثاني عشر، ويضاف إليه مئتان وثلاث وستون سنة؛ فيكون الجميع أربعة عشرة مئة وثلاثة وستين»، ثم قال متعقبًا السيوطي: «وعلى قوله: إنه لا يبلغ خمس مئة سنة بعد الألف، يكون منتهى بقاء الأمة بعد الألف أربع مئة سنةٍ وثلاثًا وستين سنةً، ويتخرَّج منه أن خروج الدَّجال - أعاذنا اللَّهُ من فتنته - قبل انخرام هذه المئة التي نحن فيها؛ وهي المئة الثانية عشرة من الهجرة النبويّة».

● **وَعَقَّبَ عَلَى قَوْلِ الصَّنْعَانِيِّ هَذَا الْقِنَّوجِي؛ فَقَالَ:**

«وقد مضى إلى الآن على الألف نحوٌ من ثلاث مئة سنة، ولم يظهر المهدي! ولم ينزل عيسى! ولم يخرج الدَّجال!! فدلَّ على أن هذا الحساب ليس بصحيح»[3].

وممن انتقد رسالة السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ؛ إذ قال في «المنار»: «فكأن رسالته كلها مستنبطة من الخبرين الموضوعين؛ أي المكذوبين على رسول اللَّه ﷺ، فتأمل - هداك اللَّه - تعالى - ما يفعل الغرور بظاهر الروايات حتى في أنفس المشتغلين بالحديث؛ كالسيوطي الذي عُدَّ من الحفاظ، وأنكر ذلك زميله السخاوي، وكلاهما من تلاميذ الحافظ ابن حجر»[4].

وكان قد انتقد الآثار التي أوردها السيوطي، والتي فيها أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، فقال: «وقد اغتر بها من لا ينظرون في نقد الروايات إلا من جهة أسانيدها؛ حتى استنبط بعضهم منها ما

(١) «الإذاعة» ص (١٨٧ - ١٨٨).
(٢) نقله عنه في «السابق» ص (١٨٩).
(٣) «الإذاعة»، ص (١٨٤).
(٤) «تفسير المنار»، (٩/٣٩٨).

بقي من عمر الدنيا، وللجلال السيوطي في هذا رسالة قد هدمها عليه الزمان؛ كما هدم أمثالها من التخرصات، والأوهام، وما بُثَّ في الإسرائيليات من الكيد للإسلام»[1].

وقال الشيخ يوسف بن عبدالله الوابل ـ حفظه الله ـ:

«وكما أنه لا يعلم أحد متى تقوم الساعة، فكذلك لا يعلم أحد متى تظهر أشراط الساعة، وما ورد أنه في سنة كذا يكون كذا، وفي سنة كذا يحصل كذا؛ فهو ليس بصحيح؛ فإن التاريخ لم يوضع في عهد النبي ﷺ، وإنما وضعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ اجتهادًا منه، وجعل بدايته هجرة النبي ﷺ إلىٰ المدينة»[2].

ذِكْرُ نُصُوصٍ عَنِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَى السُّيُوطِيِّ فِي قَضِيَّةِ «تَحْدِيدِ عُمُرِ الدُّنْيَا»

أوَّلًا: الإمام أبو محمد علي بن حزم (ت ٤٥٦) رحمه الله: لم يعبأ بشيء من تلك الروايات المأثورة في هذه المسألة علىٰ طول باعه، وسعة حفظه للآثار، وقد سبق القاضي عياضًا، والقاضي أبا بكر بن العربي، وابن خلدون في رفضه لما قيل في عمر الدنيا، والعجب أن الحافظ فاته إيرادُ ما قاله ابن حزم في هذه المسألة علىٰ سعة إطلاعه.

قال رحمه الله في «الفِصَل»:

مطلب بيان كذب من ادعى لمدة الدنيا عددًا معلومًا

قال (أبو محمد): «وأما اختلاف الناس في التاريخ فإن اليهود يقولون: للدنيا أربعة آلاف سنة ونيف، والنصارى يقولون: للدنيا خمسة آلاف سنة، وأما نحن فلا نقطع علىٰ عدد معروف عندنا، وأما من ادَّعى في ذلك سبعة آلاف سنة، أو أكثر، أو أقل؛ فقد كذب، وقال ما لم يأت قط عن رسول الله ﷺ فيه لفظةٌ تصح، بل صح عنه ﷺ خلافُه، بل نقطع علىٰ أن للدنيا أمدًا لا يعلمه إلا الله ـ تعالىٰ ـ، قال الله ـ سبحانه ـ: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]، وقال رسول الله ﷺ: **«مَا أَنْتُمْ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوِ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ»**، هذا عنه عليه السلام ثابت، وهو عليه السلام لا يقول إلا عين الحق، ولا يسامح بشيء من الباطل، وهذه نسبة مَن تدبرها، وعرف مقدار أعداد أهل الإسلام، ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض، وأنه الأكثر؛ علم أن للدنيا عددًا لا يحصيه إلا الله الخالق تعالىٰ، وكذلك قوله ﷺ: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»**، وضم أصبعيه المقدستين السبابة، والوسطى، وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون إلا الله ـ تعالىٰ ـ لا أحد سواه؛

(١) «السابق»، (٩/٣٩٣).
(٢) «أشراط الساعة»، ص (٦٥).

فصح أنه ﷺ إنما عنى شدة القرب، وله ﷺ منذ بعث أربع مئة عام ونيف، والله ـ تعالىٰ ـ أعلم بمقدار ما بقي من عمر الدنيا؛ فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عندما سلف؛ لقلته وتفاهته، بالإضافة إلىٰ ما مضى، فهذا الذي قاله ﷺ من أننا فيما مضى كالشعرة في الثور، أو الرقمة في ذراع الحمار»، اهـ. كلام ابن حزم ـ رحمه الله تعالىٰ[1]ـ.

ثَانِيًا: الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقد نقل عنه الحافظ ابن حجر أثناء شرحه لحديث «**بُعِثْتُ أَنَا، وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**» قوله: حاول بعضهم في تأويله أن نسبة ما بين الأصبعين؛ كنسبة ما بقي من الدنيا بالنسبة إلىٰ ما مضى، وأن جملتها سبعة آلاف سنة، واستند إلىٰ أخبار لا تَصِحُّ، وذكر ما أخرجه أبو داود في تأخير هذه الأمة نصف يوم، وفسَّره بخمس مئة سنة؛ فيؤخذ من ذلك أن الذي بقي نصفُ سُبعٍ، وهو قريب مما بين السبابة، والوسطى في الطول.

قال: وقد ظهر عدم صحة ذلك؛ لوقوع خلافه، ومجاوزة هذا المقدار، ولو كان ذلك ثابتًا، لم يقع خلافه.

ثُمَّ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قلت: وقد انضاف إلىٰ ذلك منذ عهد عياض إلىٰ هذا الحين ثلاث مئة سنة، وقال ابن العربي: قيل: الوُسْطَى تزيد علىٰ السبابة نصف سبعها، وكذلك الباقي من الدنيا من البعثة إلىٰ قيام الساعة، قال: وهذا بعيدٌ، ولا يُعلم مقدار الدنيا؛ فكيف يتحصل لنا نصف سبع أمدٍ مجهول؟ **فالصواب الإعراض عن ذلك**» ا هـ[2].

ثَالِثًا: الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «إن ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن، والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا، يحتاج إلىٰ طريقٍ صحيحٍ يقطع العذر، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة؛ فلا يعلم أحدٌ أيَّ سنة هي؟ ولا أي شهر؟ أما أنها تكون في يوم الجمعة في آخر ساعة منه، وهي الساعة التي خلق الله فيها آدم عليه السلام، ولكن أي جمعة؟ لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله وحده لا شريك له، وكذلك ما يكون من الأشراط تعيين الزمان لها لا يُعلم، والله أعلم»[3].

رَابِعًا: شيخ الإسلام ابن تيمية:

قال ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: (.. ومن تكلم في وقتها المعين، مثل الذي صنف كتابًا سمَّاه «الدر المنظم في معرفة الأعظم»، وذكر فيه عشر دلالات بيَّنَ فيها وقتها، والذين تكلموا علىٰ ذلك من

---

(١) «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» (٢/٨٤ ـ ٨٥).
(٢) «فتح الباري» (١١/٣٥٠)..
(٣) «التذكرة» للقرطبي، ص (٦٢٨).

«حروف المعجم»، والذي تكلم في «عنقاء مغرب»، وأمثال هؤلاء، فإنهم - وإن كان لهم صورة عظيمة عند أتباعهم - فغالبهم كاذبون مفترون، وقد تبين لديهم من وجوه كثيرة أنهم يتكلمون بغير علم؛ وإن ادَّعَوْا في ذلك الكشف ومعرفة الأسرار، وقد قال تعالىٰ:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]اهـ.

خامسًا: الإِمَامُ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ:

قال: رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي في كتب الإسرائيليين، وأهل الكتاب؛ من تحديد ما سلف بألوفٍ، ومِئين من السنين، قد نص غير واحد من العلماء علىٰ تخطئتهم فيه، وتغليطهم، وهم جديرون بذلك، حقيقون به، وقد ورد في حديث: «الدنيا جمعة من جمع الآخرة»، ولا يصح إسناده أيضًا، وكذا كل حديث ورد فيه تحديد لوقت يوم القيامة علىٰ التعيين لا يثبت إسناده»[2].

سَادِسًا: الحافظ ابن رجب الحنبلي:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعدما سرد جملة من النصوص التي استدل بها من يحددون ما تبقى من عمر الدنيا:

«وأخذُ بقاء ما بقي من الدنيا علىٰ التّحديد من هذه النصوص لا يصح، فإن اللَّه استأثر بعلم الساعة، ولم يُطْلِع عليه أحدًا من خلقه، وهو من مفاتح الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله، ولهذا قال النبي ﷺ: «ما المسئولُ عنها بأعلمَ مِنَ السائلِ»، وإنما خرج هذا من النبي ﷺ علىٰ وجه التقريب للساعة بغير تحديد لوقتها.

وقد قدمنا أن المراد بهذا الحديث مدة أمةِ محمد ﷺ مع مدة أمةِ موسى وعيسى عليهم السلام.

فمدة هذه الأمم الثلاثِ كيوم تام، ومدة ما مضى من الأمم في أول الدنيا كليلة هذا اليوم، فإن الليل سابقٌ للنهار، وقد خُلِقَ قبلَه - علىٰ أصح القولين - وتلك الليلة السابقة كان فيها نجوم تضيء، ويُهتدى بها، وهم الأنبياء المبعوثون فيها، وقد كان - أيضًا - فيهم قمرٌ منيرٌ وهو إبراهيم الخليل عليه السلام، إمام الحنفاء، ووالد الأنبياء، وكان بين آدم ونوح ألف سنة، وبين نوح وإبراهيم ألف سنة، وبين إبراهيم وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ألف سنة، قال ذلك غير واحد من المتقدمين حكاه عنهم الواقدي....

وأما ابتداء رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فكانت كابتداء النهار، فإن موسى وعيسى ومحمدًا - صلى اللَّه عليهم وسلم - هم أصحاب الشرائع، والكتب المتبعة، والأمم العظيمة.

وقد أقسم اللَّه بمواضع رسالاتهم في قوله - تعالىٰ -: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٤٢/٤).

(٢) «نهاية البداية والنهاية» (٢٢/١).

ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ [التين: ١ـ ٣]، وفي التوراة: «جاء اللَّه من طور سيناءَ، وأشرقَ مِنْ سَاعير، واستعلنَ من جبال فاران»، ولهذا سَمَّى محمَّدًا ﷺ سِرَاجًا منيرًا؛ لأنَّ نوره للدنيا كنورِ الشَّمسِ، وأعمُّ، وأعظَمُ، وأنفعُ، فكانتْ مدةُ عملِ بني إسرائيلَ إلىٰ ظهور عيسى كنصف النَّهارِ الأولِ، ومدةُ عملِ أُمَّةِ عيسى كما بينَ الظُّهرِ والعصر، ومُدَّةُ عملِ المسلمينَ كما بينَ العصرِ إلىٰ غروبِ الشَّمسِ، وهذا أفضلُ أوقات النَّهار، ولهذا كانت الصَّلاةُ الوسطى العصرَ علىٰ الصحيح، وأفضل ساعاتِ الجمعةِ، ويوم عرفةَ مِنَ العصر إلىٰ غروب الشَّمْسِ، فلهذا كان خيرُ قرونِ بني آدم القرنَ الذي بُعِثَ فيه محمَّدٌ ﷺ، وقد خرَّجَ البخاريُّ ذلك من حديثِ أبي هريرةَ مرفوعًا»[١]اهـ.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشيرًا إلىٰ حديث: «إنما بقاؤكم فيما سلف من الأمم قبلكم؛ كما بين العصر إلىٰ غروب الشمس، أوتي أهلُ التوراةِ التوراةَ، فعملوا، حتىٰ إذا انتصف النهار؛ عجزوا» الحديث ـ:

«وهذا الحديث إنما ساقه النبي ﷺ مساق ضرب الأمثال، **والأمثال مظنة التوسع فيها**»اهـ[٢].

وقال أيضًا: رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مدة الماضي من الدنيا إلىٰ بعثة محمد ﷺ، ومدة الباقي منها إلىٰ يوم القيامة؛ لا يعلمه علىٰ الحقيقة إلا اللَّه عَزَّوَجَلَّ، وما يُذكر في ذلك فإنما هو ظنون لا تفيد علمًا»[٣].

سَابِعًا: الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال في شرح حديث ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ مرفوعًا: **«مَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ إِلَّا مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ»**.

قال الحافظ: «وله محملان: أحدهما: أن المراد بالتشبيه التقريب، ولا يُرَادُ حقيقة المقدار.

وَالثَّاني: أن يحمل علىٰ ظاهره، ويكون فيه دلالة علىٰ أن مدة هذه الأمة قدر خُمُسِ النهار تقريبًا»[٤].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حديث: **«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»**؛ مُبيِّنًا وجه الشبه: «هل المراد به قرب إحداهما من الأخرى، أم التفاوت الذي بينهما في الطول؟ وما المراد به؟ والأرجح المختار عندنا من هذه الأقوال أنه ليس بينه ﷺ، وبين الساعة نبي آخر؛ فهي تليه» ا هـ[٥].

★ ★ ★

(١) «فتح الباري» لابن رجب (٤/٣٣٨ ـ ٣٤٠).
(٢) «السابق» (٤/٣٤١)
(٣) «السابق» (٤/٣٤٤).
(٤) انظر: «فتح الباري» (١١/٣٥١)..
(٥) نقله عنه في «المنار» (٩/٣٩٤).

فصلٌ

وممن خاض في هذا البحث «أمين محمد جمال الدين» في كتابه «عمر أمة الإسلام»، وانتهى إلىٰ أننا نعيش حقبة ما قبل النهاية، وهي مرحلة الاستعداد للفتن، والملاحم الأخيرة التي تسبق ظهور العلامات الكبرى.

ومما استدل به: ـ ما راه ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ[1]، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا،**

---

(١) قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:
وقوله ﷺ: «إنما بقاؤكم فيما سلف من الأمم قبلكم» إنما أراد به ـ والله أعلم ـ أتباع موسى، وعيسى ـ عليهما السلام ـ، وقد سمى الله بني إسرائيل بانفرادهم أممًا فقال: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف:١٦٨]؛ ولهذا فسر النبي ﷺ ذلك بعمل أهل التوراة بها إلى انتصاف النهار، وعملِ أهل الإنجيل إلى العصر، وعمل المسلمين بالقرآن إلى غروب الشمس.
ويدلُ على ذلك ـ أيضًا ـ حديثُ أبي موسى الذي خرَّجه البخاريُّ بعد هذا، ولفظُـــه: **«مثلُ المسلمينَ، واليهود، والنصارى كمثلِ رجل استأجرَ قومًا يعملون له إلى الليل»**، وذكرَ الحديثَ كما سيأتي إن شاءَ اللَّهُ ـ تعالى ـ. وإنما قلنا: إنَّ هذا هو المرادُ من الحديث؛ لأنَّ مدةَ هذه الأمة بالنسبة إلى مدة الدنيا من أولها إلى آخرها لا يبلغُ قدرَ ما بينَ العصر إلى غروب الشمسِ بالنسبة إلى ما مضى من النَّهارِ؛ بل هو أقلُّ من ذلكَ بكثيرٍ.
ويدلُّ عليه صريحًا: ما خرَّجه الإمامُ أحمدُ، والترمذيُّ من حديث أبي سعيد أن النبيَّ ﷺ صلَّى بهم صلاةَ العصر يومًا بنهارٍ، ثم قامَ خطيبًا، فلم يدع شيئًا يكونُ إلى قيام السَّاعة إلا أخبرنَا به. فذكرَ الحديثَ بطولِهِ وقال في آخره: قال: وجعلنا نلتفتُ إلى الشَّمسِ هل بقي منها شيء؟، فقالَ رسول اللَّه ﷺ: **«ألا إنَّه لم يبقَ من الدنيا فيما مَضَى إلا كما بَقِي من يومِكم هذا فيما مضى منه»**.
وقالَ الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ.
وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ من حديثِ ابنِ عُمَرَ قال: كُنَّا جلوسًا عندَ النَّبيِّ ﷺ والشَّمسُ على قُعَيقِعانَ بعد العصر، فقالَ: **«ما أعمارُكم في أعمارِ مَن مَضَى إلا كَمَا بَقِيَ مِنَ النَّهارِ فيما مَضَى منه»**.
ومن حديث ابنِ عُمَرَ أنَّه كانَ واقفًا بعرفاتٍ ينظرُ إلى الشَّمسِ حينَ تَدَلَّت مِثلَ التُّرسِ للغروبِ، فبكى، وقَالَ: ذكرتُ رسولَ اللَّه ﷺ وهو واقفٌ بمَكاني هذا، فقالَ: **«أيُّها النَّاسُ لم يبقَ مِن دُنيَاكُم فيمَا مَضَى إلا كما بَقِيَ مَن يومِكُم هذا فيما مَضَى منه»**.
ويشهدُ لذلك من الأحاديثِ الصحيحةِ: قولُ النَّبيِّ ﷺ: **«بعثتُ أنا والسَّاعةُ كهاتينِ»** وقرنَ بين أصبعيه: السَّبَّابةِ والوسطى.
خرَّجَاهُ في «الصحيحينِ» من حديثِ أنسٍ.
وخرَّجَاهُ ـ أيضًا ـ بمعناه من حديثِ أبي هريرةَ، وسهلِ بنِ سعدٍ.
وخرَّجه مسلمٌ بمعناه من حديثِ جابرٍ.
وخرَّجَ التِّرمذيُّ من حديث المستورد بنِ شَدَّادٍ عن النَّبيِّ ﷺ قال: **«بُعِثْتُ في نَفَسِ السَّاعةِ فسبقتُهَا كما سبقت هذه هذه»** لأصبعيه: السَّبابةِ والوسطى.
وفي «مسند الإمامِ أحمدَ»، عن بُرَيدةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: **«بعثتُ أنا والسَّاعةُ جميعًا إن كادت لَتَسبقُني»**.
ورَوَى الإمامُ أحمدُ ـ أيضًا ـ حَدَّثنا أبو حمزةَ: حَدَّثني أبو حازم: لا أعلمُه إلا عن سهلِ بنِ سعدٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: **«مَثلي وَمثلُ السَّاعةِ كهاتين»**، وفرَّقَ كذا بينَ أصبعيهِ الوسطى والتي تلي الإبهامَ، ثم قالَ: **«مَثَلي ومَثَلُ السَّاعةِ كمثلِ فَرسي رِهَانٍ»**، ثُمَّ قالَ: **«مَثَلي ومَثَلُ السَّاعةِ كمثلِ رَجُلٍ بَعَثَه قومٌ طليعةً فلمَّا خَشِيَ أن يُسبَقَ ألاحَ بثوبه: أُتيتم أُتيتم»**، ثُمَّ يقولُ رسولُ اللَّه ﷺ: **«أنا ذاك»**.

حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ، فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ، فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: أَيْ رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، وَنَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

وفي رواية «إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِيمَا خَلَا مِنَ الْأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ. فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرُ عَمَلًا، وَأَقَلُّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»(١).

وعن أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا إِلَى اللَّيْلِ، فَعَمِلُوا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ، فَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ، فَقَالَ: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ، وَلَكُمُ الَّذِي شَرَطْتُ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَالُوا: لَكَ مَا عَمِلْنَا، فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ»(٢).

قال الحافظ في «الفتح»: (واستُدِل به علىٰ أن بقاء هذه الأمة يزيد علىٰ الألف؛ لأنه يقتضي أن مدة اليهود نظير مدتي النصارى، والمسلمين، وقد اتفق أهل النقل علىٰ أن مدة اليهود إلىٰ بعثة النبي ﷺ كانت أكثر من ألفي سنة(٣)، ومدة النصارى من ذلك ست مئة ـ وقيل أقل ـ، فتكون

= وكلُّ هذه النصوص تدلُّ على شدَّة اقتراب السَّاعةِ كما دلَّ عليه قولُه ـ تعالى ـ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]، وقولُهُ ـ تعالى ـ ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء:١]، وقد فُسِّرَ قولُه ﷺ: «بُعثتُ أنا والسَّاعةَ كهاتين»، وقَرَنَ بين السَّبَّابةِ والوسطى، فَقُرْبُ زمانِهِ من السَّاعةِ كقربِ السَّبَّابةِ من الوسطى، وكأن زمنَ بعثتِه يعقُبُه الساعةُ من غير نبيٍّ آخرَ بينه وبين الساعة، كما قالَ في الحديثِ الصحيحِ: «أنا الحاشرُ يُحشرُ النَّاسُ على قدمي، وأنا العاقبُ».
فالحاشر: الذي يَحشرُ النَّاسَ لبعثِهم يومَ القيامةِ على قدمِهِ ـ يعني أن بعثَهم وحَشرَهم، يكونُ عَقِيبَ رسالتِهِ فهو مبعوثٌ بالرِّسالةِ، وعقيبه يُجمعُ النَّاسُ لحشرِهم.
والعاقبُ: الذي جاء عقيب الأنبياء كلِّهم، وليس بعدَه نبيٌّ؛ فكان إرسالُه من علاماتِ السَّاعةِ.
وفي «المسند» عن ابن عمرَ، عن النَّبي ﷺ قال: «بعثتُ بالسَّيفِ بينَ يدي الساعة، حَتَّى يُعبَدَ اللَّهُ وحدهُ لا شريكَ له». ا هـ. من «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٤/٣٣٤ـ ٣٦٦).

(١) رواه البخاري، (٥٥٧)، ((٢/٣٨ـ فتح)، (٢٢٦٨)، (٢٢٦٩)، (٣٤٥٩)، (٥٠٢١)، (٧٤٦٧)، والترمذي، (٢٨٧٥).
(٢) رواه البخاري (٥٥٨)، (٢/٣٨ ـ فتح).
(٣) ينبغي التنبه إلى أن هذا لا يعني أن مدة اليهود أكثر من ألفي سنة، لأن عمر أي أمة يكون منذ بعثة نبيها إلى بعثة النبي الذي بعده، فعمر أمة اليهود من بعثة موسى إلى بعث عيسى عليهما السلام، وعليه فإن عمر أمة اليهود = ٢٠٠٠ − ٦٠٠ = ١٤٠٠ سنة. =

مدة المسلمين أكثر من ألف قطعًا»[1].

ثم إن صاحب كتاب «عمر أمة الإسلام» يقول: «إن مدة عمر اليهود تساوي مدتي عمر النصارى، والمسلمين مجتمعتين، ومدة عمر النصارى هي ست مئة سنة[2]؛ فإذا طرحنا مدة عمر النصارى ٦٠٠ سنة من ألفين؛ وهي مدة أهل الكتاب إلى بعثة محمد ﷺ كان الناتج عمر أمة اليهود. ٢٠٠٠ ـ ٦٠٠=١٤٠٠ سنة، وتزيد قليلًا.

وذكر أهل النقل، والتاريخ[3] أن هذه الزيادة تزيد عن المائة قليلًا، إذن، وبالتقريب؛ فإن عمر أمة اليهود يساوي ١٥٠٠ سنة.

وحيث إن عمر أمة الإسلام يساوي عمر أمة اليهود مطروحًا منه عمر أمة النصارى؛ فيكون عمر أمة الإسلام ١٥٠٠ ـ ٦٠٠ = ٩٠٠ سنة، وتزيد قليلًا.

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إني لأرجو ألا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم، قيل لسعد ﷺ: كم نصف يوم؟ قال: خمس مئة سنة»**[4].

فعمر أمة الإسلام ٩٠٠ + ٥٠٠= ١٤٠٠سنة، وتزيد قليلًا.

ثم يستند إلى قول الإمام السيوطي في رسالته المسماة «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف»

= وبما أن عمر اليهود = عمرالنصارى والمسلمين معًا؛ إذن:
عمر المسلمين = عمر اليهود - عمر النصارى
أي ١٤٠٠ ـ ٦٠٠= ٨٠٠ عامًا فقط.

وهذه النتيجة تتناقض مع زعم أن مدة المسلمين أكثر من ألف عام كما ادعى المستدل المجهول الذي نقل عنه الحافظ، وكذا مقلِّده أمين جمال الدين، الذي وقع في ورطة، وإزاء إصراره على أن الأمة في النزع الأخير، وأننا الآن في حقبة ما قبل النهاية، وجد مخرجًا يسمح له بزيادة خمس مئة سنة، وذلك في حديث: «إني لأرجو ألا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم» ، فاتكأ على الزيادة الضعيفة، واستنتج أن عمر الأمة ٨٠٠ مضافًا إليها خمس مئة سنة، فيكون المجموع ٨٠٠ مضافًا إليها ٥٠٠=١٣٠٠ سنة.

وكان قد ظفر بقول نُسب إلى أهل النقل أنهم اتفقوا على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي ﷺ (أكثر) من ألفي سنة، فالتقط كلمة (أكثر)، وزعم أنها تقدر بحوالي مئة سنة.

وبهذا صار عمر أمة الإسلام ١٣٠٠ سنة مضافًا إليها ١٠٠ سنة = ١٤٠٠سنة.

وبهذا يتضح افتقار «بحثه» إلى الموضوعية والمصداقية، لأنه خاضع لهوى النفس، مُنقاد لرغبة جامحة تلح عليه في كل سطر بأن تكون النتيجة ـ وبكل سبيل ـ أن الأمة الآن تلفظ أنفاسها الأخيرة!!

(١) «فتح الباري»، (٤٤٩/٤).

(٢) بناء على قول سلمان ﷺ: «فترة بين عيسى ومحمد ﷺ ست مئة سنة»؛ عزاه في «الفتح»، (٤٠/٢) إلى صحيح البخاري.

(٣) ولم يذكر من هؤلاء؟ ولا: أين قالوا ذلك؟

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٧٠/١)، وأبو داود «صحيح أبي داود»، (٨٢١/٣)، وصححه الألباني أيضًا في «الصحيحة» رقم (١٦٤٣)، دون زيادة: «قيل لسعد: كم نصف يوم؟ قال : خمس مئة سنة»، فإن في إسنادها انقطاعًا، كما قال الحافظ في «الفتح» (٣٥١/١١).

في بيان خروج المهدي: «الذي دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على الألف، ولا تبلغ الزيادة خمس مئة سنة أصلًا».

ثم يقول: «ونحن الآن في سنة ١٤١٨من الهجرة، ولكننا في سنة ١٤٣٠ من البعثة، فنحن نعيش حقبة ما قبل النهاية، وفي مرحلة الاستعداد للفتن، والملاحم الأخيرة التي تسبق ظهور العلامات الكبرى»(١).

وَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا:

أن الأحاديث التي استدل بها مجرد مثال، وقد قال إمام الحرمين: «إن الأحكام لا تُؤْخَذُ من الأحاديث التي تأتي لضرب الأمثال»(٢)، وقال الحافظ ابن رجب: «وهذا الحديث إنما ساقه النبي ﷺ مساق ضرب الأمثال، والأمثالُ مظنة التوسع فيها»(٣)اهـ. ولا يلزم من التمثيل، والتشبيه التسوية من كل جهة، قال الحافظ ـ رحمه الله ـ تعالىٰ ـ: «لا يلزمهم من كونهم أكثر عملًا أن يكونوا أكثر زمانًا؛ لاحتمال كون العمل في زمنهم كان أشق؛ ويؤيده قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، [البقرة: ٢٨٦].

ومما يؤيد كون المراد كثرة العمل، وقلته لا بالنسبة إلىٰ طول الزمان، وقصره: كونُ أهل الأخبار متفقين علىٰ أن المدة التي بين عيسى، ونبينا ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ دون المدة التي بين نبينا ﷺ، وقيام الساعة؛ لأن جمهور أهل المعرفة بالأخبار قالوا: إن مدة الفترة بين عيسى، ونبينا ﷺ ست مئة سنة، وثبت ذلك في «صحيح البخاري» عن سلمان، وقيل: إنها دون ذلك؛ حتىٰ جاء عن بعضهم أنها مئة وخمس وعشرون سنة، وهذه مدة المسلمين بالمشاهدة أكثر من ذلك، فلو تمسكنا بأن المراد التمثيل بطول الزمانين، وقصَرهما، للزم أن يكون وقت العصر أطول من وقت الظهر، ولا قائل به؛ فَدَلَّ علىٰ أن المراد كثرة العمل وقلته، والله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أعلم»(٤) اهـ .

وخلاصة القول في هذا أن: «هذه الأحاديث إنما تدل علىٰ أنه ما بقي بالنسبة لما مضى شيء يسير، لكن لا يعلم مقدار ما مضى، وما بقي إلا الله ـ تعالىٰ ـ، ولم يَجِئْ فيه تحديدٌ يصح سنده، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «مدةُ الماضي من الدنيا إلىٰ بعثة محمد ﷺ ومدةُ الباقي منها إلىٰ يوم القيامة؛ لا يعلمُهُ علىٰ الحقيقةِ إلَّا اللهُ ﷻ، وما يُذْكَرُ في ذلكَ؛ فإنَّما هو ظنونٌ لا تفيدُ علمًا»(٥) اهـ.

---

(١) «عمر أمة الإسلام»، ص (٤٣، ٤٥، ٤٨).
(٢) نقله عنه الحافظ في «الفتح» (٢/٣٩).
(٣) «فتح الباري» له (٤/٣٤١).
(٤) «فتح الباري» (٢/٤٠).
(٥) «فتح الباري» لابن رجب (٤/٣٤٤).

قال بعض العلماء: المرادُ تشبيه من تقدم بأول النهار إلىٰ الظهر، والعصر في كثرة العمل الشَّاقِ والتكليف، وتشبيه هذه الأمة بما بين العصر والليل في قلة ذلك وتخفيفه، وليس المراد طول الزمن وقصره؛ إذ مدة هذه الأمة أطول من مدة أهل الإنجيل.

وكان لهذه الأمة قيراطان من الأجر؛ لإيمانهم بموسى، وعيسى مع إيمانهم بمحمد ﷺ؛ لأن التصديق عَمَلٌ.

ويدل علىٰ ذلك قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾، [المائدة: ٥٩].

ونختم هذا المبحث بما قالهُ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق ذم الفلاسفة والمنجمين، إذ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ولهذا لا تزال أحكامهم كاذبة متهافتة، حتىٰ إن كبير الفلاسفة الذي يسمونه «فيلسوف الإسلام» يعقوب بن إسحاق الكندي عملَ تسييرًا لهذه الملة: زعم أنها تنقضي عام ثلاث وتسعين وستمائة، وأَخَذَ ذلك منه مَن أخرج «مخرج الاستخراج» من حروف كلام ظهر في الكشف لبعض من أعاده، ووافقهم علىٰ ذلك مَن زعم أنه استخرج بقاء هذه الملة من حساب الجمل، الذي للحروف التي في أوائل السُّور» إلىٰ أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فهذه الأمور التي توجد في ضُلَّال اليهود والنصارى، وضُلَّال المشركين والصابئين من المتفلسفة والمنجمين: مشتملة من هذا الباطل علىٰ ما لا يعلمه إلا اللّٰه تعالىٰ.

وهذه الأمور وأشباهها خارجة عن دين الإسلام محرمة فيه؛ فيجب إنكارها، والنهي عنها علىٰ المسلمين، علىٰ كل قادر: بالعلم والبيان، واليد واللسان، فإن ذلك من أعظم ما أوجبه اللّٰه من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهؤلاء وأشباههم أعداء الرسل، وسُوسُ الملل»(١)اهـ.



(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥/١٨٩ ـ ١٩٠).

الباب الرابع

ضَوَابِطُ التَّعَامُلِ
مَعَ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

الْفَصْلُ الأول

ضَوَابِطُ التَّعَامُلِ مَعَ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

● **الأَوَّلُ: مقارنة الحِلم، والرفق، ومفارقة العجلة، والطيش:**

عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(١).

وعنها ـ رضي الله عنها ـ، قالت: «استأذن رَهْطٌ من اليهود على النبي ﷺ، فقالوا: السَّامُ عليك، فقلت: «بل عليكم السَّامُ واللَّعْنَةُ»، فقال: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»، قلت: «أو لم تسمع ما قالوا؟»، قال: «**قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**»(٢).

وعن جرير ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ**»(٣).

قال ﷺ لأشج عبدالقيس: «**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ: الْحِلْمُ(٤) وَالأَنَاةُ**»(٥).

عن خباب بن الأرتّ ﷺ، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسِّد بُردةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(٦).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ اللهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْحِلْمِ**»(٧).

والعَجَلة: فعل الشيء قبل وقته اللائق به، وكانت العرب تُكَنِّي العجلة أُمَّ الندامات(٨).

وقال عطاء بن أبي رباح ـ رحمه الله تعالى ـ: «ما أوى شيءٌ إلى شيءٍ أزينُ من حِلْمٍ إلى

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٤) (١٤٦/١٦ـ نووي).

(٢) رواه البخاري (٦٩٢٧) واللفظ له، ومسلم (٢١٦٥).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٢) (١٤٥/١٦ـ نووي).

(٤) الحِلم: ترك العجلة، وهو خلاف الطيش ونقيض السفه، وقال الراغب: «هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب» «المفردات» ص(١٢٩).

(٥) رواه البخاري (٨٧)، ومسلم (١٨).

(٦) رواه البخاري (٣١٥/١٢ ـ ٣١٦) ـ فتح.

(٧) عزاه الهيثمي إلى أبي يعلى؛ وقال «رجاله رجال الصحيح» «مجمع الزوائد» (١٩/٨)، وله شاهد من حديث سهل بن سعد ﷺ رواه الترمذي (٢٠١٢).

(٨) «روضة العقلاء» ص(٢٨٨).

عِلم»(١).

وقال وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «الرفق ثِنْيُ الحِلم»(٢).

وقال أكثم بن صيفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «دِعامة العقل الحِلم، وجِمَاع الأمر الصبر»(٣).

وقال أمير المؤمنين عليٌّ ﷺ: «إن أول ما عَوِّضَ الحليم من حلمه أن الناس كلَّهم أعوانه علىٰ الجاهل»(٤).

وقال أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ: «لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتىٰ يغلب حِلْمُه جهله وصبرُه شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم»(٥).

وسأل ﷺ عمرَو بنَ الأهتم: أيُّ الرجال أشجع؟ قال: «من رَدَّ جهلَه بحِلْمه»، قال: فأي الرجال أسخى؟ قال: «من بذل دنياه لصالح دينه»(٦).

قال معاوية ﷺ لرجلٍ شَهِدَ عنده بشهادةٍ: «كذبتَ»، فقال الأعرابي: إن الكاذب للمتزمِّل في ثيابك، فقال معاوية: هذا جزاء من يَعْجَل»(٧).

قال الأوزاعي: «كان عمر بن عبدالعزيز إذا أراد أن يعاقب رجلًا حبسه ثلاثًا، ثم عاقبه؛ كراهيةَ أن يعجل في أول غضبه»(٨).

وعن حفص بن غياث، قال: قلت لسفيان الثوري: «يا أبا عبدالله، إن الناس قد أكثروا في المهدي، فما تقول فيه؟»، قال: «إن مَرَّ علىٰ بابك؛ فلا تكن منه في شيء، حتىٰ يجتمع الناس عليه»(٩).

وقال عبدالله: «إنها ستكون هنات، وأمور مشبهات، فعليك بالتؤدة؛ فتكون تابعًا في الخيرِ خيرٌ من أن تكون رأسًا في الشر»(١٠).

وعن حذيفة ﷺ أنه ذكر فتنة، فقال: «تُشَبِّهُ مُقْبِلَةً، وتُبَيِّنُ مُدْبِرةً»(١١).

قال شمر: معناه أن الفتنة إذا أقبلت شَبَّهَت علىٰ القوم، وأرتهم أنهم علىٰ الحق؛ حتىٰ يدخلوا فيها، ويركبوا منها ما لا يحل؛ فإذا أدبرت وانقضت، بان أمرها، فَعَلِمَ من دخل فيها أنه كان علىٰ الخطإ»(١٢).

قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «إن العاجل لا يكاد يَلحق؛ كما أن

(١) رواه الدارمي (٥٧٦) (١/١٥٢).
(٢) «الإحياء» (٣/١٨٦).
(٣)، (٤)، (٥)، (٦) «السابق» (٣/١٧٨).
(٧) «روضة العقلاء» ص (٢٩٠).
(٨) «سير أعلام النبلاء» (٥/١٣٣).
(٩) «حلية الأولياء» (٧/٣١).
(١٠) «المصنف» لابن أبي شيبة، (١٥/٣٤).
(١١) «السابق» (١٥/٢٠).
(١٢) «لسان العرب» (١٣/٥٠٣ ـ ٥٠٤).

الرافق لا يكاد يُسْبَق، والساكت لا يكاد يندم، ومن نطق لا يكاد يسلم، وإن العَجِل يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويحمد قبل أن يُجَرِّب، ويذم بعدما يحمد، ويعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم، والعَجِلُ تصحبهُ الندامة،وتعتزله السلامة، وكانت العرب تَكْني العجلةَ أمَّ الندامات»[١]

لَا تَـعْـجَـلَـنَّ فَـرُبَّمَـا عَـجِـلَ الْـفَـتَـى فِيمَـا يَضُـرُّهْ
وَلَـرُبَّمَـا كَـرِهَ الْـفَـتَـى أَمْـرًا عَـوَاقِـبُـهُ تَـسُـرُّهْ[٢]

وفي المثل: «إذا لم تستعجل تصل».

قَـدْ يُـدْرِكُ الْمُتَـأَنِّـي بَـعْـضَ حَـاجَـتِـهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ[٣]

وقال عمرو بن العاص لابنه عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ: «الخُرَق معاداة إمامك، ومناوأة من يَقْدِرُ على ضررك»[٤].

عن الشعبي قال: «أغلظ رجل لمعاوية، فقال: أنهاك عن السلطان، فإن غضبه غضبُ الصبي، وأخذَهُ أخذُ الأسد»[٥].

فَائِدَةٌ: مَعْنَى قَوْلِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ في الرُّوم: «إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ»:

قال المستوردُ القرشي عند عمرو بن العاص ﷺ: «سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **«تَقُومُ السَّاعَـةُ والرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»**، فقال له عمـرو: أبصِر ما تقول، قـال: أقـول ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالًا أربعًا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فَرَّة، وخيرهم لمسكين، ويتيم، وضعيف، وخامسة حسنة جميلة، وأمنعهم من ظلم الملوك»[٦].

والشاهد قوله ﷺ: «إنهم أحلم الناس عند فتنة»؛ «يعني إذا ظهر تغير الحال، وظهرت الفتن؛ فإنهم يحلُمون، ولا يعجلون، ولا يغضبون؛ ليقوا أصحابهم النصارى القتل، ويقوهم الفتن؛ لأنهم يعلمون أن الفتنة إذا ظهرت؛ فإنها ستأتي عليهم؛ فلأجل تلك الخصلة فيهم، بقوا أكثر الناس إلى قيام الساعة؛ ولهذا، فإننا نعجب أن لا نأخذ بهذه الخصلة التي حمد بها عمرو بن العاص الروم،

(١) «روضة العقلاء»، ص (٢١٦).
(٢) «بصائر ذوي التمييز»، (٤/٢٤).
(٣) «فيض القدير»، (٦/٩٨).
(٤) «الإحياء»، (٣/١٨٨).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (٣/١٥٣).
(٦) رواه مسلم في «الفتن»، (١٨/٢٢ ـ نووي)، وحكى الأُبِّيُّ في «إكمال إكمال المُعْلِم» عن القرطبي قوله: «هذه الخلال الأربع الحميدة لعلها كانت في الروم التي أدرك، وأما اليوم فهم أنحس الخليقة، وعلى الضد من تلك الأوصاف»، وقال الأبي: «هو مدح لتلك الأوصاف، لا أنها مدح لهم؛ من حيث اتصافهم بها، ويحتمل أنه إنما ذكرها من حيث إنها سبب كثرتهم، وإلا فهم على الضد كما ذكر، ولاسيما فيما ذكر من كَرِّهم بعد فَرِّهم؛ فإنهم الآن ليسوا كذلك» اهـ. (٧/٢٤٦).

وكانت فيهم تلك الخصلة الحميدة، ونحن أولى بكلِّ خَيْرٍ عند مَن هم سوانا»[١].

الإمام ابن القيم يحذر من استفزاز البُداءات

فقد ندد ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ بمن تستخفه البُداءات، وعوارض الشبهات، فقال فيمن هذا شأنه: (...هذا دليل ضعف عقله ومعرفته إذ تؤثر فيه البُداءات، ويستفز بأوائل الأمور ، بخلاف الثابت التام العاقل فإنه لا تستفزه البُداءات، ولا تزعجه وتقلقه، فإن الباطل له دهشة وروعة في أوله، فإذا ثبت له القلب؛ رُدَّ علىٰ عقبيه، واللَّه يحب مَن عنده العلم والأناة، فلا يعجل، بل يثبت حتىٰ يعلم، ويستيقن ما ورد عليه، ولا يعجل بأمرٍ مِن قبلِ استحكامه، فالعجلة والطيش من الشيطان، فمن ثبت عند صدمة البداءات؛ استقبل أمره بعلم وحزم، ومن لم يثبت لها؛ استقبله بعجلة وطيش، وعاقبته الندامة، وعاقبة الأولِ حَمْدُ أمرِه، ولكن للأول آفة متى قُرِنت بالحزم والعزم نجا منها؛ وهي: الفوت، فإنه لا يُخاف من التثبت إلا الفوتُ ،فإذا اقترن به العزم والحزم؛ تم أمره، ولهذا في الدعاء الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد**»[٢].

وهاتان الكلمتان هما جماع الفلاح، وما أُتي العبد إلا من تضييعهما أو تضييع أحدهما، فما أُتي أحد إلا من باب العجلة والطيش، واستفزاز البداءات له، أو من باب التهاون والتماوت، وتضييع الفرصة بعد مُواتاتها، فإذا حصل الثبات أولًا، والعزيمة ثانيًا أفلح كل الفلاح، واللَّه ولي التوفيق»[٣]اهـ.

والواقعة التالية تجسِّد لك سلوكَ الذي تستخفه بُداءات الأمور، وتستفزه أوائلها، وسلوكَ الحليم الواثق الذي يصدر عن علم وبصيرة، وحزم وعزم:

فقد قال يُسَيْرُ بن جابر: «هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هِجِّيرىٰ[٤] إلا: يا عبد اللَّه ابن مسعود جاءت الساعة، قال: فقعد،وكان متكئًا، فقال: إن الساعة لا تقوم حتىٰ لا يُقْسَمَ ميراثٌ، ولا يُفْرَحَ بغنيمة، ثم قال بيده هكذا (ونحاها نحو الشام) فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام» الحديث[٥]

● **الضَّابِطُ الثَّانِي: لَا يُسْتَنْكَرُ تَوَقُّعُ حُصُولِ شَيْءٍ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ بِشُرُوطٍ:**

إن ترقُّبُ حصول أشراط الساعة التي تقع بإرادة اللَّه ﷻ الكونية القدرية ليس بدعة، ولا خطأ؛ خاصَّةً إذا تعاقبت الإرهاصات، والمقدمات التي جاءت بها الأخبار؛ ودليل ذلك أن الصحابة

---

(١) «الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن»، للشيخ/ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ـ حفظه اللَّه ـ، ص (١٨ ـ ١٩).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٢٥/٤)، والترمذي (٤٧٦/٥) رقم (٣٤٠٧)، وابن حبان (٣١٠/٥ ـ إحسان) رقم (١٩٧٤) ، ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، وحسنه شعيب الأرناؤوط بطرقه كما في «الإحسان» (٣١١/٥ ـ ٣١٢).
(٣) «مفتاح دار السعادة» ص (١٦٩ ـ ١٧٠)،ط. دار الحديث ـ القاهرة ١٤١٤هـ.
(٤) له (هجِّيري): أي شأنه ودأبه ذلك.
(٥) رواه مسلم رقم (٢٨٩٩).

ـ رضي الله عنهم ـ لما سمعوا رسول الله ﷺ يُحَدِّثُهُمْ عن الدجال فَخَفَّضَ فيه ورفع ـ ظنوا أنه في طائفة النخل، وشكُّوا في ابن صيَّادٍ أنه المسيح الدجال، بل منهم من أقسم لرسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ علىٰ ذلك؛ كما في الأحاديث الصحيحة عن عمر وجابر[١] ـ رضي الله عنهما، ورسول الله ﷺ لم ينكر عليه، بل قال ﷺ: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ»، وكذلك شكَّت فيه حفصة، وابن عمر، وغيرهما من الصحابة ـ رضي الله عنهم[٢].

ويُرْوَى عن أبي ذرٍّ الغفاري ﷺ، قال: «ما تؤيسني رقة عظمي، ولا بياض شعري أن ألقى عيسى ابن مريم»[٣].

ولا يزال العلماء في كل عصر ومصر يتكلمون بذلك، ويتوقعون قرب حصول بعض الأشراط؛ قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «كل ما وقع في حديث معاوية هذا، فقد شاهدناه بتلك البلاد، وعاينا معظمه إلا خروج المهدي»[٤] اهـ.

وقال محمد صديق حسن خان رَحِمَهُ اللهُ: «... وهذه الجملة من الأشراط موجودة تحت أديم السماء؛ وهي في التزايد يومًا فيومًا، وقد كادت أن تبلغ الغاية، أو قد بلغت، ولم يبق إلا الأشراط الكبرى التي أوَّلُها ظهور المهديِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٥]. ولا شك أننا الآن أقرب إلىٰ هذه العلامة من أي وقتٍ مضى.

- **أَمَّا شُرُوطُ هَذَا الضَّابِطِ:**

فَأَوَّلُهَا: أن تبقى هذه الأشراط في دائرة التوقع المظنون دون أن نتكلف إيجادها بإجراءات من عند أنفسنا؛ لأنها أمور كونية قدرية واقعة لا محالة، ولم نخاطَب باستخراجها من عالم الغيب إلىٰ عالم الشهادة

وَثَانِيهَا: أن يُراعَى الترتيبُ الزمني لتسلسل الأشراط؛ طبقًا لما دلت عليه نصوص الوحي الشريف، وعدم القطع بزمان أو ترتيب ما لا دليل علىٰ زمنه وترتيبه إلا الظن والتخمين[٦].

(١) ، (٢) انظر: «جامع الأصول»، (١٠/٣٦٢ - ٣٧٥).
(٣) «طبقات ابن سعد»، (٤/٢٣).
(٤) «التذكرة»، ص (٧٢٥).
(٥) «الإذاعة»، ص (١١٠ - ١١١).
(٦) فمن أشراط الساعة ما قطعت النصوص بتعين ترتيبها؛ مثل الدجال؛ يليه نزول المسيح؛ يليه يأجوج ومأجوج؛ ومثل قوله ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»، «انظر تخريجه، ص (٧٣٠)، ومنها: مقدمات إجمالية ذُكِرَتْ دون تعين ترتيبها، بالنسبة لما يتوقع من الأشراط؛ كانحسار الفرات عن جبل من ذهب، وعودة أرض العرب مروجًا وأنهارًا، ونحو ذلك.

فَائِدَةٌ: **أَشْرَاطُ السَّاعَةِ قِسْمَانِ:**

صغرى تؤذن بقرب الساعة، وكبرى تُؤْذِنُ بوقوع الساعة، وقد اختلف العلماء في عددها وترتيبها، واختلافهم في العدد يعود إلى سببين:

الأَوَّلُ: اختلافهم في صحة سند الحديث؛ فمن تساهل زاد في عددها، ومن تشدد ودقق، وجدها أقل.

الثَّانِي: اختلافهم في تصنيف بعض الأشراط بين الصغرى والكبرى؛ فظهور المهدي مثلًا عدَّه بعضهم من الصغرى، ورآه آخرون =

وَثَالِثُهَا: أن لا يُؤَثِّر هذا الترقب سلبًا على أداء واجب الوقت، وتكاليف الشرع.

والدليل على ذلك أن صحابة رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وسلم ـ ورضي الله عنهم أجمعين ـ قد صدَّقوا بهذه الأشراط، وكانوا أول المؤمنين بها، ولم يهدروا التكاليف الشرعية؛ كالدعوة، وطلب العلم، والجهاد؛ انتظارًا لوقوعها، بل كان تصديقهم بها أكبر حافز لهم على التنافس في القربات، والاجتهاد في الطاعات؛ امتثالًا منهم لأمر نبيهم ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا**»، وذكر من أشراط الساعة: «**طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، ودابة الأرض، وخاصَّة أحدكم، وأمر العامة**»[1].

ونزل بين ظهرانيهم قول الله ﷻ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝﴾، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝﴾، [الأنبياء: ١]، وقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، [النحل: ١]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾، الآية، [الشورى: ١٧-١٨]، وقوله ﷻ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، [الأحزاب: ٦٣][2]، وقد أثنى الله ﷻ على الصحابة، وامتدح من اتَّبَعَهُمْ بإحسانٍ؛ فمن خالف هديهم؛ فقد ضَلَّ ضلالًا بعيدًا، واتَّبع غير سبيل

= من الكبرى؛ كما ذهب قوم إلى أن طلوع الشمس من مغربها أول الأمارات الكبرى، ورأى آخرون أن أولها الدجال.

وكثيرًا ما يحدث لدى الكلام عن الساعة وأشراطها، وعما يكون بعدها؛ أن يطوي بعض الرواة بعض المشاهد، أو يفهم بعضهم عمن حدثه فهمًا خاصًّا، فيصوغه بعبارته؛ فيحدث لبس أو وهم.

أما اختلافهم في تسلسل وقوع بعضها ـ أحيانًا ـ، فسببه عدم وجود نص صريح يبين ترتيبها حسب وقوعها، ولا سيما الكبرى، وقد جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب غالبًا، فقد عطفت بالواو، أو بأو؛ وكلاهما لا يفيد الترتيب، بل إن الحديث الواحد ليختلف ترتيبه بين رواية ورواية؛ فحديث حذيفة بن أَسِيد الغفاري ﷺ رواه مسلم عنه بلفظين مختلفين في الترتيب، وكذلك حديث أبي هريرة ﷺ مسلم، (٢٩٤٧). وإحدى الروايتين بالواو، والأخرى بأو، وهما لا يدلان على الترتيب، إلا أن تسلسل بعضها يقيني؛ فقد ذكرت بعض الروايات الأشراط مرتبة حسب وقوعها؛ كما في حديث النواس بن سمعان ﷺ ومن ناحية أخرى، فإن بعض الروايات ذكرت أن أول الآيات كذا، وبعضها ذكر أن أول الآيات غير ذلك، وقد حاول العلماء الجمع والتوفيق بين الروايات؛ بأن الأولية بينها نسبية، أو من ناحية مخصوصة؛ ففي حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ: «إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى.. الحديث»؛ أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وهي مخالفة للعادات المستقرة؛ فطلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية، وخروج الدابة أول الآيات الأرضية، وهما العلامة الأولى لتغيير أحوال الكون، وقرب قيام الساعة.

وأكثر الخلاف إنما هو في الأشراط الكبرى، أما الصغرى؛ فأكثرها يُعرف ترتيبه من خلال حدوث بعضها إثر بعض.

ومن الجدير بالذكر أن كون الشيء من أشراط الساعة، لا يستلزم أنه حرام أو ممنوع؛ فإن أشراط الساعة تشتمل على المحرم، والواجب، والمباح، والخير، والشر؛ فالحكم يؤخذ من دليل آخر، وانظر: «المسيح المنتظر ونهاية العالم»، ص (٨ ـ ٩).

(١) رواه من حديث أبي هريرة ﷺ، مسلم رقم (٢٩٤٧) في الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال، في بعض الروايات: (خُوَيْصة) تصغير خاصة الإنسان، وهي ما يخصه دون غيره، وأراد به الموت؛ الذي يخصه، ويمنعه من العمل، إن لم يبادر به قبله؛ كما في «جامع الأصول»، (١٠/٤١٢).

(٢) ولا يستبعد وقوع الساعة، واقتراب أشراطها إلا الغارقون في الشهوات؛ فمن ثَمَّ جاءت هذه الآيات واعظة لهم ومخوفة.

المؤمنين، سيأتي مزيد بيان لهذا الشرط في «الضابط السابع» ـ إن شاء اللَّه ـ تعالىٰ.

فَائِدَةٌ:

عن أبي موسى ﷺ، قال: «خسفت الشمسُ، فقام النبي ﷺ فَزِعًا يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد، فصلَّى بأطولِ قيامٍ، وركوعٍ، وسجودٍ، ما رأيتُه قَطُّ يفعلُه، وقال: «**هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ، وَدُعَائِهِ، وَاسْتِغْفَارِهِ**»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ تعالىٰ ـ: «يشكل هذا الحديث من حيث إن للساعة مقدمات كثيرة لم تكن وقعت؛ كفتح البلاد، واستخلاف الخلفاء، وخروج الخوارج، ثم الأشراط؛ كطلوع الشمس من مغربها، والدابة، والدجال، والدخان، وغير ذلك».

● **وَيُجَابُ عَنْ هَذَا:**

ـ باحتمال أن تكون قصة الكسوف وقعت قبل إعلام النبي ﷺ بهذه العلامات.

ـ أو لعله خشي أن يكون ذلك بعض المقدمات.

ـ أو أن الراوي ظن أن الخشية لذلك، وكانت لغيره؛ كعقوبة تحدث؛ كما كان يخشى عند هبوب الريح؛ هذا حاصل ما ذكره النووي تبعًا لغيره، وزاد بعضهم:

ـ أن المراد بالساعة غير يوم القيامة؛ أي الساعة التي جُعلت علامة علىٰ أمرٍ من الأمور؛ كموته ﷺ، أو غير ذلك»، ثم طفق الحافظ ـ رحمه اللَّه ـ يُعَلِّقُ علىٰ هذه الأقوال، فقال:

«وفي الأول نظر؛ لأن قصة الكسوف متأخرة جدًّا؛ فقد تقدم أن موت إبراهيم كان في العاشرة؛ كما اتَّفَقَ عليه أهل الأخبار، وقد أخبر النبي ﷺ بكثير من الأشراط، والحوادث قبل ذلك.

ـ وأما الثَّالِثُ؛ فتحسين الظن بالصحابي يقتضي أنه لا يجزم بذلك إلا بتوقيف.

ـ وأما الرابع، فلا يخفى بُعْدُه.

ـ وأقربها الثاني، فلعله خشي أن يكون الكسوف مقدمة لبعض الأشراط؛ كطلوع الشمس من مغربها، ولا يستحيل أن يتخلل بين الكسوف، والطلوع المذكور أشياء مما ذكر، وتقع متتاليةً؛ بعضها إثر بعض، مع استحضار قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾.

ـ وقيل: لعله قدَّر وقوع الممكن، لولا ما أعلمه اللَّه ـ تعالىٰ ـ بأنه لا يقع قبل الأشراط؛ تعظيمًا منه لأمر الكسوف؛ ليتبين لمن يقع له من أمته ذلك كيف يخشى ويفزع، لاسيما إذا وقع لهم ذلك بعد حصول الأشراط، أو أكثرها.

(١) رواه البخاري، (٢/٥٤٥).

ـ وقيل: لعل حالة استحضار إمكان القدرة غلبت على استحضار ما تقدم من الشروط؛ لاحتمال أن تكون تلك الأشراط كانت مشروطة بشرط لم يتقدم ذكره؛ فيقع المخوف بغير أشراط؛ لفقد الشرط، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم»[1] اهـ. كلامه ـ رحمه الله تعالى.

وعن جابر رضي الله عنه قال: هاجت ريحٌ حمراءُ بالكوفة، فجاء رجلٌ ليس له هِجِّيرى إلا: يا عبدالله بن مسعود جاءت الساعة، قال: فقعد ـ وكان متكئًا ـ فقال: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقْسَمَ ميراثٌ، ولا يُفْرَحَ بغنيمة»، ثم قال بيده هكذا، ونحّاها نحو الشأم، فقال: «عَدُوٌّ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام»، قلت: الروم تعني؟ قال: «نعم»، الحديث[2]، فتأمل كيف أنكر ابن مسعود رضي الله عنه غلوَّه في توقع قيام الساعة إلى حدِّ القَطْع بأنها «جاءت» بالفعل، دون اعتبار لما قبلها من الأشراط.

● **الضَّابِطُ الثَّالِثُ: الإِنْتِبَاهُ إِلَى النِّسْبِيَّةِ الزَّمَانِيَّةِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى اقْتِرَابِ السَّاعَةِ.**

إن ما ورد في نصوص الوحيين من قرب قيام الساعة، وظهور أماراتها لا يعني أنها على الأبواب؛ فإن القرب، والبعد كلاهما أمرٌ نسبي، ومن يدري لعل بيننا وبينها آلافًا من السنين لا يعلمها إلا الله، ولعلها أقرب مما نتصور.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾، [الشورى: ١٧]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، [الأحزاب:٦٣]، وفي معناهما قوله ـ تعالى ـ في سياق الرد على منكري البعث والإعادة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾، [الإسراء: ٥١]، وفي التعبير عن قربه بـ«لعل»، و«عسى» ما يناسب عدم إطلاع الله لرسوله على وقته، ولا شك أن قرب ذلك اليوم الذي مقداره ـ من مبدئه إلى غايته ـ خمسون ألف سنة مناسب له، ولما تقدم من عمر الدنيا، وبقي منه؛ فالقرب والبعد من الأمور النسبية، والمراد قربها بالنسبة إلى ما مضى من عمر الدنيا، ولا يعلمه إلا الله ـ تعالى[3].

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾، [القتال: ١٨]، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال «رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا، الوسطى، والتي تلي الإبهام، وقال: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»[4].

---

(١) «فتح الباري»، (٢/٥٤٦).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه»، (١٨/٢٣ ـ ٢٤)، نووي.

(٣) انظر: «تفسير المنار»، (٩/٣٩٣).

(٤) رواه البخاري، (٦٥٠٣)، (١١/٣٤٧ ـ فتح)، ومسلم، (٢٩٥٠)؛ والمعنى: أننا لو قدرنا عمر الزمن بالأصبع الوسطى؛ فإن ما بقي منه عند مبعث رسول الله ﷺ يكون بمقدار ما تزيد الوسطى عن السبابة، وما مضى منه بمقدار السبابة من الأصبع الوسطى، قد يكون الباقي في حس البشر طويلًا؛ لأن إدراكهم محدود، ولكنه في ميزان الله قريب وقصير، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، [النحل: ١]، وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾، [النحل: ٧٧].

وعن أنس بن مالك ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ؛ كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى»(١).

إن بعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة، وكذلك موته ﷺ، فقد قال ﷺ لعوف بن مالك ﷺ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي»(٢)، الحديث.

وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وقد تواترت الأحاديث بوقوع انشقاق القمر، وعن خالد بن عمير ﷺ، قال: خطبنا رسول الله ﷺ؛ فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ(٣)، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ؛ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ؛ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا»(٤)، فَإِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قد قال هذا قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا؛ فهمنا من هذه النصوص وغيرها أن قرب الساعة قُرْبٌ نِسْبِيٌّ؛ أي هي قريبة بالنسبة إلىٰ عمر الدنيا كلها، وقد رَوَى المطلب ابن عبدالله، عن عبدالله بن عمر أنه كان واقفًا بعرفات، فنظر إلىٰ الشمس حين تدلت مثل التُّرْس للغروب، فبكى واشتد بكاؤه، فقال له رجل عنده: يا أبا عبدالرحمن، قد وقفتَ معي مرارًا لم تصنع هذا، فقال: ذكرت رسول الله ﷺ، وهو واقفٌ بمكاني هذا، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ»(٥).

وقال الله ـ تعالىٰ ـ في شأن الساعة: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾، [الأعراف: ١٧٨].

وهذا يُفَسِّرُهُ قول رسول الله ﷺ في اقتراب الساعة، وقرب وقوعها: إِنَّهَا «كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادِهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا»(٦).

«والقول الجامع للآية، والحديث: إن الثِّقَلَ هو الاقتراب بصورةٍ ثابتةٍ للحق علىٰ الرغم من تغير مراحل هذا الاقتراب؛ تمامًا مثل الجنين الذي يَتَغَيَّرُ كل يوم من حالٍ إلىٰ حال، ولكنه مُتَّجِهٌ نحو الولادة؛ فلا يخرج التغير اليومي علىٰ التوجه للولادة، وكما لا تنفصل الولادة عن لحظة الجماع الأولىٰ؛ لا تنفصل الساعة عن بدء الخلق»(٧).

إن القرون التي يستطيلها الإنسان الذي خُلق من عَجَل ما هي في عمر الدنيا إلا لحظات، وقيام الساعة قريبٌ في علم الله، وتقديره، وإن كانت المقاييس البشرية ـ لو اطلعت عليه ـ تراه بعيدًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾، [المعارج: ٦ ـ ٧]؛ فكل ما هو آتٍ قريب، والبعيد ما

(١) رواه البخاري، (٦٥٠٤)، (٣٤٧/١١)، ومسلم، (٢٩٥١)، والترمذي، (٢٢١٤، ٢٢١٥).

(٢) رواه البخاري: (٣١٧٦) (٢٧٧/٦).

(٣) صَرْم: انقطاع وانقضاء، حذَّاء: خفيفة سريعة، الصُّبابة: البقية اليسيرة من الشراب، تبقى في أسفل الإناء.

(٤) رواه الإمام أحمد، (١٧٤/٤).

(٥) رواه الإمام أحمد، (٦١٧٣)، (٢٧/٩)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

(٦) عجز حديث رواه الإمام أحمد، (٣٥٥٦)، (١٨٩/٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

(٧) «علامات الساعة» ص (٢٩).

ليس بآت[١]، وإن عامة نصوص الوحيين التي تدل علىٰ اقتراب الساعة، وأشراطها الكبرى يجب أن تُفْهَمَ في ضوء هذه «النسبية» بين ما مضى من عمر الدنيا، وبين ما بقي منه؛ وَلَمَّا كنا لا ندري كم عمر الدنيا؛ صِرْنَا لا نستطيع الجزم بموعد انتهائه، لكننا نستطيع فقط أن نستنتج من تلك النصوص أن ما بقي بالنسبة إلىٰ ما مضى شيء يسير، لكن لا يُعْلَم مقدار ما مضى، وما بقي إلا علام الغيوب، الذي وسع كل شيء علمًا ـ سبحانه وتعالىٰ.

وقد كَثُرَ ضرب الأمثال لهذه «النسبية» في الأحاديث النبوية الشريفة؛ ومن المعلوم أن الأحكام لا تؤخذ من الأحاديث التي هي لضرب الأمثال؛ كما قال إمام الحرمين ـ رحمه اللَّه ـ تعالىٰ[٢].

قال الأستاذ سعيد حوى رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض حديثه عن علامات الساعة: «وبعض الناس تَغْلِبُ عليهم أغلاطٌ في فَهْمِ بعض هذه العلامات، أو في تقدير وقتها؛ إذ إن منها ما يكون قرب الساعة بقليل جدًّا قبل المسيح بسنوات أو معه، ومنها ما يكون قبل ذلك بكثير جدًّا؛ فيغلطون بالجمع بينهما، ومنها ما لا تدل عليه المقدمات الحاضرة، فيغلطون في تأويلها.

ومنها ما جعلهم عصرنا الحاضر، ومخترعاته يفهمونها فَهْمًا عاديًا وهي خوارق، ومنها ما هو دليلٌ علىٰ الخيرية يظنونه مذمومًا.

فمثلًا يَظُنُّ الناس أن الدين إلىٰ انحسارٍ حتىٰ خروج المهدي، مع أن المهدى قبل عيسى بقليل، وقبل ذلك يعم الإسلام العالم، وتفتح روما[٣]، والقسطنطينية اليوم مسلمة، وكانت كافرة، ففتحت[٤]. وقد أخبر الرسول ﷺ بالفتح الأول، ولكن يبدو أن القسطنطينية سترجع كافرةً مَرَّةً ثانية[٥]، وتفتح من

(١) ولو أنك أجّلت من استدان منك أجلًا طويلًا ـ كأن تؤجله خمسين سنة مثلًا ـ فعند انقضاء خمس وأربعين سنة تقول: إن موعد السداد قد اقترب؛ أي بالنسبة لما مضى من الموعد المضروب.

(٢) نقله عنه المناوي في «الفيض»، (٢/٥٦٦).

(٣) يشير إلى ما رواه الإمام أحمد، (٢/١٧٦)، والدارمي (١/١٢٦)، والحاكم، (٣/٤٢٢)، (٤/٥٠٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، عن أبي قبيل، قال: «كنا عند عبداللَّه بن عمرو بن العاص ـ رَضِيَ اللَّه عنهما ـ، وسئل: «أي المدينتين تفتح أوَّلًا: القسطنطينية أو رومية؟»، فدعا عبداللَّه بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبداللَّه: بينما نحن حول رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ نكتب؛ إذ سُئِلَ رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ: **«أي المدينتين تفتح أولًا: أقسطنطينية أو رومية؟»**، فقال رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ: **«مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا»؛ يعني «قسطنطينية»، «ورومية»: وهي «روما» عاصمة إيطاليا، «وقسطنطينية» هي «بيزنطة» و«استانبول».**

(٤) وذلك بعد أكثر من ثمان مئة سنة من إخبار النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وسلم ـ بالفتح؛ أي في سنة ٨٥٧ هـ، (١٤٥٣م)، على يد السلطان محمد الفاتح العثماني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٥) قال الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وورد أن من أشراط الساعة فتح القسطنطينية، وهو في الصحاح، قال شيخ شيوخنا العلامة الشيخ محمود نشابة: «معناه أن العرب يفتحونها من أشقياء الترك»، ولم يكن الشيخ من أهل السياسة، ولا كان في زمنه شيءٌ من التعادي بينهم وبين العرب، دع ما فعلته الحكومة التركية في هذا الزمان، من ترك شريعة الإسلام، وكان مسلمو الترك يحملون الأحاديث على فتح السلطان محمد لها، ولكنها صريحة في أن فتحها يتلوه في عهده ظهور الدجال»، اهـ. من «تفسير المنار»، (٩/٤٠٦).

وقال العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتح القسطنطينية المبشر به في الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد، ـ

جديد[1]، وفتحها الثاني يكون قبيل المسيح بقليل، والناس لا يفرقون بين فتحها الأول، والثاني.

والظاهر - كما أن مدنيات قديمة كثيرة قد اندرست علىٰ مر العصور؛ فإن مدنيتنا الحاضرة لن تستمر؛ إذ إن النصُوص الكثيرة تفيد أن الناس قبل قيام الساعة لن يكونوا علىٰ شيء من العلم[2]، وهذا يؤكد أن بيننا، وبين القيامة شيئًا من الفترة الزمنية اللَّه أعلم به، ولكن أشراطًا كثيرة وردت في السنة الثابتة لم تقع، ويبدو أن وقوعها يحتاج إلىٰ زمان طويل، والمسألة بعد ذلك كله هكذا:

- ما ورد من علامات الساعة؛ إن كان وقع، فهو معجزة، وقد رأينا نماذجه في النبوءات.

- وما ورد من علاماتها مما لم يقع؛ فالإيمان به واجب، واللَّه أعلم بزمانه، وظروف وكيفية وقوعه.

- ولن تقوم الساعة حتىٰ تستنفد علاماتها، وأشراطها التي وردت في الكتاب، والسنة، وشيء ننبه إليه هو: أن لا يدفعنا واقع عصرنا إلىٰ تأويل شيء من علامات الساعة التي لم تقع لأن واقع عصرنا، وما فيه قد ينتهي بحرب ذرية تعود الإنسانية فيها إلىٰ بدايتها الأولى، ولا يبقى فيها إلا الجاهلون»[3] اهـ.

● **الضَّابِطُ الرَّابِعُ: لَا يُمْكِنُ إِسْقَاطُ النُّصُوصِ الَّتِي يَطْرُقُهَا الِاحْتِمَالُ عَلَى وَاقِعٍ مُعَيَّنٍ إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِهَا وَانْقِضَائِهَا:**

فقد كان من هدي السلف - رحمهم اللَّه - أنهم لا يُنَزِّلون أحاديث الفتن علىٰ واقع حاضر؛ وإنما يرون أصدق تفسير لها، وقوعها مطابقة لخبر النبي[4] ﷺ؛ ولذلك نلاحظ أن عامَّة شارحي

= يعلمه اللَّه ﷻ، وهو الفتح الصحيح لها؛ حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هذا؛ فإنه كان تمهيدًا للفتح الأعظم، ثم هي قد خرجت بعد ذلك من أيدي المسلمين، منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية، وعاهد الكفار أعداء الإسلام، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة، وسيعود الفتح الإسلامي لها - إن شاء اللَّه -؛ كما بشر به رسول اللَّه ﷺ» اهـ. من حاشية، «عمدة التفسير»، (٢/٢٥٦).

(١) كأن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يقصد الإشارة إلى ما ورد في صحيح مسلم؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه العشرين المتقدم في الباب الأول، وفيه التصريح بفتح القسطنطينية من جديد، وقد يكون قد قصد رَحِمَهُ اللَّهُ الإشارة إلى حديثه رضي الله عنه الذي قد رواه مسلم - أيضًا، (٢٩٢٠)، عنه قال رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم -: «**سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ؛ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ، وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟**»، قالوا: نعم، يا رسول اللَّه، قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا**»، الحديث، وعلق الدكتور / عمر الأشقر - حفظه اللَّه - قائلًا: «ذهب العلماء إلى أن هذه المدينة هي «القسطنطينية»، وإن لم يسمها رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم -، وقد خطر ببالي أن هذه المدينة قد تكون «البندقية» في إيطاليا؛ فإن جزءًا كبيرًا من بيوتها مبنيٌ في داخل البحر، وجزء في البر، وقد نظرت إلى المدينتين خلال زيارتي لكل واحدةٍ منهما؛ فرأيت «البندقية» أقرب إلى المراد بالحديث، واللَّه أعلم». اهـ. من «القيامة الصغرى»، ص (٢٣٠).

(٢) انظر: «القيامة الصغرى»، للدكتور / عمر الأشقر حفظه اللَّه ص (٢٧٤-٢٧٥).

(٣) «الإسلام»، (٤/٨٥).

(٤) ومما يستأنس به في هذا المقام ما رواه مسلم (رقم ٢٤٥٢)، بسنده إلى أم المؤمنين عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أسرعُكنّ لحَاقًا بي، أطولكن يدًا**»، قالت: «فكُنَّ يتطاولْنَ أيتُهنَّ أطول يدًا، قالت: «فكانت أطولَنا يدًا زينب، لأنها كانت تعملُ بيدها وتَصَدَّقُ».

فقولها - رضي اللَّه عنها -: «فكانت أطولنا يدًا زينب» معناه: أنهن ظننَّ أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية، وهي=

الأحاديث الشريفة كانوا يُفيضون في شرحها، واستنباط الأحكام منها، حتىٰ إذا أتوا علىٰ أبواب الفتن، وأشراط الساعة، أمسكوا أو اقتصدوا في شرحها للغاية، وربما اقتصروا علىٰ تحقيق الحديث، واكتفوا بشرح غريبه؛ بخلاف ما يحصل من بعض المتعجلين المتكلفين اليوم؛ فإنه بمجرد ظهور بوادرَ لأحداث معينة؛ سياسية كانت، أو عسكرية، محلية، أو عالمية تستخفهم البُداءات[1]، وتستفزهم الانفعالات، فيُسقطون الأحاديث علىٰ أشخاص معينين، أو وقائع معينة، ثم لا تلبث الحقيقة أن تبين، ويكتشفوا أنهم تهوروا، وتعجلوا.

وربما كان دافعهم نبيلًا؛ فهم يحسبون أن إسقاط النبوءات علىٰ الواقع مما يزيد يقين المسلمين، ويقوي إيمانهم، ويمكنهم من إقامة الحجة علىٰ المكذبين بنبوة رسول اللَّه ﷺ، وفي هذا تأييدٌ لدين الحق، نقول: نعم، ولكن بالشرط المذكور آنفًا؛ لأن العجلة في مثل ذلك قد تأتي بعكس ما يشتهون؛ إذ لو خيبت الأحداث - إذا اكتملت - ظنهم؛ ربما كانت النتيجة عكسية عند الكفار، وعند ضعاف المسلمين.

ولا بد من أن تكون النصوص التي يطبق عليها هذا الضابط مما يطرق دلالته الاحتمالُ، بخلاف النصوص المحكمة التي دلَّ الدليل علىٰ المراد منها؛ بحيث لا تلتبس علىٰ أحد؛ فإنها لا تخضع لهذا الضابط؛ مثل نزول المسيح عليه السلام من السماء عند المنارة البيضاء بدمشق، وصلاته الصبح خلف المهدي، ومثل خروج الدجال بصفته التي أخبر بها النبي ﷺ.

- **الضَّابِطُ الخَامِسُ: حصر مصادر التلقي فيما هو حجة شرعية، وإهدار ما عداه؛**

كالأحاديث الضعيفة، والموضوعة، والإسرائيليات التي تعارض ما عندنا، أو التي أُمِرْنا بالتوقف فيها، وحساب الجُمَّل المسمى بعلم الحروف، ومرويات الرافضة، وجفرهم المزعوم، والمنامات، ونحوها؛ وذلك أن الأشراط التي لمَّا تقع غيب، ولكنه غيب صادق، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مصدره الكتاب، والسنة الصحيحة.

تَنْبِيهٌ: ينبغي التفريق بين قول المعصوم ﷺ، وبين اجتهاد العالم، أو الباحث في تفسيره، وإسقاطه علىٰ الواقع؛ فقد يخطئ العالم في تحديد وقت حدوث شيء من الأشراط، أو يخطئ في ترتيبه الأحداث.

= الجارحة، فكن يذرعن أيديهن بقصبة، فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يدًا في الصدقة وفعل الخير، فماتت زينب أولهن، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود.

قال أهل اللغة: فلان طويل اليد، وطويل الباع، إذا كان سمحًا جوادًا، وضده: قصير اليد والباع،وجعد الأنامل.

(١) راجع كلام ابن القيم ص (١٨٥).

- **الضَّابِطُ السَّادِسُ: مَا أُشْكِلَ عَلَيْكَ؛ فَكِلْهُ إِلَى عَالِمِهِ.**

قال ـ تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾، الآية: [النساء: ٨٣]، وفي الخبر: «إنما شفاء العِيِّ السؤال»، وقال أبو حامد الغزالي: «لو سكت من لا يعرف، قلَّ الاختلاف، ومن قصر باعه، وضاق نظره عن كلام علماء الأمة، والاطلاع؛ فما له وللتكلم فيما لا يدريه، والدخول فيما لا يعنيه؟! وحَقُّ مثلِ هذا أن يلزم السكوت»[1].

- **وَهَاكَ أَمْثِلَةً لِمَا يُشْكِلُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ فِي بَابِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَجَوَابِ الْعُلَمَاءِ عَنْهَا:**

١ ـ ذكر فتح القسطنطينية عقب الملحمة، وقُبيل خروج الدجال؛ مع أنها فُتِحَتْ علىٰ يد محمد الفاتح العثماني؛ والجواب أنه فتحٌ آخر غير الفتح الأول؛ كما تقدم قريبًا.

٢ ـ جفاف بحيرة طبرية الذي ذُكر في حديث الجساسة علىٰ أنه أحد مقدمات خروج الدجال، وقد جفت بحيرة طبرية الآن[2]، أو كادت، وهذا لا يعني بالضرورة تحقق تلك العلامة؛ لأن من المحتمل أن تمتلئ البحيرة من جديد، ثم تجف قبل ظهور الدجال، أو قد تبقى جافَّةً مُدَّةً يعلمها الله إلىٰ ظهور الدجال، وعليه؛ فلا يشكل قول الدجال: «أما إن ماءها يوشك أن يذهب»[3]؛ لأن القرب هنا نِسْبِيٌّ؛ كما تقدم[4]. بل قد ثبت في الحديث أن يأجوج ومأجوج: «**يَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ**»[5]، ومعلوم

(١) انظر: «الحاوي»، (٢/١١٦).

(٢) وقد نشر في السبعينيات بجريدة الأخبار صورة فتاة تقف على أرض البحيرة الجافة وقد تشققت، وكتب عليها: «وجفت المياه في بحيرة طبرية».

(٣) جزء من حديث الجساسة، الذي رواه مسلم (٢٩٤٢).

(٤) ومما يناسب إيراده في هذا المقام ما حكاه بعض الأفاضل؛ وأَقَرَّهُ بلهجة الاستحسان، عن شيخٍ صالحٍ من الأردن يُدْعَى «الدباغ»، قال: «كان هذا الشيخ يقول للناس، ويقسم أن بريطانيا وحلفاءها سينتصرون في الحرب العالمية الثانية على ألمانيا! وكان الناس يعجبون من ذلك! بل لقد أسرَّ إليه بعض المقربين أن الشكوك بدأت تحوم حوله؛ بأنه يقوم بالدعاية لبريطانيا، وقد بيَّنَ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأساس الذي بنى عليه يقينه؛ وهو أنه ربط بين حديث الرسول ﷺ الذي بَيَّنَ أن المسلمين سيقاتلون اليهود قبل قيام الساعة، وبين أحداث عصره؛ فبريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين هي التي رعت فكرة قيام الدولة اليهودية منذ وعد بلفور، وما تلا ذلك من أحداث، ولن تقوم لليهود دولة إلا إذا انتصرت بريطانيا! ولو انتصرت ألمانيا؛ لتبدد الحلم اليهودي في الدولة! وقد كان ما فهمه الشيخ من حديث الرسول ﷺ، وفسر به أحداث عصره، بل تنبأ بالشيء قبل أن يكون» اهـ. من مجلة «البيان»، عدد (٣٣)، ١٤١١هـ، ص (١٧). وهذا الذي فهمه الشيخ الدباغ محتمل، ولم يكن مؤكدًا؛ لأنه يمكن عقلًا أن تتحول ألمانيا النازية عن عداء اليهود، وقد كان، بل صارت ألمانيا ما بعد النازية من أشد حلفاء الدولة اللقيطة، التي ابتزت أموالها بحجة التكفير عما سمي بمحارق النازية، وكان يمكن ـ عقلًا ـ أن تنتصر ألمانيا في هذه الحرب، ثم يشاء الله هزيمتها بعد ذلك، وإنما أوردت هذا الأنموذج التطبيقي؛ لندرك أهمية التمييز ـ في مثل هذه الكائنات ـ بين ما هو يقين يحلف الإنسان عليه، وبين ما هو ظن محتمل نقول فيه: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

(٥) جزء من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ، رواه مسلم، (٢٩٣٧)، وأبو داود، (٤٣٢١)، (٤٣٢٢)، والترمذي، (٢٢٤١).

أن خروجهم إنما يكون بعد نزول عيسى ﷺ، وَقَتْلِهِ الدَّجَّالَ.

٣- ورد وصف الأسلحة التي تستعمل في حروب آخر الزمان؛ ففي الملحمة الكبرى خيول وفوارس[١]، وفي فتح القسطنطينية «الثاني»: «قد علقوا سيوفهم بالزيتون»[٢]، وبعد هلاك يأجوج، ومأجوج: «يُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّهِمْ، وَنَشَّابِهِمْ، وَأَسْلِحَتِهِمْ، وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ»[٣].

وقد حاول بعض العلماء الإجابة عن هذا؛ فقالوا: «إن هذه الأحاديث، وأحاديث مشابهة كثيرة تدل على أن هذه الحضارة الهائلة التي اخترعت هذه القوة الهائلة من القنابل، والصواريخ ستتلاشى، وتزول، **وأغلب الظن** أنها ستدمر نفسها بنفسها، وأن البشرية ستعود مرة أخرى إلى القتال على الخيول، واستعمال الرماح، والقسي، ونحو ذلك، والله أعلم»[٤].

في حين يرى البعض الآخر أن هذا لا يعني أن الحرب ستدور بالخيول والسيوف؛ لأن الخيول رمز المعدات الحربية أيًا كان نوعها، ولأن النبي ﷺ كان يخاطب أهل زمانه على قدر عقولهم وعلمهم.

وقد يُستدل لهذا بحديث «**أسرعُكنّ لَحَاقًا بي، أطولُكن يدًا**»[٥] إذ فُهم المرادُ منه بعد حصوله، والله تعالى أعلم.

٤- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ؛ سألوه عن الساعة، متى الساعة؟ فينظر إلى أحدث إنسان منهم، فيقول: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ؛ حَتَّى قَامَتْ عَلَيْكُمْ السَّاعَةُ**»، قال هشام: «يعني موتهم»[٦].

وعن أنس بن مالك ﷺ، أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ فسكت رسول الله ﷺ هُنَيْهَةً، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءَة، فقال: «**إِنْ عُمِّرَ هَذَا الْغُلَامُ، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»، قال أنس: وذلك الغلام من أترابي يومئذ[٧].

والمراد بقوله ﷺ «الساعة» في هذين الحديثين «ساعة المخاطبين»؛ لأن ساعة كل إنسان موته، وهذا الجواب من رسول الله ﷺ يعرف بأسلوب الحكيم، فإنه أجابهم بخلاف ما يترقبون، وأرشدهم إلى الاستعداد للموت، والتأهب للقاء الله؛ فإنه قريب قريب.

---

(١) كما في «صحيح مسلم»، (٢٨٩٩)، (٤/٢٢٢٣).
(٢) كما في «صحيح مسلم»، (٢٨٩٧)، (٤/٢٢٢١).
(٣) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في «الصحيحة»، رقم، (١٩٤٠)، (٤/٥٧٩).
(٤) انظر: «القيامة الصغرى»، ص (٢٧٥)؛ «الأيام الأخيرة من عمر الزمن»، ص (٤٩ - ٦٠).
(٥) انظر ص (١٤٣) هامش (٤).
(٦) رواه البخاري، (٦٥١١)، ومسلم، (٢٩٥٢).
(٧) رواه مسلم، (٢٩٥٣).

وعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاءَ في آخر حياته، فلما سلَّم قال: **«أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ»**[١]، وإنما أراد النبي ﷺ انقضاء القرن الذي هو فيه[٢]؛ أي أنه بعد مئة عام يموت كل من كان حيًّا عندما نطق النبي ﷺ بهذا الحديث؛ ولذلك قال عبدالله بن عمر: «فوهل[٣] الناس في مقالة رسول الله ﷺ تلك، فيما يتحدثونه بهذه الأحاديث: نحو مئة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ: **«لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ»**؛ يريد بذلك: أن ينخرم القرن»[٤].

ومما يدل على أنه ﷺ لم يرد قيام الساعة ما رواه جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: **«تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ الْيَوْمَ يَأْتِي عَلَيْهَا مِئَةُ سَنَةٍ، وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ»**[٥].

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمعنى في الحديث: أن كل من هو موجود الآن ـ يعني ذلك الوقت إلى انقضاء ذلك الأمد المعين ـ يكونون قد ماتوا، ولا يبقى منهم على الأرض أحد؛ لأنَّ الغالبَ على أعمارهم لا يتجاوز ذلك الأمد الذي أشار إليه النبي ﷺ، فتكون قيامة أهل ذلك العصر قد قامت»[٦].

- **الضَّابِطُ السَّابِعُ: لَا نُعَطِّلُ السُّنَنَ، وَالْأَسْبَابَ بِحُجَّةِ انْتِظَارِ الْمَهْدِيِّ:**

فمن الناس من يُعَطِّلُ العملَ اكتفاءً بالأمل، ويهرب من إصلاح الواقع المرير للأمة بحجة أنه تسبب فيه مَن قبلنا، وسيصلحه من بعدنا، ويتوقف عن السعي للتمكين لدين الله؛ بحجة أن المهديَّ هو الذي سيفعل؛ مما حدا ببعض الأدباء إلى أن يتهكم بهم، وبمتابعتهم الرافضة في هذا النمط من التفكير؛ قائلًا:

فَلْنَدَعِ الأرضَ لمن غَصَبُوا
ولمن ظلموا في كل مكان
وَلْنَذْهَبْ نبتاعُ لنا فَرَسًا
ولنبحث أيضًا عن سرداب
وَلْنَضَعِ الفَرَسَ المذكور

---

(١) رواه البخاري، (١١٦)، ومسلم، (٢٥٣٧)، والترمذي، (٢٢٥٢).
(٢) وهذا ما يُطلق عليه بعضُهم «الساعة الوسطى» كما تقدم نقل ذلك ص (١٣).
(٣) الوَهَلُ: الفزع، وهِلْتُ أهل وهَلًا: إذا فجأك أمرٌ لم تعرفه، فارتعت له، ووهَل يَهل إلى الشيء وهْلًا: إذا ذهب وهمه إليه؛ كما في «جامع الأصول»، (٣٨٩/١٠).
(٤) القرن من الزمان: أهل زمانٍ مخصوص، وانخرامه: انقضاؤه.
(٥) رواه مسلم، (٢٥٣٨)، والترمذي، (٢٢٥١).
(٦) «جامع الأصول»، (٣٨٨/١٠).

وجـوالًا مـن فـولٍ عـنـد الـسـرداب

ونَـظَـل وُقُـوفًـا وعـكـوفًـا

كـالـفـرسِ عَـلَـىٰ رأسِ الـسـرداب

فسيخرجُ يومًا مهدينا... لكن من سامراء!

إنه هروب إلىٰ الأماني، مع تعطيل الأسباب الشرعية، والله - تعالىٰ - يقول: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

أَمَانِيُّ إِنْ تَكُ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدَا

إن هذا الإغراق في ترقب ظهور المهدي مظهر سلبي يعكس الانحراف في فَهْم العلاقة بين الأمور الكونية القدرية، وبين الأمور الشرعية الإرادية، أما الأمور الكونية، والأحكام القَدرية - والتي يقع ضمنها الغيوب المستقبلية - فهي واقعة لا محالة، وواجبنا حيالها التصديقُ بها قبل وقوعها، ثم امتثال الأحكام الشرعية المتعلقة بها إذا حضر وقتها، وأما الأحكام الشرعيةُ الإراديةُ الطلبية فنحن متعبدون في كل وقت بامتثالها.

وما أصدق ما نُسِبَ إلىٰ جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قوله لمن خاض في الأحكام القدرية، وانشغل بها عن واجب الوقت: «إن الله أراد بنا أشياء، وأراد منا أشياء، فما أراده بنا أخفاه عنا، وما أراده منا بينه لنا، فما بالنا ننشغل بما أراده بنا عما أراده منا؟».

★ ★ ★

الفَصْلُ الثاني

في وُجوبِ الأَخْذِ بِالأَسْبابِ، وَعَدَمِ مُنافَاةِ ذَلِكَ لِلتَّوَكُّلِ

قال الله ﷻ : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ﴾ [النساء: ٧١]، وقال - سبحانه -: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾... الآية [الأنفال: ٦٠].

وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥]، وقال - تعالى -: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، وقال - سبحانه -: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١]، وقال - جل وعلا -: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩]، وقال - تعالى -: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأمر الله مريم - عليها السلام - أن تأخذ بالأسباب، وهي في أشد ضعفها، فقال: - عز وجل -: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم: ٢٥].

وكان رسول الله ﷺ يُعِدُّ لكل أمرٍ عُدَّتَهُ، ويرسم له خُطَّتَهُ، كما حدث في رحلة الهجرة؛ فقد أَعَدَّ الرواحِلَ، والدليلَ، واختارَ الرَّفِيقَ، وَحَدَّدَ مكانَ الاختفاء إلىٰ أن يهدأ الطلب، وأحاط ذلك كله بسياج من الكتمان، وكذلك كانت سيرته في غزواته كُلِّهَا، وعليه رَبَّىٰ أصحابه الكرام، فكانوا يَلْقَوْنَ عدوهم متحصنين بأنواع السلاح، ودخل رسول الله ﷺ مكةَ، والبيضة على رأسه، مع أن الله - سبحانه وتعالىٰ - قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وكان إذا سافر في جهاد، أو حج، أو عمرة، حمل الزاد والمزاد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فحال النبي ﷺ، وحال أصحابه، مَحَكُّ الأحوال، وميزانها، بها يُعْلَمُ صحيحُها من سقيمها؛ فإن هِمَمَهُمْ كانت في التوكل أعلى من همم مَن بعدهم»(١).

وبيَّنَ ﷺ أن الأخذ بالأسباب لا يُنَافِي التوكلَ على الله - سبحانه - وحده؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ على نَاقَةٍ له، فقال: يا رسول الله، أدعها وأتوكل؟ فقال ﷺ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»(٢).

وعن أمير المؤمنين عُمَرَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ

---

(١) «مدارج السالكين»، (١٣٥/٢).

(٢) رواه الترمذي رقم (٥٣٧)، (٦٦٨/٤)، وابن حبان في «صحيحه»، رقم (٢٥٤٩)، «موارد»، ص(٦٣٣)، وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار»: «إسناده جيد»، (٢٧٩/٤)، بهامش «الإحياء».

كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوح بِطَانًا»(١).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس في الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأن الطيرَ إذا غدت فإنما تغدو لطلب الرزق»(٢).

وقال ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ**»(٣)... الحديثَ.

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قضى بين رَجُلَيْنِ، فقال الْمَقْضِيُّ عليه لما أَدْبَرَ: «حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيل»، فقال رسول اللَّه ﷺ: «مَا قُلْتَ؟»، قال: قلتُ: «**حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**»، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ؛ فَإِنْ غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**»(٤).

ونَدَّدَ عمر رضي الله عنه بالكسالى القاعدين عن طلب الرزق: «**لا يَقْعُدَنَّ أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماءَ لا تُمْطِرُ ذهبًا، ولا فِضَّةً، وإن اللَّه ـ تعالى ـ يقول:** ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

لقد كانوا يُدْرِكُونَ أن للَّه ـ تعالى ـ سُنَنًا في هذا الكون، وفي حياة البشر، غير قابلة للتغيير، ومع أن للَّه ـ سبحانه ـ سننًا خارقةً لا يعجزها شيء، إلا أن اللَّه ـ عز وجل ـ قَضَى أن تكونَ سنته الجارية هي الأصل الثابت في الحياة الدنيا، وأن تكون سنته الخارقة استثناءً من هذا الأصل، وكلتا السنتين مرتبطة بمشيئته ـ جل وعلا ـ؛ ولذلك كان الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ يحترمون السنن، ويأخذون بالأسباب، دون تعليق القلوب بها، أو التوكل عليها؛ لأن اللَّه ﷻ أمرهم بها، وعلَّمهم أن الوصول إلى نتيجة معينة في واقع حياتهم مَنُوطٌ بالاتخاذ بالأسباب المؤدية إليها؛ وعلى ذلك جرت سنة اللَّه ـ سبحانه ـ في خلقه.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ «واعلم أن تحقيقَ التَّوَكُّلِ لا ينافي السعي في الأسباب التي قَدَّرَ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك؛ فإن اللَّه ـ تعالى ـ أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكُّل بالقلب عليه إيمانٌ به»(٥).

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/٣٠، ٥٢)، والترمذي رقم (٢٣٤٤) (٤/٥٧٣)، وقال: «حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وابن ماجة رقم (٤١٦٤) (٢/١٣٩٤)، والحاكم في «المستدرك»، (٤/٣٨١)، وصححه، ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية»، (١٠/٦٩).

(٢) «شعب الإيمان»، (٢/٦٦-٦٧).

(٣) رواه مسلم رقم، (٢٦٦٤)، (٤/٢٠٥٢)؛ وابن ماجه في «المقدمة»، رقم (٧٩)، (١/٣١)، والإمام أحمد (٢/٣٦٦، ٣٧٠).

(٤) رواه الإمام أحمد، (٦/٢٤-٢٥)، وأبو داود رقم (٣٦١٠)، وضَعَّفَهُ النوويُّ في «الأذكار»، وقال المنذري: «في إسناده بقية بن الوليد، وفيه مقال»، وضَعَّفَهُ الألباني في «تحقيق الكلم الطيب»، ص(٧٩).

(٥) «جامع العلوم والحكم»، ص (٤٠٩).

ولنا أن نتخيل الحال الذي كان يمكن أن يؤولَ إليه مصيرُ الدعوة، والأمة لو أن الأجيال السابقة أصغوا إلىٰ نداءات الاستسلام، وأحلام الانتظار حتىٰ يخرج المهدي، هل كانوا سيهزمون التتار، والصليبيين، ويفتحون القسطنطينية؟

★ ★ ★

● الْإِفْرَاطُ فِي الْإِحْسَاسِ بِالْعَجْزِ يَنْشَأُ عَنْهُ التَّفْرِيطُ فِي إِزَالَةِ الْعَجْزِ

حينما يحاول الناس ملء الفجوة بين الواقع المشهود، وبين الأمل المنشود، يختلف موقفهم تبعًا لنوعية مفاهيمهم، والذي يعنينا هنا ذلك الفريق الذي إذا فكر في حل هذه المعضلة، وملء هذه الفجوة، وكان هناك اتجاهان: أحدهما: إيجابي يَطْلُبُ منه مُوَاجَهَةَ الواقع، ومجابهةَ الباطل، والمثابرةَ علىٰ الأخذ بأسباب نهوض الأمة، والثاني: سلبيٌّ يَؤُزُّهُ علىٰ التخلي عن المسئولية الحاضرة، والفِرَارِ إلىٰ الأماني المستقبلية ـ فإنه ينحاز، بلا تردد، إلىٰ الاتجاه السلبي(١).

(١) ولعل أوضح أنموذج لهذا الاتجاه «جماعة شكري مصطفى» المعتنقين لمذهب الخوارج، والذين كانوا يرسمون خططهم المستقبلية وكأنهم يعيشون في الدنيا وحدهم، وأن ما سوف يقررونه بتفكيرهم «الذاتوي» ومن تلقاء أنفسهم؛ هو حتمًا سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير، وكأنما يمسكون بأيديهم عجلة قيادة الأقدار، (إذ ترى جماعة شكري أن دورهم يبدأ بعد تدمير الكافرين، أي بعد حرب لا تُبقي ولا تَذَر بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، ومن المستحيل ـ عندهم ـ قيام الخلافة الإسلامية قبل نشوب هذه الحرب، ويؤكدون أنه من سنن الله ـ تعالى ـ أن يكون القتال بالسلاح القديم، أي بالسيوف، والحراب، والرماح، والخيول، ولا يكون هذا إلا بعد انقراض الأسلحة الحديثة كالصواريخ، والقنابل الذرية، والطائرات الحربية، وغيرها.

جاء في رسالتهم «التوسمات»: «لابد أن تدمر الأرض بمن عليها، وتبقى القوة المؤمنة، ويبقى السلاح الفطري».

وجاء في الرسالة نفسها تحت عنوان: كيف تقوم دولة الإسلام؟

«إقامة دولة الإسلام على أنقاض دولة الكفر، ومن سننه ـ تعالى ـ الصراعات بين القوتين العظميين المختلفتين فكريًا، وهذا قائم بين الروس والأمريكان، كما كان قائمًا بين الفرس والرومان.

ومن سنة الله في نشوء الدعوات أن تصطرع هاتان القوتان العظيمتان في حروب طاحنة تهلك بعضها بعضًا، والجماعة المسلمة ليست على مستوى هاتين القوتين، فتفكير الجماعات التي تزعم الانتساب للإسلام بالانقلابات العسكرية هو سذاجة وانحراف: أن نتصور أننا سنتفوق ماديًا وعسكريًا على الجاهلية، والنصر الجاد للجماعة المسلمة هو أن تعبد الله.

وبعد هذا يُمكِّن الله ـ تعالى ـ لها بِقَدَرِه، وبأن تقضي القوتان المتصارعتان على بعضهما تمهيدًا لنصر المؤمنين، وهذا له صلة بأسلوب القتال وسلاحه، فتدمير الكافرين بتدمير سلاحهم، وأصول قتال المسلمين هو قتال رجل لرجل وليس قتال الجاهلية في تدمير الأرض بمن فيها بالصواريخ والقنابل الذرية.

ومن سنة الله أن يكون القتال بالسلاح القديم للجماعة المؤمنة: «الجنة تحت ظلال السيوف»، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، و «يحرق أحدهم وترقونه»، ومن سنة الله ـ تعالى ـ أن يدمر الأرض بالكافرين يوم يملكون الأرض ويتبجحون فيها، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾» اهـ.

وفي كتابهم «الخلافة» تحدثوا عن الجهد البشري والإعداد وسنن الله في أرضه، فكان مما قالوه:

«وأنا لا أقول ذلك لأثبت وجوب التسابق مع الشرق والغرب في عمل قنبلة أو صاروخ، وإنما على العكس من ذلك تمامًا؛ فلا يمكن أن يكون ذلك التسابق هو الحل؛ حيث إن العدو قد سبق في هذا المجال، مما لا يدرك حتى لو سرنا على درب السنن الذي قد سار هو عليها ـ وحتى لو سمح لنا بذلك ـ ولن يسمح». =

- فمنهم من يقول: فلننتظر علىٰ أمل أن تخرب الدنيا، وتقع حرب نووية شاملة تدمر معظم البشرية، وتقضي علىٰ كل أنواع الأسلحة المتطورة، وعندها يشير إلينا التاريخ برأسه: «أن هلموا قد جاء دوركم»، إن هذا ليس رجاءً محمودًا، ولكنه «اليأس» المُقَنَّع.

- ومن هؤلاء من يستبشر بانهيار المذاهب الملحدة؛ كالشيوعية، وإفلاس الرأسمالية، وتهافت الأديان الوثنية، والمحرَّفَة، ويحسب أن هذا وحده يعني انتصار الإسلام، كلا؛ إن هذا لا يعني التمكينَ للإسلام، حتىٰ يعودَ المسلمون إلىٰ دينهم، ويثوبوا إلىٰ ربهم، ويؤدوا واجبهم في إبلاغ الإسلام إلىٰ البشرية، ويبذلوا الجهد في النهوض من كبوتهم.

= وفي أقوال هذه الجماعة مغالطات كثيرة من أهمها ما يلي:
١- لو قرأوا التاريخ الإسلامي جيدًا وسبروا أغواره؛ لعلموا أن الجماعة المسلمة الأولى لم تقعد عن الجهاد بعد أن أوجبه الله عليها، وتسوغ لنفسها الأعذار، وتنتظر هلاك الفرس والرومان، وإنما خاضت حربًا ضروسًا مع الدولتين، استخدمت فيها كل ما تمكنت من الحصول عليه من أسلحة عصرية حديثة، وقدمت قوافل الشهداء قافلة تلو الأخرى، وأكرمها الله بالنصر رغم أنها كانت أقل عددًا وعدة من عدوها، ورغم أن المسلمين كانوا يخوضون حربًا هجومية، ولهذا كان قياس جماعة شكري فاسدًا، وجميع النتائج التي انتهوا إليها ليست صحيحة.
٢- زعموا أن الجهاد الإسلامي لا يكون إلا بالسلاح القديم - كالسيف والقوس -، ومن ثم فلا يصح أن يكون الجهاد الإسلامي المشروع - على حد زعمهم - إلا قتال رجل لرجل.
ومن أدلتهم على ذلك قوله - تعالى -:
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠].
وهذا الدليل حجة عليهم، وليس لهم؛ فقوله - تعالى -:
﴿وَأَعِدُّواْ﴾: الإعداد تهيئة الشيء للمستقبل.
﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم﴾: ﴿مَّا﴾ من ألفاظ العموم والاستغراق.
أي كل ما تقدرون عليه من أسباب القوة المادية والمعنوية.
روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ - وهو على المنبر - يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي».
وهذا كما قال بعض المفسرين من قبيل حديث «الحج عرفة» بمعنى أن كلًّا منهما أعظم الأركان في بابه، وذلك أن رمي العدو عن بُعْدٍ بما يقتله أسلم من مصاولته على القرب بسيف أو رمح أو حربة، وإطلاق الرمي في الحديث يشمل كل ما يُرمَى به العدو من سهم أو قذيفة منجنيق أو طيارة أو بندقية أو مدفع وغير ذلك، وإن لم يكن هذا معروفًا في عصره ﷺ فإن اللفظ يشمله، والمراد منه يقتضيه.... ومن قواعد الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالواجب على المسلمين في هذا العصر بنص القرآن صنع المدافع بأنواعها والبنادق والدبابات والطيارات والمناطيد، والصواريخ والسفن الحربية والغواصات، ويجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب، بدليل: **مالا يتم الواجب المطلق إلا به، فهو واجب**، وقد ورد أن الصحابة استعملوا المنجنيق مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر وغيرها، وكل الصناعات التي عليها مدار المعيشة من فروض الكفاية كصناعات آلات القتال.
وقوله - تعالى -: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾: رباط الخيل حبسها واقتناؤها، ورابط الجيش: أقام في الثغر، والغرض من هذه المرابطة يفسره قوله - تعالى -: ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾، ولن نرهب أعداء الله بالخيل إذا كانوا يواجهوننا بالطائرات والصواريخ والمدرعات، وجملة القول: أن حديث رسول الله: «ألا إن القوة الرمي» ينسف أباطيلهم كلها، ولا يُبقي لها أثرًا) ا هـ. بطوله من «الحكم بما أنزل الله وأهل الغلو» ص (٢٦٥ - ٢٦٨)، وتجدر الإشارة إلى أن المؤلف دَوَّنَ في هذا الكتاب - بأمانة وموضوعية - ما كاد يندثر من أخبار تلك الجماعة ومواقفها.

- ومنهم من يترقب حصول خَوَارِقِ عاداتٍ يترتب عليها التمكين لدين الله في الأرض، وهؤلاء يتناسون سنة الله في الذين خَلَوْا من قبل، وأن الابتلاء حتمي قبل التمكين؛ كما قال - تعالىٰ -: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤]، وقال ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝﴾ [العنكبوت:١،٢]، وقال - سبحانه -: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾... الآياتِ. [آل عمران: ١٤٠].

وقال - عزَّ من قائل -: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝﴾ [البقرة: ٢١٤].

لقد اقترن ميلاد الدعوة الإسلامية في غار حراء بالإخبار عن حتمية جريان سنة الابتلاء؛ قال ورقة بن نوفل: «لم يأْتِ رجلٌ قطُّ بمثل ما جئتَ به إلا عُودِيَ»، وقال الراهب للغلام: «أي بُنَيَّ، إنك خيرٌ مني، وإنك ستُبْتَلَى»، وقال ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ**»، ولما سُئِلَ الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيُّهُمَا خيرٌ للرجل: أن يُمَكَّنَ أو يُبْتَلَى؟ قال: «لَا يُمَكَّنُ حتىٰ يُبْتَلَى».

فمع أن الله ﷻ قادرٌ أن يجعل البشر جميعًا علىٰ أتقى قلب رجل واحد منهم بكلمة من حرفين: «كن»، فيكون، إلا أن حِكْمَتَهُ - جل وعلا - اقتضت أن يُبْتَلَى الناس بعضهم ببعض؛ لتكون العاقبة للتقوى.

واقتضت حكمته - تعالىٰ - أيضًا أن تُربَط المسبَّباتُ بأسبابها، والنتائج بمقدماتها، وقد أودع الله في هذا الوجود قوانين وسننًا تحكمه، وهذه السنن تحترم من يحترمها - ولو كان كافرًا -، ولا تحابي أحدًا، إذا أهملها؛ ولو كان مؤمنًا.

ولو تصور مسلم - أنه إذا ألقى نفسه من مبنى شاهق فإن سنَّةً أو ما يسمى «قانون الجاذبية» سوف تحابيه لإيمانه، أو تجامله ليهبط بسلام - فهو واهم؛ لأن الأصل هو إعمال تلك السنن التي لا تتبدل ولا تتحول إلا أن يشاء الله تعالىٰ أن يخرق العادة، وهذا استثناء، وليس الأصل.

إن كثيرًا من الجماعات الدعوية تبني خططها علىٰ أساس ترقب حصول هذا الاستثناء، وتهمل قانون السنن الإلهية الثابتة العادلة.

إن خرق العادة في كُلِّ موقفِ محنةٍ للمسلمين ينافي كون الدنيا دار عمل وامتحان، والإيمان الذي ينشأ نتيجة الاضطرار لا اعتداد به؛ كإيمان الكافر عند حضور ملك الموت، واليقين الذي ينشأ اضطرارًا لا عبرة به: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝﴾ [السجدة: ١٢].

لقد أزعج هذا النمط العجيب من التفكير كثيرًا من الناصحين؛ فكتبوا يُصَحِّحُونَ المفاهيم، ويُحَذِّرُونَ الأمةَ من الذين ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾، وهاك مقالاتِ بعضهم:

أولا: قال العلَّامَةُ المجدِّد نَاصِرُ الدين الألباني ـ رحمه الله ـ تعالىٰ ـ:

«لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام، وإقامة دولته علىٰ وجه الأرض؛ انتظارًا منهم لخروج المهدي، ونزول عيسى ـ عليهما السلام ـ؛ يأسًا منهم، أو توهـمًا أن ذلك غير ممكـن قبلهـما؛ فإن هـذا تَوَهُّمٌ باطـل، ويأسٌ عاطـل؛ فإن اللَّه ـ تعالىٰ ـ، أو رسوله ﷺ، لم يخبرنا أن لا عودَةَ للإسلام، ولا سلطانَ له علىٰ وجه الأرض، إلا في زمانهما؛ فَمِنَ الجائز أن يتحقق ذلك قَبْلَهُمَا إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك؛ لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ولقد كان هذا التوهم من أقوى الأسباب التي حملت بعض الأساتذة المرشدين، والكتَّاب المعاصرين، علىٰ إنكار أحاديث المهدي وعيسى ـ عليهما السلام ـ علىٰ كثرتها، وتواترها؛ لَمَّا رَأَوْا أنها عند المتوهمين مَدْعَاةٌ للتواكل عليها، وتَرْكِ العمل لعِزِّ الإسلام من أجلها؛ فأخطئوا في ذلك أشد الخطإ من وجهين:

الأول: أنهم أقرُّوهم علىٰ هذا التوهم؛ علىٰ اعتبار أن مصدره تلك الأحاديثُ المشار إليها؛ وإلا، لم يبادروا إلىٰ إنكارها.

والآخر: أنهم لم يعرفوا كيف ينبغي عليهم أن يعالجوا التوهم المذكور؟؛ وذلك بإثبات الأحاديث، وإبطال المفاهيم الخاطئة من حولها، وما مَثَلُهُمْ في ذلك إلا كَمَثَلِ من أنكر عقيدةَ الإيمان بالقدر خيرِهِ، وشرِهِ؛ لأن بعض المؤمنين به فَهِمُوا منه أن لازمه الجبر، وأنَّ المكلَّف لا كسب له، ولا اختيار، ولما كان هذا الفَهْمُ باطلًا بَدَاهَةً سارعوا إلىٰ إنكاره، ولكنهم أنكروا معه القدر أيضًا؛ لتوهمهم ـ أيضًا ـ مع المتوهمين، أنه يعني الجبرَ، فوافقوهم في خطئهم في التوهم المذكور، ثم زادوا عليهم خطأً آخرَ؛ فِرَارًا من الأول، وهو إنكارهم للقدر نفسه؛ فلولا أنهم شاركوهم في فَهْمِهِمْ منه الجبرَ لما أنكروه.

وهذا عين ما صنعه البعض المشارُ إليه من الأساتذة والكتَّاب؛ فإنهم لما رأوا تواكل المسلمين، إلا قليلًا منهم، علىٰ أحاديث المهدي وعيسى، بادروا إلىٰ إنكارها لتخليصهم ـ بزعمهم ـ من التواكل المذكور، فلم يصنعوا شيئًا؛ لأنهم لم يستطيعوا تخليصهم بذلك من جهة؛ ولا هم كانوا علىٰ هُدًى في إنكارهم للأحاديث الصحيحة من جهة أخرى.

والحقيقة أن هؤلاء المنكرين الذين يفهمون من هذه الأحاديث ما لا تدلُّ عليه من التواكل المزعوم؛ ولذلك يبادرون إلىٰ إنكارها؛ تَخلُّصًا منه ـ قد جمعوا بين المصيبتين: الضلال في الفهم،

والكفر بالنص، ولكنهم عَرَفُوا أن الفَهْمَ المذكورَ ضلال في نفسه؛ فأنكروه بإنكار النص الذي فهموا ذلك منه.

وعَكَسَ ذلك العامّة، فآمنوا بالنص مع الفَهْم المذكور، فمع كل من الفريقين هدًى وضلال، والحق الأخذ بهدي كلٍّ منهما، ونبذ الضلال الذي عندهما؛ وذلك بالإيمان بالنص دون الفهم الخاطئ.

وما مثل هؤلاء وهؤلاء إلا كمثل المعتزلة من جهة؛ والمشبِّهة من جهة أخرى؛ فإن الأولين تأوَّلوا آيات وأحاديث الصفات، بتأويلٍ باطلةٍ أودت بهم إلىٰ إنكار الصفات الإلهية، وما حملهم علىٰ ذلك إلا فِرَارُهُمْ من التشبيه الذي وقع فيه المشبِّهة، والحقيقة أن المعتزِلَة أنفسهم شاركوا المشبِّهة في فَهْم التشبيه من آيات الصفات، ولكنهم افترقوا عنهم بإنكار التشبيه بطريق التأويل الذي هو باطل - أيضًا - كالتشبيه؛ لِمَا لزم منه من إنكار الصفات الإلهية، وأما المشبِّهة فلم يقعوا في هذا الباطل، ولكنهم ثبتوا علىٰ التشبيه، والحق الجمع بين صواب هؤلاء وهؤلاء، وردُّ باطل هؤلاء وهؤلاء؛ وذلك بالإثبات والتنزيه؛ كما قال اللّٰه - تعالىٰ -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وكذلك أقول في أحاديث نزول عيسى ﷺ وغيرها؛ فإن الواجب فيها إنما هو الإيمان بها، وردُّ ما توهمه المتوهمون منها؛ من ترك العمل، والاستعداد الذي يجب القيامُ به في كل زمان ومكان، وبذلك نكون قد جمعنا بين صواب هؤلاء وهؤلاء، ورددنا باطل هؤلاء وهؤلاء، واللّٰه المستعان»(١) اهـ.

ثانيًا: قال الدكتور/ عبدالعزيز مصطفى - وفقه اللّٰه - تعالىٰ -:

«جهاد الكفار - أيًا كانوا، وأينما كانوا، وفي أي زمان كانوا - واجبٌ بالشرع المحكم غير المنسوخ، وهذه حقيقة إسلامية ثابتة، وهذا الجهاد واجب بشروطه، وضوابطه، وأحكامه، وليس من هذه الشروط، أو الضوابط، أو الأحكام، أن يُؤَخَّرَ الجهاد انتظارًا لتحول الغيب إلىٰ شهادة، ما هكذا فَهِمَ المسلمون الأوائل، وما هكذا فعلوا، بل إنهم لما أُخْبِرُوا بأن اللّٰه - تعالىٰ - سيكسر مُلك كسرى بسيوفهم ما قبعوا في البيوت ينتظرون تحقق الخبر، ووقوع الأمر بلا مقدمات يبذلونها، وجهود يقدمونها، لا؛ بل أعدوا للأمر عُدَّتَهُ، وأخذوا للشأن أُهْبَتَهُ، حتىٰ وقع النصر، وتطابق أمر الشرع مع أمر القدر.

وإن المسلمين الأوائل لما أُنْبِئُوا بأن اللّٰهَ سيكسر مُلك قَيْصَرَ علىٰ أيديهم لم يناموا علىٰ الأسِرَّة منتظرين تحقق النبوءة، ووقوع المعجزة؛ بل شمروا عن ساعد الجد، وجردوا الحسام من الغِمْد، وانطلقوا في أرض اللّٰه يقاتلون باسم اللّٰه من كفر باللّٰه، حتىٰ سقطت مملكةُ قيصرَ، وتطابق المشروع مع المقدور، وهكذا كان الشأن في النبوءات الأخرى عن فتح مصر، والشأم، والعراق، وحتى

(١) «قصة المسيح الدجال»، للألباني رحمه الله ص (٣٦ - ٣٨).

القسطنطينية، لم يقل السلطان محمد الفاتح إن فتحها ليس وقته الآن، بل قامت موجبات الجهاد الشرعية في عهده، فامتثل، وجاهد، وفتح، وانتصر. أما بعض مسلمي اليوم، فيقولون: لا.. إن جهاد اليهود لن يكون حتىٰ يخرج الدجال..، ولعل هذا من جملة فِتَنِ الدجّال في هذه الدنيا.

وانطلى هذا الكلام السخيفُ علىٰ قطاعات من الشباب المسلم، فألقوا عن كواهلهم تحمل أية مسئولية تجاه المسجد الأقصى الذي بارك اللَّه حوله؛ تمامًا كما انطلى علىٰ كثير منهم من قبلُ كلامٌ أسخفُ منه؛ مُؤدَّاهُ أن الدولةَ الإسلاميةَ والخلافةَ لن تقومَ حتىٰ يخرجَ المهدي!!

وعجبًا لمروجي هذا الكلام، ومردديه، كأنهم يقولون بلسان حالهم لليهود: اشتدوا في عدائكم..، وللنصارى استمروا في طغيانكم..، وللمسلمين استمروا في تَشَتُّتِكُمْ، وتفرقكم، وتنازعكم، وغُثَائِيَّتِكُمْ، حتىٰ يخرج المهدي إليكم، ولا أدري: بأَيَّة حُجَجٍ وأدلة يقعون في هذه الزَّلة؛ متوهمين أن المهدى سيخرج إلىٰ قوم قاعدين، أو سينصره أُناسٌ خاملون؟»[(١)].

«لقد تبين لنا أن اليهودَ والنصارى ينطلقون من خلال نبوءاتهم التي دخلها كثير من التحريف إلىٰ وضع تصوراتٍ عمليةً لما يمكن أن تدار علىٰ أساسه الصراعاتُ، وإلى بذل الوُسْعِ من أجل الوصول إلىٰ أهدافٍ دينيةٍ تَسَلُّطِيَّةٍ علىٰ العالم، ولم يمنعهم الاقتناع ذهنيا بهذه الأمور من الانصراف - أيضًا - إلىٰ بناء الحضارة، وتوسيع العمران، وزيادة الإعداد والاستعداد للمستقبل، فماذا أقول؟! أأقول إنهم يفهمون الروح المقصودة من التدين أكثر منا وهم علىٰ غير دين صحيح، أأقول إنهم إلىٰ جانب فهمهم للدنيا، وكيفية التعامل معها - يَفْهَمُونَ، وهم علىٰ ضلال، أن ما يجيء به الدين هو قضايا من صُلْبِ الحياة، وصميم الواقع؟!!

إن اليهود والنصارى بين أيديهم أخبارٌ غير موثوقة، وتفسيرات غير مأمونة، وعقائدُ مضطربةٌ تزيدها التأويلات اضطرابًا، واختلافاتٌ فيما بينهم في الأصول والفروع، يستحيلُ معها الجمع بين الأقوال، ومع كل ذلك فهم جعلوا هذه الأخبارَ، وتلك النبوءاتِ، منارًا يسيرون علىٰ ضوئه خلال أحقابٍ طويلة؛ ففي مسيرة اليهود خلال الألفي سنة الخالية لم تكن تدفعهم إلا نبوءات العهد القديم، ولم تستحثَّ آمالهم إلا أخبار الأنبيـاء السـابقين، ولم تستنهض هممهم إلا أمانٍ بعيـدةٌ في العودة، والعلو، والسيطرة.

وفي المقابل نرى من بعض قومنا من إذا أُخِذَ بأخبارٍ من الدين عن المستقبل فإنه يجعلها سدًّا أمام الحركة، وعائقًا في وجه التقدم، ويتخذ منها وسادة وثيرة ينام عليها، أو أريكة وطيئة يقتعدها»[(٢)] اهـ.

(١) «قبل أن يهدم الأقصى»، ص (٢٧٦ - ٢٧٧).
(٢) «السابق»، ص (٢٤٧ - ٢٤٨).

إن مما يؤسف له أشد الأسف شيوع هذه «السلبية» بحجة انتظار خروج المهدي، مع أن أشد الناس سلبية - فيما مضى - طوّروا مفاهيمهم تحت وطأة العقل والمصلحة والخوف من خطر الانقراض، وتحرروا من أسر السلبية والتخاذل، وترقب ما يمليه الأمر الواقع، فرأينا الرافضة يطورون مفهوم «الانتظار السلبي» لمهديهم المزعوم، ويخترع لهم الخميني مفهوم «ولاية الفقيه» ليُخرج الرافضة من «شرنقة» الانتظار السلبي لمهديهم الموهوم إلىٰ التحرك الإيجابي وإقامة دولة قبل أن يخرج المهدي من السرداب، الأمر الذي كان مرفوضًا من قبل، وبعد أن مرت قرون كانوا خلالها السَّنْدانَ، حولتهم «ولاية الفقيه» إلىٰ مِطْرَقة فعالة، وَوَدَّعوا الانتظارَ السلبي المُمِلَّ.

وكذلك فعلت «الصِّهْيَوْنِيَّةُ السياسية» التي طورت مفهوم الانتظار السلبي عند اليهود، بل تمردت عليه، وقفزت منه إلىٰ العمل الإيجابي(١).

أما نحن - معشرَ المسلمين - فلسنا في حاجة إلىٰ ابتداع منهج، ولا تطوير مفهوم، لأن ديننا هو دين الحق، دين يُبغِض السلبية والسلبيين، ويكره القاعدين المتخاذلين، ويحث علىٰ الأخذ بالأسباب، مع التوكل علىٰ الملك الوهَّاب، ونحن في الحقيقة متخلفون عن ذروته السامية، وقمته السامقة، قال - تعالىٰ -: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]

وإذا كانت «الانتصارات» قد أسكرت أعداءنا، وفتنتهم بباطلهم؛ فإن «الانكسارات» ينبغي أن توقظنا من سباتنا، وتفعل بنا ما تفعله الأحجار إذا أُلقيت في الماء الراكد.

إن الإيمان بالغيب هو أقوى حافز ودافع للعمل في عالم الشهادة، وقد رأينا ذلك ماثلًا في واقع خير أجيال البشرية من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن تبعهم بإحسان، حيث لم يتخذوا من إيمانهم بأشراط الساعة تُكَأَةً يقعدون عليها بحجة انتظار تحققها في المستقبل، أفلم يَأْنِ لنا أن نقوم بدور «المطرقة»، ونودِّعَ دور «السَّنْدانِ»؟

سؤال ينتظر الإجابة في زمن (الانتظار).

المَقَالُ الثَّالِثُ: فَارِسُ أَحْلَامِ الدَّعْوَةِ

للأستاذ/ عبدالسلام البسيوني - وفقه الله - تعالىٰ -

(في إطار العمل الإسلامي، وتحت وطأة المعاناة، وأثقال التقصير، يتطلع الحالمون إلىٰ «فارس الأحلام» في صورة مهديٍّ يصوغه خيالهم، وتُشَكِّلُهُ أحلامُهُمْ ورَغَائِبُهُمْ، يؤمنون به رغم أن كل القرائن تؤكد أن المهدي الذي وردت الإشارات إليه في بعض كتب السنة لَمَّا يُظِلَّنَا زمانه، بل كثيرًا ما خرج هنا وهناك من

---

(١) انظر: «خدعة هرمجدون» للمؤلف، نشر دار بلنسية - الرياض - ١٤٢٤هـ.

يزعم أنه المهدي بشحمه، ولحمه، ومواهبه، ثم يتمخض الجبل فيلد بدعًا، ومنكرات، وتنكبًا للسنة، بل ربما ولَّد كفرًا، وضلالًا، وزندقة.

وواقع المسلمين لا يحتاج علاجًا سحريًّا، ولا يحتمل الآن متمهدين، بل يحتاج إلىٰ قادة رعاةٍ يملكون من الوعي القيادي ما يستطيعون من خلاله أن يقودوا الأمة نحو مرافئ السلامة، وشاطئ الرشاد، دنيا وأخرى).

ثم يتحدث عن حاجة الدعوة إلى: (رمز يُشْبِعُ في الأذهان فكرةَ «فارس الأحلام»، ويكون رجلًا تقِيًّا واعيًا، وأبًا رفيعًا حانيًا، وعالمًا ربانيًّا فوق الطعن، واللمز، فإن فكرة الارتباط مهمة، وفكرة توفر الرمز كذلك مهمة؛ فإننا نرى المسلمين صغارًا وكبارًا لا يزالون يستنجدون برموز الأمة الموتى؛ كصلاح الدين الذي أرقناه في مضجعه من كثرة ندائنا له، وكعماد الدين زنكي، وقطز، وابن تيمية... حتىٰ ضاق - من ظاهرة الاستنجاد بصلاح الدين - الشاعر «أحمد مطر»، الذي استنكر علىٰ الناس كثرة استنجادهم بمن يستحيل أن ينجدهم أو يغيثهم، فهتف:

كَـمْ مَـرَّةٍ فِي الْـعَـامِ تُـوقِـظُـونَـهْ
كَـمْ مَـرَّةٍ تَحْـتَ سِـيَـاطِ الْجُبْنِ تَجْـلِـدُونَـهْ
وَغَـايَـةُ الْخُشُـونَـةْ:
أَنْ تَـهْـتِـفُـوا: قُـمْ يَـا صَـلَاحَ الـدِّيـنِ قُـمْ
حَتَّى اشْتَكَى مَرْقَدُهُ مِنْ حَوْلِهِ الْعُفُونَهْ
دَعُوا صَلَاحَ الدِّينِ فِي تُرَابِهِ، وَاحْتَرِمُوا سُكُونَهْ
فَـإِنَّـهُ لَـوْ قَـامَ حَـيًّـا بَـيْـنَـكُـمْ
فَـسَـوْفَ تَـقْـتُـلُـونَـهْ!!)[1] اهـ.

---

(١) «فقه الواقع»، ص (٩١ - ٩٣) باختصار.

الْمَقَالُ الرَّابِعُ:
مِنْ سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ الْمَادِيَّةِ

قال الأستاذ/ محمد العبدة ـ حفظه الله ـ تعالىٰ ـ:

«في غمرة الاندفاع العاطفي، وزحمة الأحداث السطحية، يتناسى المسلمون، أو قد يجهلون سننَ التغيير التي أودعها الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في كتابه، أو أجراها علىٰ لسان نبيه ﷺ، وبعض هذه السنن يعرفها الناس بالتجربة الطويلة، والخبرات المتراكمة المتأملة.

ومن هذه السنن أن الدعواتِ الصادقةَ إذا أُريدَ لها النجاحُ لا بد لها من قُوًى تؤيدها، وتنصرها؛ قوى من التكتل الجماهيري الذي يلتف حول هدف واضح محدد، أو بمصطلح ابن خلدون: لا بد من «العصبية» التي تعني الالتحام، والتعاضد، والتنافر؛ لتحقيق هدف معين، وليس المعنى المذموم لكلمة «عصبية».

وإذا كان التكتل سابقًا يَعْتَمِدُ علىٰ القبائل، والعشائر، فإنه في العصر الحديث يعتمد علىٰ جميع شرائح المجتمع، الذين يلتفون حول علماء فقهاء؛ يعملون بفقههم، وتفكيرهم سنن التغيير، وتحويل المجتمعات، والتأثير فيها، وخاصةً ما نحن فيه من تعقيدات هذا العصر.

هذه القوة والمنعة هي التي افتقدها نبي الله لوط عليه السلام حين قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠]، فقال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ لُوطًا كان يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَمَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ نَبِيًّا إِلَّا وَهُوَ فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ»(١).

ويقول الإمام الجويني: «ما ابتعث الله نبيًا في الأمم السالفة حتىٰ أيَّده، وعضَّده بسلطان ذي عدة ونجدة، ومن الرسل ـ عليهم السلام ـ من اجتمعت له النبوة، والأيد، والقوة؛ كداود، وموسى، وسليمان ـ صلوات الله عليهم أجمعين»(٢).

فإذا كان الأنبياء يؤيَّدون «بثروة من قومهم»؛ وهي القوة والمنعة في العدد والعدة، وهم مع ذلك مُؤَيَّدُونَ بالمعجزات وخوارق العادات، فكيف بغيرهم الذين يرومون التغيير بالعشرات أو المئات، ويقولون نحن نتوكل علىٰ الله؟! لا شك أن المسلم يطلب العون من الله، ويتوكل عليه، والله ـ سبحانه ـ وعد المسلمين بالنصر، ولكن لا بد من الأخذ بالأسباب الشرعية، ومن أهمها تجميع القوى التي تناصر وتعاضد.

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الإمام أحمد، (٢/٢٣٢)، والحاكم، (٥/٥٦١)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وأقره الذهبي، وأورده الألباني في «الصحيحة»، رقم (١٨٦٧).

(٢) «غياث الأمم»، ص (١٨٢).

هل درسنا هذا الموضوع بعمق وأناة، أم أن مقولة: «نعمل والنتائج على الله»، لا تزال هي الشائعة، والأكثر قبولًا ورواجًا، مع أنها ظاهريًّا صحيحة؛ فهي كلمة حق تُسْتَخْدَمُ في غير محلِّها؛ فالقول بأننا نعمل يجب أن يُمَحَّصَ؛ إذ ما يدريك أن عملك صواب، قد أَخَذْتَ فيه بالأسباب؟ نعم إذا بُذِلَ الجهد الصحيح فالنتائج على الله، أما أن يُعمل أيُّ عمل ثم يقال: «النتائج على الله» فهذا ضرب من حب السهولة، وهروب من النقد، وحتى نستريحَ نفسيًّا من اللوم والتقريع، وحتى مع توفر عنصر الإخلاص في هذا العمل، فهذا لا يكفي؛ فلا بد من معرفـة سنن الله في التغـيير»[1] اهـ.

(١) «خواطر في الدعوة»، ص (٦٩ - ٧٠).

الفصلُ الثالث

وَاقِعُنَا ... وَانتِظَارُ المَهْدِيِّ

ربط بعض الناس بين الأحاديث الواردة في أحوال آخر الزمان، وأشراط الساعة، وبين حال العالم في زماننا هذا، ورتبوا بعضَها على بعض، ليس هذا فحسب، بل بَنَوْا على ذلك أمورًا نتج عنها فتن جسيمة، وانتهاكٌ للحرمات، والمخرج من ذلك كله أن نتركَ الواقع نفسه يُفَسِّرُ لنا هذه الأحاديثَ، حتى لا نَرْجُمَ بالغيبِ، أو نَقْفُوَ ما ليس لنا به علم؛ اقتداءً بعلماء السلف الصالح الذين أَدَّوْا إلينا هذه النصوص بكل صدق وأمانة، ولم يُقْحِمُوا الظنونَ في تعيينها، وترتيب بعضها على بعض بمجرد الرأى.

ولئن وقعَ منا تردد في: **هل زماننا هو زمان ظهور المهدي؟** فلا ينبغي أن نتردد في الجزم بأننا - سواء كان هذا زمان ظهوره أوْ لا - مُلْزَمُونَ بكافة التكاليف الشرعية: من طاعةِ اللَّه، والجهادِ في سبيله، وطلبِ العلم، والدعوة إلى دينه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في ذلك كله، وغير ذلك من الواجبات، فما يتوهمه بعض الكسالى من أن ظهور المهدي سيكون بداية عصر الاسترخاء والدعة - باطل باطل، بل النصوص تُشِيرُ إلى أنه سيكون بدايةً للفتوح، والجهاد، والبذل في سبيل إعلاء كلمة اللَّه ﷻ.

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن: كيف سيكون حال الأمة قبل ظهور المهدي؟ وهل سَتَقُومُ الخلافة الإسلامية من جديد قبل المهدي؟

وبما أن هذا المستقبل غيب، فلا يصح محاولة استطلاعه إلا مِن قِبَلِ وحي اللَّه ﷻ إلى رسوله - صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم -، وفي هذا الفصل نعرض اتجاهين سلكهما بعض العلماء جوابًا عن هذا السؤال؛ استنادًا إلى أحاديث رسول اللَّه ﷺ.

- **المَسْلَكُ الأَوَّلُ: ستزداد غُرْبَةُ الإسلام حتى يظهرَ المهدي - إن شاء اللَّه.**

١- قال الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأما بعد قرن أتباع التابعين، فقد تغيرت الأحوال تغيرًا فاحشًا، وغلبت البدع، وصارت السنة غريبة، واتخذ الناس البدعة سنة، والسنة بدعة، ولا تزال السنة في المستقبل غريبة، إلا ما استثني في زمان المهدي رضي الله عنه، وعيسى عليه السلام، إلى أن تقوم الساعة على شرار الناس»(١) اهـ.

٢- وسئل الشيخ عبداللَّه بن الصِّدِّيق سؤالًا نصه:

(١) «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»، (٣٢٩).

(إذا كانت القيامة تقوم علىٰ المهدي وعيسى، ودين الإسلام حسب ما ذكرنا، فما معنى قوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «**الْإِسْلَامُ غَرِيبٌ، وَكَمَا بَدَأَ يَعُودُ**»؟).

فأجاب: (تواتر عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أنه قال: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ**»(١)، وهو يشير إلىٰ وقتنا هذا؛ فإن الإسلام فيه غريب بمعنى الكلمة، وسيظل كذلك، بل ستزداد غربته إلىٰ أن يأتي المهدي فيظهر الإسلام، ويحيي العدل، وتزُولُ الفتن والإحن بين المسلمين، ويبقى الحال كذلك مدة المهدي، ومدة عيسى ﷺ، ثم بعد ذلك تأتي ريح طيبةٌ تأخذ نفس كل مؤمن، فلا يبقى علىٰ الأرض من يعرف الله أو يذكره، وإنما يبقى أقوام يتهارجون كما تتهارج الحُمُرُ، فعليهم تقوم الساعة كما جاء في صحيح مسلم، وغيره والله أعلم)(٢) اهـ.

وقد يُستدل لهذا المُنْحَى بما رواه الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك ﷺ، فشكونا إليه الحجّاج، فقال: «**اصبروا؛ فإنه لا يأتي عليكم يَوْمٌ أو زمانٌ إلا والذي بعده شر منه، حتىٰ تَلْقَوْا ربكم**»، سمعتُهُ من نبيكم ﷺ(٣).

وقد ترجم له الإمام ابن حِبّان رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ذِكْرُ خبرٍ أَوْهَمَ مَنْ لم يُحْكِم صناعةَ الحديثِ أن آخرَ الزمان علىٰ العمومِ يكون شرًا من أوَّلِهِ(٤)»، ثم أَتْبَعَهُ بترجمة تَدْفَعُ هذا الإيهام، فقال:

«ذِكْرُ الخبرِ المصرِّح بأن خبر أنس بن مالك لم يُرَدْ بعموم خطابه علىٰ الأحوال كلها(٥)»،

ثم أَسْنَدَ إلىٰ أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا لَيْلَةٌ، لَمَلَكَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ**»(٦).

وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا علىٰ حديث أنس ﷺ:

(هذا الحديثُ ينبغي أن يُفْهَمَ علىٰ ضوء الأحاديث التي تُبَشِّرُ بأن المستقبلَ للإسلام، وغيرها؛ مثل أحاديث المهدي، ونزول عيسى ﷺ؛ فإنها تدل علىٰ أن هذا الحديثَ ليس علىٰ عمومه، بل هو من العام المخصوص؛ فلا يجوزُ إفهامُ الناس أنه علىٰ عمومه، فيقعوا في اليأس الذي لا يصح أن يتصف به المؤمن: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٧) [يوسف: ٨٧] اهـ.

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة ﷺ مسلم، (١٤٥)، في الإيمان: باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا، وتتمته: «فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ».
(٢) «المهدي المنتظر»، ص (٥١ - ٥٢).
(٣) رواه الإمام أحمد، (١٣٢/٣، ١٧٧، ١٧٩)، والبخاري، (٧٠٦٨)، (١٩/١٣ - ٢٠)، والترمذي، (٣٣٠٧)، وانظر: «فتح الباري»، (٢٠/١٣ - ٢٢).
(٤) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان»، (٢٨٢/١٣).
(٥) «السابق»، (٢٨٣/١٣).
(٦) رواه ابن حبان، (٢٨٣/١٣)، وابن ماجه، (٢٧٧٩)، والترمذي، (٢٢٣١)، وقال: «حسن صحيح».
(٧) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، المجلد الأول، ص (١٠).

● **المَسْلَكُ الثَّانِي: ستقوم بإذن الله خلافَةٌ علىٰ منهاج النبوة قبل ظهور المهدي، أو علىٰ الأقل ستنهض الأمة نهضةً شاملةً، ولا يبقى إلا ظهور القائد.**

١ـ سمعت العلَّامَةُ ناصر الدين الألباني رحمه الله يقول(١) في معرض مناقشته للذين ادَّعَوْا اقتراب ظهور المهدي:

«ما أظُنُّ أنَّ هذا أوانُ ظهورِهِ، فهذا مُقْتَضَى السنة الكونية، وما أحسب المهدي يَقْدِرُ ـ خلال سبع سنين ـ علىٰ أن يحدث من التغيير في العالم أكثر مما أحدثه رسول الله ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة، وظني أن المهديَّ سيكون رجلًا فريدًا في كل باب: فَرِيدًا في علمه، فريدًا في ورعه، فريدًا في عبادته، فريدًا في خلقه، وأنه سيظهر، وقد تهيأ للعالم الإسلامي وضعٌ صَلُحَ فيه أمر الأمة، وتَمَّت فيه مرحلتا «التصفية والتربية»، ولم يَبْقَ إلا ظهور الزعيم المُصْلِح الذي يقوده، وهو المهدي) اهـ.

ثم حمل فضيلته علىٰ الجُهَّال الذين يسيئون فَهْم عقائد الإسلام، ثم ينحرفون، ويتخبطون؛ نتيجةَ قلة علمهم، وسوء فهمهم.

وقال ـ أيضًا ـ مُفَصِّلًا ما يَعْنِيهِ بمرحلتي «التصفية والتربية»:

«لا بد اليوم من أجل استئناف الحياة الإسلامية من القيام بهذين الواجبين: «التصفية والتربية».

● **وأردت بالأول منهما أمورًا:**

الأول: تصفيةُ العقيدةِ الإسلامية مما هو غريب عنها؛ كالشرك، وجحد الصفات الإلهية، وتأويلها، ورد الأحاديث الصحيحة؛ لتعلقها بالعقيدة ونحوها.

الثاني: تصفية الفقه الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة.

الثالث: تصفية كتب التفسير، والفقه، والرقائق، وغيرها، من الأحاديث الضعيفة، والموضوعة، والإسرائيليات المنكرة)، إلىٰ أن قال رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الواجبُ الآخَرُ فأريد به تربية الجيل الناشئ علىٰ هذا الإسلام المُصَفَّى من كل ما ذكرنا تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره، ودون أي تأثر بالتربية الغربية الكافرة.

ومما لا رَيْبَ فيه أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهودًا جبارة متعاونة من الجماعات الإسلامية المخلصة، التي يهمها حقًّا إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، كُلٌّ في مَجَالِهِ، واختصاصه، وأما بقاؤنا راضين عن أوضاعنا، متفاخرين بكثرة عددنا، متوكلين علىٰ فضل ربنا، أو خروج المهدي، ونزول عيسى، صائحين بأن الإسلام دستورنا، جازمين بأنا سنقيم دولتنا، فذلك محال، بل وضلال لمخالفته لسنة الله الكونية، والشرعية معًا؛ قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا

(١) وذلك بخيمته في منى في موسم حج عام ١٣٩٩هـ.

بِأَنفُسِهِمْۗ﴾ [الرعد: ١١] ، وقال ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»(١).

من أجل ذلك قال أحد الدعاة الإسلاميين اليوم: «أقيموا دولةَ الإسلام في قلوبكم تَقُمْ لكم في أرضكم»، وهذا كلام جميل جدًّا، ولكن أجمل منه: العمل به، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾(٢) [التوبة: ١٠٥]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض رده علىٰ من زعم أن دولة الخلافة الإسلامية لن تعود قبل ظهور المهدي:

«واعلم يا أخي المسلم أن كثيرًا من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع؛ فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي، وهَذِهِ خُرَافَةٌ وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامَّة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يُشعِر بذلك مطلقًا، بل هي كلها لا تَخرُجُ عن أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بَشَّرَ المسلمين بِرَجُلٍ من أهل بَيْتِهِ، ووصفه بصفات؛ أبرزها: أنه يحكم بالإسلام، ويَنْشُرُ العدلَ بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجدِّدِينَ الذين يبعثهم الله في رأس كل مئة سنة، كما صح عنه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم، والعمل به لتجـديد الدين، فكذلك خروج المهـدي لا يستلزم التواكُلَ عليه، وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصَّـواب؛ فإن المهـدي لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد ﷺ، الذي ظل ثلاثة وعشرين عامًا، وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته، فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم، فوجد المسلمين شِيَعًا وأحزابًا، وعلماءهم - إلا القليل منهم - اتخذهم الناس رءوسًا، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يُوَحِّدَ كلمتهم، ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا - بلا شك - يحتاج إلىٰ زمن مديدِ اللَّهُ أعلم به، فالشرع والعقل معًا يقضيان أن يقوم بهذا الواجب المُخْلِصُونَ من المسلمين، حتىٰ إذا خَرَجَ المَهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلىٰ النصر، وإن لم يخرج، فقد قاموا بواجبهم، والله يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾(٣). اهـ.

٢- وفي كتابهما «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة» يُفَصِّل المؤلفان هذا المسلك، ويقولان ما ملخصه بتصرف وإضافات:

---

(١) رواه أبو داود، (٣٤٦٢) في البيوع؛ باب «النهي عن العينة»؛ والعينة: أن يبيع شيئًا من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه إلى المشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل من ذلك القدر، يدفعه نقدًا. وانظر: «السلسلة الصحيحة»، رقم (١١).

(٢) «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»، مقدمة المجلد الأول.

(٣) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، (٤/٤٢ - ٤٣).

لَا بُدَّ مِنْ عَوْدَةِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، وَاسْتِعَادَةِ الْقُدْسِ، قَبْلَ ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ

[(أ) تشير بعض الأحاديث الصحيحة إلىٰ أن حالةَ الناسِ الدينية في تراجع مستمر مع الزمن، ولكنه تَرَاجُعٌ بشكل عامٍّ لا بِشَكْلٍ فردي؛ أي هو من العام المخصوص، والمخصِّص قوله ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى آخِرُهُ خَيْرٌ أَمْ أَوَّلُهُ؟»(١).

وقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لا يضرهم من خذلهم، حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك»،(٢) وقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا، يَسْتَعْمِلُهُمْ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٣).

ولا يرد عليه انعدام الدولة والصَّوْلة؛ لأنه لا يمتنع عقلًا أن تنطلق هذه الأمة انطلاقًا جديدًا؛ حتىٰ يتم قوله - عز وجل -: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾، [التوبة: ٣٣].

ومما يؤيد ذلك قوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»(٤) الحديث، وقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ بِهِ الْكُفْرَ»(٥).

(ب) - وقد وردت أحاديث يُفْهَمُ منها قيام خلافة راشدة قبل خروج المهدي: منها ما رواه ابن حَوالَة الأزدي رضي الله عنه، قال: وضع - رسول الله ﷺ يده على رأسي، أو على هامتي، ثم قال: «يَابْنَ

---

(١) رواه الترمذي رقم، (٢٨٧٣) في الأمثال: باب «مثل أمتى مثل المطر»، ورواه الإمام أحمد في «المسند»، (٣/١٣٠، ١٤٣) من حديث أنس، و(٤/٣١٩) من حديث عمار بن ياسر، وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حَسَنٌ»، ونقل المناوى عن الحافظ ابن حجر قوله: «هو حديث حسن له طرق، قد يرتقي بها إلى الصحة» اهـ. من «فيض القدير»، (٥/٥١٧).

(٢) أخرجه من حديث ثوبان رضي الله عنه مسلم رقم (١٩٢٠)، وأبو داود رقم (٤٢٥٢)، والترمذي رقم (٢٢٢٩)، وابن ماجه (٢/ ٤٦٤) رقم (٤٠١٦)، وأحمد (٥/ ٢٧٨ - ٢٧٩)، والحاكم (٤/ ٤٤٩ - ٤٥٠).

(٣) رواه من حديث أبي عنبة الخولاني الإمام أحمد، (٤/٢٠٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»، (٦/٢٣١)، رقم (٧٥٦٩).

(٤) صدر حديث رواه من حديث ثوبان رضي الله عنه مسلم رقم (٢٨٨٩) في الفتن، باب «هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض»، والترمذي، رقم (٢١٧٧) في الفتن، باب «ما جاء في سؤال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ثلاثًا في أمته»، وأبو داود، رقم (٤٢٥٢) في الفتن، باب «ذكر الفتن ودلائلها»، وانظر: «جامع الأصول»، (١١/٣١٧ - ٣١٨).

(٥) (رواه الإمام أحمد، والطبراني في «المعجم الكبير»، وابن منده في «كتاب الإيمان»، والحافظ عبدالغني المقدسي في «ذكر الإسلام»، وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحاكم، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وكذا أخرجه ابن حبان، وابن عروبة) اهـ. ملخصًا من «تحذير الساجد»، للألباني، ص (١٧٣ - ١٧٤)، «السلسلة الصحيحة»، حديث رقم (٢)، وقد صححه على شرط مسلم.

حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ، فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ، وَالْبَلَابِلُ، وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ من رأسك»(١).

ومنها ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال ـ قال رسول اللَّه ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ،وفتح الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدَّث أو منكبه، ثم قال: «إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هُنَا، أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ»(٢)، وفتح القسطنطينية سيتم في زمن المهدي الذي هو في زمن عيسى عليه السلام.

قالوا: وعمران بيت المقدس سيكون بالخلافة النازلة فيه؛ وهذا يستلزم تحرير القدس؛ وتحريرها يستلزم قيام الجهاد الشرعي الإسلامي ضد اليهود هناك.

ـ ومنها ما رواه المقداد بن الأسود رضي الله عنه، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ، يقول: «لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مُدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ؛ إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللَّهُ عز وجل، فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ، فَيَدِينُونَ لَهَا»(٣)، قالوا:، وقوله ﷺ: «فَيَدِينُونَ لَهَا» فيه إشارةٌ إلى الجزية، وإشارة أخرى إلى أن هذا إنما يكون قبل نزول المسيح عليه السلام؛ لأنه لا يقبل الجزية من أحد.

(جـ) ـ وهذا يؤكد حتمية عودة الخلافة الإسلامية، وسيادتها على العالم كله، والخلافة لن تسقط على المسلمين في قرطاس من السماء، ولكن للنصر أسبابه المتعددة، وقد بشر ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ بفتح رومية(٤)؛ وهذا الفتح لن يتم إلا بالجهاد في سبيل اللَّه عز وجل، والصبر عليه، وبذل الأموال والأنفس، والخلافة التي يُقيمها هذا الجهاد خلافةٌ راشدةٌ على منهاج النبوة؛ كما أخبر النبي ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ؛ ولذلك، فلا بد أن تكون هذه الفئة سالكة طريق النجاة في الدارين؛ حتى لا يطول بها السرى في صحراء الخلافات، والفتن، وطريق السلامة من فتنة الفرقة التي تنبأ بها ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ في قوله: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا» إنما يتلخص في أمرين بيَّنَهُمَا ﷺ: «فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، ثم قوله ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ: «وَإِيَّاكُم، وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ» الحديث(٥).

---

(١) رواه أبو داود، (٢٥٣٥) في الجهاد، باب «في الرجل يغزو يلتمس الأجر والغنيمة»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود»، (٢٢١٠).

(٢) رواه أبو داود، (٤٢٩٤) في الملاحم، باب في أمارات الملاحم، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود»، (٣٦٠٩).

(٣) رواه الإمام أحمد (٤/٦)، والحاكم، (٤/٤٣٠) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي والبيهقي في «السنن»، (٩/ ١٨١)، وصححه الألباني في «تحقيق المشكاة»، (١/٢٠).

(٤) انظر: هامش رقم (٣)، ص(١٤٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود (٤/ ٢٠٠)، (٤٦٠٧)، والترمذي (٥/٤٤)، (٢٦٧٦)، وابن ماجه (١/ ١٦)، والدارمي (١/٤٥)، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الضياء المقدسي وغيره.

فالطائفة المنصورة لا بد أن يكون منهجها موافقًا لمنهاج النبوة؛ الذي هو منهج السلف الصالح، والرعيل الأول القائم علىٰ الاتِّباع، وترك الابتداع؛ لأنه هو المنهج الوحيد الصحيح القادر علىٰ إعادة الخلافة في الأرض، وهي مع ذلك تحتاج رجالًا أولي عزم وتقى، يقوم علىٰ أكتافهم هذا البعث الجديد، فلا بد من تربيتهم علىٰ الكتاب، والسنة، ولا بد من علاج هذا الواقع الأليم الذي يعاني منه المسلمون في كل مجال في ضوء شريعة اللَّه المصفاة من كل دخيل من الآراء، والأهواء، والبدع، فعاد الأمر إلىٰ كلمتين. :«التصفية، والتربية».

(د) ـ والزمان هو السِّفر المنظور الشارح لكتاب اللَّه المسطور؛ آيات سورة الإسراء تُبيِّن أنه لا بد من جولة قادمة بين المسلمين، واليهود، وقد روىٰ الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ، قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ؛ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودُ وَرَاءَ الْحَجَرِ، وَالشَّجَرِ، فَيَقُولَ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**»(١).

قال الإمام النووي تعليقًا علىٰ الحديث: «الغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال، واليهود»(٢).

وفي رواية للحديث عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ: أن رسول اللَّه ﷺ، قال: «**تُقَاتِلُكُمْ يَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ؛ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ**»(٣).

ولئن وصف رسول اللَّه ﷺ أولئك المجاهدين ـ في هذا الحديث ـ بوصف عام هو الإسلام؛ فلقد وصفهم بوصف أخص؛ وهو كونهم «أهل السنة والجماعة»، «الطائفة المنصورة»؛ وذلك فيما رواه عمران بن حصين ـ رضي اللَّه عنهما ـ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ..**»(٤)، وهذا الحديث يشير إلىٰ أن من ضمن قتالهم قتال المسيح الدجال، وأعوانه؛ وأعوانه أكثرهم اليهود.

ـ وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ جَابَهَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِن لأواء حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ،**

---

(١) رواه مسلم، (٢٩٢٢).

(٢) «شرح النووي»، (١٨/٤٤ ـ ٤٥)، ومن الجدير بالذكر أن يهود الدولة اللقيطة يكثرون الآن من زراعة هذا الشجر في المستوطنات والحدائق وغيرها، وانظر: «واقعنا المعاصر» ص (٥٤٣).

(٣) رواه البخاري، (٦/٦٩٩)، (٦١)، كتاب «المناقب»، (٢٥)، باب «علامات النبوة»، رقم، (٣٥٩٣)، ورواه مسلم، (٤/ ٢٢٣٩)، (٥٢)، كتاب الفتن، (١٨)، باب «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل..»، حديث رقم (٨١).

(٤) رواه أحمد، (٤/٤٢٩)، ورواه الحاكم، (٢/٧١)، (٤/٤٥٠)، وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قَالُوا: أَيْنَ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[١].

- وهذا الحديث واضح الدلالة على أن القوم المقاتلين الذائدين عن بيت المقدس هم من نفس الطائفة المنصورة أهل السنة، والجماعة. وفيه تحديد لأماكن وجودهم في آخر الزمان.

- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ دِمَشْقَ، وَمَا حَوْلَهُ، وَعَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَا حَوْلَهُ، وَلَا يَضُرُّهُمْ خُذْلَانُ مَنْ خَذَلَهُمْ.. ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»[٢].

قالوا: إن الأحاديث الشريفة تدل على حدوث قتال بين المسلمين واليهود، وانتصارهم على اليهود قبل زمن الدجال، وليس شرطًا أن تكون المعركة بين المسلمين، وبين صنف من أعدائهم واحدة فقط؛ فقد تتعدد المعارك، وتتكرر الفتوحات، فالقسطنطينية[٣] - مثلًا - فتحها السلطان محمد الأول [٨٥٧ هـ - ١٤٥٣م]، وهذا الفتح غير الفتح الأخير الذي أخبر عنه النبي ﷺ قبل خروج الدجال مباشرة، وفتح بيت المقدس تم في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، ثم احتله النصارى الصليبيون، ثم فتح في عهد صلاح الدين الأيوبي، ثم احتل في عهد التتار ثم فتح، ثم احتله النصارى الإنجليز، ثم احتله اليهود، وسيتم عمرانه، وفتحه مرة أخرى قبل فتح القسطنطينية.

يقول الأستاذ/ عبدالوهاب عبدالسلام طويلة: «لقد فتحت القسطنطينية لأول مرة في زمن السلطان العثماني محمد الثاني، المعروف بالفاتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فحاز بذلك مع جيشه بشارة النبي ﷺ، ومديحه كما سلف، غير أن الضعف حلّ بالمسلمين بعد الحرب العالمية الأولى، وتداعت عليهم الأمم؛ بسبب ابتعادهم عن دينهم الذي أعزهم اللَّه به، فأصبحت القسطنطينية تحت حكم الملحد مصطفى كمال، صنيعة الصهيونية، والاستعمار، ولا زالت الأمور في تركيا تسير من سيء إلى أسوأ؛ حتى إنهم حالفوا اليهود، وفتحوا لهم بلادهم، وتوددوا إليهم، وهم أيضًا يخطبون ود الأوربيين بتضييق الخناق على المسلمين، ومحو كل ما يمت إلى الإسلام بصلة، والأوربيون لا يعبأون بهم، بل يحتقرونهم. وربما يطرأ تغيير على الوضع الدولي قبل ظهور المهدي، وخروج الدجال؛ فتصبح القسطنطينية تحت حوزة النصارى، أو حلفائهم.

والفتح الأخير لها لن يكون بقتال؛ وإنما بالتكبير، والتهليل تسقط المدينة؛ مكافأة للمسلمين الذين أبلوا بلاء حسنًا لدى قتال الروم في الملحمة الكبرى.

- عن أبي هريرة ﷺ في حديثه السابق: «... وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ،

(١) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في المسند، (٥/٢٦٩)، عن أبيه وجادةً، ورواه الطبراني، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»، (٧/٢٩١): «رجاله ثقات».

(٢) رواه أبو يعلى، قال الهيثمي: «ورجاله ثقات»، انظر: «مجمع الزوائد»، (١٠/٦٣ - ٦٤).

(٣) مدينة بناها الملك قسطنطين، وهي مثلثة الشكل؛ جانبان منها في البحر، وجانب في البر.

فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ؛ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهَالِيكُمْ، فَيَخْرُجُوا، وَذَلِكَ بَاطِلٌ».. الحديث.

ـ وعنه ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ، قال: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ؛ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ، وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ؛ فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، وَإِنَّمَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطَ أَحَدُ جَانِبَيْهَا»، قال ثور بن يزيد: «لَا أعلمه إلا قال: الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطَ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُونَ الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُونَهَا فَيَغْنَمُونَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ؛ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَرْجِعُونَ»، [أخرجه مسلم][1] اهـ.

وَعْدُ اللَّهِ ـ تَعَالَى ـ

لقد سقطت دولة الخلافة، وابتعد أكثر المسلمين عن القرآن رويدًا رويدًا؛ فتناولتهم السبل، ومخروا عباب بحر الفرقة اللجب، وابتعدوا عن شاطئ النجاة؛ فاستوت بهم سفينة الحيرة على صخرة الاختلاف، وبلغ بهم الأمر إلى أنهم نبذوا كتاب ربهم وراء ظهورهم، ذابوا في غيرهم؛ حتى صار من بين المسلمين من لا تستطيع أن تميزه من الكافر لا في المظهر فحسب، بل حتى في الصميم من الأخلاق والأفكار والعادات.

وعلى حين غفلة من هذا المارد النائم، لملمت فلول الشرذمة المغضوب عليها قواها المبعثرة، وأعادوا الكرة على الذين نبذوا كتاب ربهم وراء ظهورهم؛ فأذلوهم، وأذاقوهم ألوان الخزي، والعار، وانهالت الإمدادات على أمة القردة، والخنازير من أمة الضالين، وعَبَدة الطاغوت؛ فأصبح اليهود أكثر نفيرًا من المسلمين، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦]، وهاهم رعاة الأمة ـ إلا من رحم اللَّه ـ قد نسوا اللَّه فأنساهم أنفسهم؛ حاربوا أولياء اللَّه الداعين إلى طريق النجاة، وتبرأوا من الإسلام، وتنكروا له وأرادوا أن يُحلِّقُوا في الدنيا بجناح المادة، فخذلهم جناح الإيمان، فكبكبوا على وجوههم، وتولى اللَّه تأديبهم على يد من لا يرقبون فيهم إلًّا ولا ذمة؛ فتراهم متخبطين في كل قطر، أذلة في كل وجه، يسومهم أعداء اللَّه سوء العذاب، ويفرضون عليهم الخزي والعار، ويتخذونهم مطية رخيصة؛ ليصلوا عليها إلى مآربهم التوراتية، والتلمودية، ولكن لن يتم لهم ذلك، ولن يجنوا ثماره بإذن اللَّه؛ لأن اللَّه ﷻ قضى ـ وهو أحكم الحاكمين ـ، ووعد ـ وهو ـ سبحانه ـ الذي لا يخلف الميعاد ـ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ

(١) «المسيح المنتظر ونهاية العالم»، ص (٨١ ـ ٨٢).

كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾، [الإسراء: ٧-٨].

أي إن عدتم للإفساد، والعلو في الأرض عاد الله عليكم بتسليط أعدائكم عليكم؛ كما فعل في الإفساد الأول[(١)]؛ إذ قال ـ سبحانه ـ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾، [الإسراء: ٥]، وفي المرة التالية قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾، [الإسراء: ٧]؛ حتىٰ تعود فلسطين المسلمة بعد أن يستيقظ المارد النائم ليصب علىٰ الأمة الغضبية جام غضب الله عليهم، ويحرر الأقصى الأسير[(٢)]، ويفتحه خليفة المسلمين من جديد؛ كما فتحه من قبل عمر الفاروق، وصلاح الدين.

ويقتضي هذا كله أن القتال في فلسطين سيعود إسلاميًّا خالصًا في سبيل الله وحده لا قوميًّا رغم أنف العلمانيين والقوميين وأذنابهم، ولا يقدر علىٰ ردع الشيطان اليهودي سوى نور القرآن؛ يحرقه ويبيده، ولن يَهْزِمَ شِرْكَهُمْ إلا توحيدُنا، ولعل تعقيب الآيات بقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، [الإسراء: ٩]، فيه إشارة لطيفة إلىٰ أن سلاح العودة إلىٰ بيت المقدس، وقبلتنا الأولى هو كتاب ربِّنا لا غير، ويقتضي هذا ـ أيضًا ـ أن قضية فلسطين لن تحل سلميًّا، ولن ينعم اليهود أبدًا بالسلام الأبدي الذي يحلمون به، وإن استمرت موجات هجرتهم إلىٰ الأرض المقدسة: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾، [الإسراء: ١٠٤]؛ فإنهم سيجتمعون لفيفًا في أرض (الميعاد) من كل حدبٍ، وصوبٍ، ومن كل فجٍّ عميقٍ يلبون نداء القدر الذي قضى الله به عليهم منذ الأزل، وإن استمر الإمداد المادي من عبَّاد الصليب، وغيرِهم؛ فهذا ما أخبر به ﷻ في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، [الإسراء: ٦].

والحاصل أنه لن يهدأ للمغضوب عليهم بال، ولن يقر لهم قرار ـ إن شاء الله ـ؛ لأن الله ﷻ قضى بمنع ذلك، أما الخريطة التي نقشوها علىٰ باب (الكنيست)[(٣)]؛ فلن يكون لها وجود إلا في عقولهم المنحطة، وقلوبهم الصلبة القاسية؛ كحجارة (الكنيست) التي نقشوها عليها، أو أشد قسوة.

وعودة الأقصى للمسلمين بالمثابة التي ذكرنا تستلزم قيام خلافة راشدة علىٰ منهاج النبوة؛ فقد قال ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ إِذَا**

(١) والثاني بناءً على أن المرتين مضتا، وعليه فالشاهد هنا عموم قوله تعالى: ﴿وإن عدتم عدنا﴾.

(٢) انظر: «مجموعة الرسائل الكبرى»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٢/٥٧ ـ ٥٨).

(٣) بل التي يرمز إليها عَمَلَتُهُمْ، وعَلَمُ دولتهم، الذي يحتوي خطين أزرقين أفقيين متوازيين أحدهما يشير إلى النيل، والآخر يشير إلى الفرات، بينهما أرضية تحمل «نجمة داود»، والتي ترمز إلى امتداد سلطان دولتهم من النيل إلى الفرات، والتي يشير تطابق مثلثيها إلى تعانق السلطة الدينية مع السلطة المدنية كما كان شأن الدولة في عهد داود وسليمان عليهما السلام.

شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا؛ (أي وراثيًا)؛ فَيَكُونُ جَبْرِيًّا؛ (أي قهريًا)، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ سَكَتَ»(١).

يقول مؤلفا «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة»:

«وأحاديث المهدي الصحيحة تخبر بظهور مصلح في آخر الزمان؛ يحكم بالكتاب والسنة، يملأ الأرض عدلًا بعد ما ملئت جورًا وظلمًا، يبايَع هو مكره، يحكم ثماني أو سبع حجج، يكثر المال في زمانه، ويحثوه، ولا يعده؛ اسمه محمد بن عبداللَّه، من أهل بيت رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ، ومن ولد فاطمة ـ رضي اللَّه عنها ـ، وهو إمام عادل تقي، وحاكم منصف، وليكن معلومًا لدى الجميع أن الخلافة الراشدة تعود قبل ظهور المهدي؛ وليس كما يعتقد الناس، وتزعم بعض الجماعات الإسلامية؛ مثل جماعة التبليغ أن الخلافة يرجعها المهدي، وهم ينتظرونه؛ فإن هذا ما لا دليل عليه، بل هو وهمٌ، وخرصٌ، وتخمينٌ.

فخلاصة ما ورد في المهدي ما تقدم ذكره، ومن الأدلة الدامغة على أن الخلافة ترجع قبل هذا الخليفة الصالح أن المسلمين يسترجعون بيت المقدس من اليهود؛ كما سبق ذكره، وتبيانه، بينما المهدي يكون عند ظهوره في بيت المقدس(٢)؛ أي أن بيت المقدس يكون في أيدي المسلمين، وبيت المقدس الآن يرزح تحت نير الاحتلال الصُّهْيَوْنِي اليهودي البغيض، فلا بد من قيام الخلافة قبل المهدي؛ لأنها هي السبيل الوحيد لاسترجاع مجد الإسلام التليد»(٣) اهـ.



(١) رواه من حديث النعمان بن بشير رضي اللَّه عنهما الإمام أحمد (٢٧٣/٤) والطيالسي (٤٣٨) في «مسنديهما»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٩/٥): (رواه أحمد، والبزار أتم منه، والطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات) وقال الحافظ العراقي: (هذا حديث صحيح) كما نقله عنه الألباني في «الصحيحة» الحديث الرابع ص(٩).

(٢) ولعل هذا مأخوذ من قوله ﷺ في حديث أبي أمامة الطويل في الدجال: «وكلهم أي المسلمون ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم، إذ نزل عيسى، الحديث، انظر: «فتح الباري» (٤٩٣/٦)، واعلم أنه لا يوجد نص صريح يجزم بتحديد مكان أول ظهور للمهدي، البعض يرى أنه سيظهر في الشام بناء على الحديث الآنف الذكر، وكذا حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة» الحديث، وفيه: «فإذا جاءوا الشام خرج ـ أي الدجال ـ فبينما هم يُعِدُّون للقتال، يُسَوُّونَ الصفوف؛ إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم» الحديث رواه مسلم (١٨/ ٢١ ـ ٢٢) ـ نووي.

ويرى البعض أنه يخرج من المشرق اعتمادًا على حديث ثوبان ﷺ «ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق» وقد ضُعِّف، ويرى البعض أن أول ظهوره يكون في مكة والمدينة، قال القاري في «شرح الفقه الأكبر»: (ترتيب القضية أن المهدي عليه السلام يظهر أولًا في الحرمين الشريفين، ثم يأتي بيت المقدس، فيأتي الدجال، ويحصره في ذلك الحال، فينزل عيسى عليه السلام من المنارة الشرقية في دمشق الشام، ويجيء إلى قتال الدجال، فيقتله بضربة في الحال ...، فيجتمع عيسى عليه السلام بالمهدي ﷺ وقد أقيمت الصلاة، ... ويقتدي به ليظهر متابعته لنبينا صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم»اهـ. ملخصًا ص(١١٢).

(٣) «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة» ص(٤١ ـ ٥٨) لمؤلِّفَيْهِ سليم الهلالي، وزياد الديبج.

وهذا آخر ما قصدت جمعه في هذا الباب، تذكرةً لأولي الألباب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله، وسلّم، وبارك علىٰ نبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

❀ ❀ ❀

الفهارس

أولًا: فهرس أطراف الأحاديث

طرف الحديث	رقم الصفحة

(أ)

* * *

ثانيًا: فهرس أطراف الآثار

(هـ)

(و)

لا

(ي)

* * *

ثالثًا: فهرس المراجع

(أ)

١- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة
- مطابع الرياض - الرياض - ط. أولى ١٣٩٤هـ - حمود بن عبد الله التويجري.

٢- الإتقان في علوم القرآن
- دار الفكر - بيروت - ١٣٦٨هـ - جلال الدين السيوطي.

٣- احذروا! المسيح الدجال يغزو العالم من مثلث برمودا
- المختار الإسلامي - القاهرة - ١٤١١هـ - محمد عيسى داود.

٤- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان
- مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط. أولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - علاء الدين علي بن بلبان الفارسي.

٥- إحياء علوم الدين
- طبعة دار الشعب - القاهرة - أبو حامد الغزالي.

٦- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة .
مطبعة الحسيني - ط. أولى - نشر علي رحمي - محمد صديق حسن خان.

٧- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل
- المكتب الإسلامي - بيروت - ط. أولى ١٣٩٩هـ - محمد ناصر الدين الألباني.

٨- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير
- سلسلة البحوث الإسلامية - القاهرة - ١٩٨٣م - د. محمد بن محمد أبو شهبة.

٩- أسرار الساعة وهجوم الغرب
- مدبولي الصغير - القاهرة - ١٩٩٨م - فهد سالم.

١٠- أسرار الهاء في الجفر
- مدبولي الصغير - القاهرة - ٢٠٠٣م - محمد عيسى داود.

١١- الإسلام
- ط. أولى - ١٣٨٩هـ - سعيد حوى.

١٢- أشراط الساعة
- دار ابن الجوزي - الدمام - ط. ثانية - ١٤١١هـ - يوسف بن عبدالله الوابل.

١٣- أصول الكافي بشرحه الشافي
- مطبعة النعمان - النجف - ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م - أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني - شرح وتعليق عبدالحسين (!) بن عبدالله المظفر.

١٤- الأطباق الطائرة ومثلث برمودا بين الحقيقة والخرافة
- مكتبة جزيرة الورد - المنصورة - ط. أولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م - مجدي محمد الشهاوي.

١٥- اقترب خروج المسيح الدجال
- دار البشير - القاهرة - - هشام كمال عبد الحميد.

١٦- اقتضاء العلم العمل.
- المكتب الإسلامي - بيروت - ط. الثالثة ١٣٨٩هـ - تحقيق الألباني - الخطيب البغدادي.

١٧- إكمال إكمال المعلم
- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - العلامة أبو عبد الله محمد بن خلف الأبي.

١٨- «أون لاين» (مجلة) - العدد (١٤) - منتصف أكتوبر ٢٠٠١م.

١٩- الأيام الأخيرة في عمر الزمن
- دار البيارق - بيروت، عمّان - ط. أولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - عدنان طه.

(ب)

٢٠- البداية والنهاية
- نشر مكتبة المعارف - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٩م - ابن كثير القرشي.

٢١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز
- المكتبة العلمية - بيروت - لبنان - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

٢٢- البيان (مجلة) عدد (٣٣)
- مجلة شهرية تصدر عن المنتدى الإسلامي - لندن - عدد ٣٣- ١٤١١هـ.

٢٣- البيان النبوي بانتصار العراقيين على الروم والترك وتدمير إسرائيل وتحرير الأقصى
- ط. ثانية - ١٤١٨هـ - د. فاروق الدسوقي.

٢٤- البيان النبوي بدمار إسرائيل الوشيك
- ط. أولى - ١٤١٨هـ - د. فاروق الدسوقي.

(ت)

٢٥- تاريخ بغداد «أو مدينة السلام»
- دار الكتب العلمية - بيروت - الخطيب البغدادي.

٢٦- التاريخ الكبير
- دائرة المعارف العثمانية - الهند ١٣٨٠هـ - محمد بن إسماعيل البخاري.

٢٧- تحذير ذوي الفطن من عبث الخائضين في أشراط الساعة والملاحم والفتن.
- مكتبة السلف الصالح - جدة، ومكتبة ابن عباس - سمنود - ٢٠٠٣م - أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين.

٢٨- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد
- المكتب الإسلامي - دمشق - ط. الثالثة ١٣٩٨هـ - محمد ناصر الدين الألباني.

٢٩- تحقيق الكلم الطيب لابن تيمية
- المكتب الإسلامي - بيروت - ط. الثالثة - ١٣٩٧هـ - محمد ناصر الدين الألباني.

٣٠- تحقيق مسند الإمام أحمد
- دار المعارف - القاهرة - ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م - أحمد محمد شاكر.

٣١- تحقيق مشكاة المصابيح للتبريزي
- المكتب الإسلامي - بيروت - ط. الثانية - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - محمد ناصر الدين الألباني.

٣٢- **تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للحافظ الربعي**
- المكتب الإسلامي - دمشق - محمد ناصر الدين الألباني.

٣٣- **تدريب الراوي شرح تقريب النواوي**
- مطبعة السعادة - مصر - ١٣٨٦هـ - جلال الدين السيوطي.

٣٤- **تذكرة الحفاظ**
- دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٧٤هـ - شمس الدين الذهبي.

٣٥- **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**
- مكتبة الكليات الأزهرية - ١٤٠٠هـ، وطبعة دار الفكر - بيروت - أبو عبدالله القرطبي.

٣٦- **تفسير القرآن العظيم**
- دار الشعب - القاهرة - ابن كثير القرشي.

٣٧- **تفسير المنار**
- الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٢م - السيد محمد رشيد رضا.

٣٨- **التفسير والمفسرون**
- دار الكتب الحديثة - ط. ثانية - ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م - د. محمد حسين الذهبي.

٣٩- **تقريب التهذيب**
- دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ط. ثانية ١٣٩٥هـ - ابن حجر العسقلاني.

٤٠- **تنبيه الأنام على ما في كتاب هرمجدون من ضلالات وآثام**
- دار الرضا للنشر والتوزيع - الجيزة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - عادل بن يوسف العزازي.

٤١- **تلخيص المستدرك**
- دار الكتاب العربي - بيروت - محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي.

٤٢- **التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام**
- أضواء السلف - الرياض - ط. ثانية - ١٤١٩هـ - د. عبدالمجيد بن سالم المشعبي.

٤٣- **تهذيب التهذيب**
- دار صادر - بيروت - لبنان - ابن حجر العسقلاني.

(ث)

٤٤- **الثمر الداني في ذكر المهدي والقحطاني**
- بدون بيانات - ٢٠٠٢م - مجدي بن منصور بن سيد الشورى.

(ج)

٤٥- **جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ.**
- دار الفكر - بيروت - ط. ثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - تحقيق عبدالقادر الأرناؤط - ابن الأثير الجزري.

٤٦- **جامع بيان العلم وفضله**
- دار ابن الجوزي - الدمام - السعودية - ط. أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م - تحقيق أبي الأشبال الزهيري - أبو عمر يوسف بن عبدالبر.

٤٧ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن
ـ طبعة الحلبي ـ محمد بن جرير الطبري.

٤٨ـ جامع العلوم والحكم
ـ مطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة ـ ط. رابعة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ـ أبو الفرج عبدالرحمن بن رجب الحنبلي.

٤٩ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع
ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ١٤٠٣هـ ـ الخطيب البغدادي.

٥٠ـ الجرح والتعديل
ـ دار الكتب العلمية ـ أبو حاتم الرازي.

٥١ـ الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة
ـ مطبعة شاهين ـ عمان ـ الأردن ـ ط. أولى ١٣٩٩هـ ـ سليم الهلالي وزياد الدبيج، ط. الرابعة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ـ مركز الدراسات المنهجية السلفية.

٥٢ـ جمع الفوائد وأعذب الموارد
ـ عبدالله هاشم المدني ـ المدينة المنورة ـ محمد بن محمد بن سليمان.

٥٣ـ الجواهر في تفسير القرآن الكريم ـ
ـ طنطاوي جوهري.

(ح)

٥٤ـ الحاوي للفتاوى
ـ مطبعة الشيخ منير ـ ١٣٥٣هـ ـ جلال الدين السيوطي.

٥٥ـ حرب أمريكا المقدسة هل تمهد لهرمجدون؟
ـ دار البشير ـ القاهرة ـ محمود النجيري.

٥٦ـ الحرب العالمية الثالثة بين الإسلام والغرب
ـ بدون بيانات ـ ١٩٩٠ ـ د. عبد الناصر مدبولي الخضري.

٥٧ـ الحرب العالمية القادمة في الشرق الأوسط
ـ دار البشير ـ القاهرة ـ ط. ثانية ـ هشام كمال عبد الحميد.

٥٨ـ حرمة أهل العلم
ـ دار العقيدة ـ الإسكندرية ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ـ محمد إسماعيل المقدم.

٥٩ـ الحروف المتقطعة في أوائل السور القرآنية
ـ دار المنهل ـ جدة ـ د. محمد محمد أبو فراخ.

٦٠ـ الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو
ـ دار الأرقم ـ برمنجهام ـ بريطانيا ـ محمد سرور بن نايف زين العابدين.

٦١ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ـ أبو نعيم الأصبهاني.

٦٢ـ حمى سنة ٢٠٠٠
ـ ط. الثالثة ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م ـ عبد العزيز مصطفى كامل.

(خ)

٦٣- خدعة هرمجدون
- دار بلنسية - الرياض - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م - محمد إسماعيل المقدم.
٦٤- خواطر دينية (الجزء الثاني)
- مكتبة القاهرة - ط. أولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م - عبدالله بن محمد بن الصديق الغماري.
٦٥- خواطر في الدعوة
- المنتدى الإسلامي - ط. ثالثة ١٤١٨هـ - محمد العبدة.
٦٦- الخيوط الخفية بين المسيح الدجال وأسرار مثلث برمودا والأطباق الطائرة.
- دار البشير - القاهرة - محمد عيسى داود.

(د)

٦٧- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
- دار طيبة - الرياض - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - عبد العزيز بن محمد بن عبد اللطيف.
٦٨- الدر المكنون في بيان حقيقة هرمجدون
- بدون بيانات - مجدي بن منصور بن سيد الشورى.
٦٩- الدين الخالص
- مكتبة الفرقان - القاهرة - السيد محمد صديق حسن خان.

(ذ)

٧٠- ذم التأويل (ضمن مجموعة)
- مكتبة المتنبي - القاهرة - أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة.

(ر)

٧١- رد السهام عن كتاب «عمر أمة الإسلام»
المكتبة التوفيقية - القاهرة - أمين محمد جمال الدين.
٧٢- الرد العلمي على كتاب «تذكير الأصحاب بتحريم النقاب».
- دار العقيدة - الإسكندرية - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - محمد بن إسماعيل المقدم.
٧٣- روايات مصرية للجيب - (كوكتيل ٢٠٠٠)
٧٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
- دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - شهاب الدين محمود الألوسي.
٧٥- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء
- مكتبة السنة المحمدية - القاهرة - أبو حاتم محمد بن حبان البستي - تحقيق محمد حامد الفقي.
٧٦- الرياض النضرة في مناقب العشرة
- مكتبة الجندي - القاهرة - أبو جعفر أحمد المحب الطبري.

(ز)

٧٧- زوال إسرائيل ٢٠٢٢م
- مكتبة البقاع الحديثة - لبنان - ط. ثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م - بسام نهاد جرار.

(س)

٧٨ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها
ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ محمد ناصر الدين الألباني.

٧٩ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة
ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ محمد ناصر الدين الألباني.

٨٠ـ سنن الدارمي
ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ بعناية محمد أحمد دهمان ـ عبدالله بن بهرام الدارمي.

٨١ـ السنن الكبرى
ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

٨٢ـ السنن الواردة في الفتن
ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ط. الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني.

٨٣ـ سير أعلام النبلاء
ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

٨٤ـ سير الخلفاء الراشدين
ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط. أولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م ـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي.

(ش)

٨٥ـ شرح السنة
ـ طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء ـ البغوي.

٨٦ـ شعب الإيمان
ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

٨٧ـ الشريعة
ـ مؤسسة قرطبة ـ الحسين ـ القاهرة ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م ـ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري.

٨٨ـ الشيعة وآل البيت
ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ باكستان ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ إحسان إلهي ظهير.

(ص)

٨٩ـ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)
ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط. ثالثة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ـ إسماعيل بن حماد الجوهري ـ تحقيق أحمد عبدالغفور عطا.

٩٠ـ صحيح الأدب المفرد
ـ دار الصديق ـ الجُبيل ـ السعودية ـ ط. الأولى ١٤١٤هـ ـ محمد ناصر الدين الألباني.

٩١ـ صحيح البخاري
ط. المكتبة السلفية ـ مع «فتح الباري» ـ محمد بن إسماعيل البخاري

٩٢ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته
ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ محمد ناصر الدين الألباني.

٩٣- صحيح سنن ابن ماجه
- المكتب الإسلامي - بيروت - ط. الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م - محمد ناصر الدين الألباني.
٩٤- صحيح سنن أبي داود
- المكتب الإسلامي - بيروت - ط. الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - محمد ناصر الدين الألباني.
٩٥- صحيح مسلم
- دار إحياء الكتب العلمية - القاهرة - ١٣٧٤هـ - الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
٩٦- الصحيح المسند من دلائل النبوة
- دار الأرقم - الكويت - ط. أولى ١٤٠٥هـ - مقبل بن هادي الوادعي.
٩٧- صفة النفاق وذم المنافقين
- مؤسسة قرطبة - الهرم - ١٤٠٨هـ - أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي.
٩٨- صوت آل البيت (جريدة)
- عدد شعبان ١٤٢١هـ.
٩٩- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان
- مطابع نجد التجارية - الرياض - ط. الخامسة - ١٣٩٥هـ - محمد بشير السهسواني.

(ض)

١٠٠- الضعفاء الصغير
- نشر دار الوعي - حلب - ط. أولى ١٣٩٦هـ - الإمام محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق محمود إبراهيم زايد.
١٠١- الضعفاء والمتروكون
- دار الوعي - حلب - ط. أولى ١٤٠٦هـ - الإمام النسائي - تحقيق محمود إبراهيم زايد.
١٠٢- ضعيف الجامع الصغير وزيادته
- المكتب الإسلامي - بيروت - ط. ثانية ١٣٩٩هـ - محمد ناصر الدين الألباني.
١٠٣- ضعيف سنن الترمذي
- المكتب الإسلامي - بيروت - ط. أولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م - محمد ناصر الدين الألباني.
١٠٤- الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن
- دار المنار - الرياض - ط. أولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ.

(ع)

١٠٥- العالم ينتظر ثلاثًا
- دار النور المحمدي - أبو محمد جمال بن محمد بن الشامي.
١٠٦- العقلانيون ومشكلتهم مع أحاديث الفتن
- دار الإيمان - الإسكندرية - ط. أولى ١٤٢٠هـ - مبارك البراك.
١٠٧- علامات الساعة (دراسة تحليلية)
- دار الفرقان - الإسكندرية - ٢٠٠٠م - رفاعي سرور.

١٠٨- عمدة التفسير
- مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة - ١٩٩٠م - أحمد محمد شاكر.

١٠٩- عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي - عليه السلام
- مكتبة علي - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م - أمين محمد جمال الدين.

(ف)

١١٠- الفتاوى الكبرى
- مطبعة كردستان العلمية - القاهرة - ١٣٢٦هـ - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

١١١- فتح الباري شرح صحيح البخاري
- السلفية ١٣٨٠هـ - القاهرة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

١١٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري.
- مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م - زين الدين أبو الفرج ابن رجب الحنبلي.

١١٣- الفتح الرباني ومعه بلوغ الأماني.
- مطبعة حسان - الطبعة الأولى - ١٣٥٣هـ - أحمد بن عبدالرحمن البنا.

١١٤- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد.
- دار الصميعي - الرياض - ط. ثانية - ١٤١٧هـ - تحقيق الوليد بن عبدالرحمن آل فريان.

١١٥- الفتن
- دار البيان العربي - الأزهر (١٤٢١هـ - ٢٠٠٢م)- نعيم بن حماد الخزاعي المروزي.
- وطبعة مكتبة التوحيد - القاهرة (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) - تحقيق سمير أمين الزهيري.

١١٦- الفتيا ومناهج الإفتاء
- الدار السلفية - الكويت - ط. ثانية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) - محمد سليمان الأشقر.

١١٧- فرق الهند المنتسبة إلى الإسلام في القرن العاشر الهجري
- دار ابن الجوزي - ط. أولى ١٤٢٢هـ - د. محمد كبير أحمد شودري.

١١٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل
- مكتبة السلام العالمية - القاهرة - الإمام ابن حزم الأندلسي.

١١٩- فضائل الشام ودمشق بتحقيق الألباني
- المكتب الإسلامي - بيروت - ط. رابعة - ١٤٠٣هـ - الربعي.

١٢٠- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة
- المكتب الإسلامي - بيروت - ط. الثالثة - ١٤٠٢هـ - محمد بن علي الشوكاني - تحقيق عبدالرحمن المعلمي.

١٢١- فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي
- مصطفى محمد - ١٣٥٦هـ - عبدالرءوف المناوي.

١٢٢- في فقه الواقع
- دار الوفاء - المنصورة - ١٤١٢هـ - عبدالسلام البسيوني.

(ق)

١٢٣- قبل أن يهدم الأقصى
- دار التوزيع والنشر الإسلامية - د.عبدالعزيز مصطفى.

١٢٤- قبل الكارثة نذير...ونفير
- المنتدى الإسلامي - ط.الثانية (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) - د.عبد العزيز مصطفى كامل.
١٢٥- قصة المسيح الدجال
- محمد ناصر الدين الألباني.
١٢٦- قطر الولي على حديث الولي
- دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٩٧٩م - تحقيق د. إبراهيم إبراهيم هلال - محمد بن علي بن محمد الشوكاني.
١٢٧- القول في علم النجوم
- دار أطلس - الرياض - ط. أولى ١٤٢٠هـ - أبو بكر علي بن أحمد الخطيب البغدادي.
١٢٨- القيامة الصغرى
- دار النفائس - ط. الثالثة عشرة - ١٤٢٢هـ - د. عمر سليمان الأشقر.
١٢٩- القيامة الصغرى على الأبواب
- ط. ثانية - ١٤١٨هـ - د. فاروق الدسوقي.

(ك)

١٣٠- كذبة أبريل: أصلها التاريخي وحكمها الشرعي
- د. عاصم القريوتي.
١٣١- كتاب المجروحين
- دار الوعي - تحقيق محمود إبراهيم زايد - ابن حبان.
١٣٢- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة
- مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.
١٣٣- كشف المكنون في الرد على كتاب هرمجدون
- المكتبة الإسلامية - مكتبة المورد - القاهرة - ط. أولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مازن بن محمد السرساوي .
١٣٤- الكفاية
- دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ - تحقيق د. أحمد عمر هاشم - أبو بكر الخطيب.
١٣٥- كفر من ادعى علم الغيب
- مكتبة الصحابة - جدة - ط. الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م - عيسى بن يحيى بن معافي شريف.

(ل)

١٣٦- اللقطات في بعض ما ظهر للساعة من علامات
- مكتبة الكليات الأزهرية - ١٤٠٤هـ - أبو بكر جابر الجزائري.
١٣٧- لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟
- دار البشير - القاهرة - شكيب أرسلان.
١٣٨- لوامع الأنوار البهية
- المكتب الإسلامي - بيروت، ومكتبة أسامة - الرياض - ط. ثانية - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(م)

١٣٩- ما قبل الدمار
- دار البشير - القاهرة - محمد عيسى داود.

١٤٠- مجلة الجامعة السلفية
- بنارس - الهند - المجلد الحادي عشر - العددان الحادي عشر والثاني عشر - ذو الحجة ١٣٩٩هـ - ١٤٠٠هـ.

١٤١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
- طبعة نشر دار الكتاب ١٩٦٧م، طبعة القدسي - نور الدين الهيثمي.

١٤٢- مجموعة الرسائل والمسائل
- دار الباز - مكة المكرمة - مصورة عن طبعة المنار - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

١٤٣- مجموع الفتاوى
- مكتبة ابن تيمية - القاهرة - شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم النجدي.

١٤٤- محاسن التأويل
- دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ط. أولى -١٣٧٦هـ - محمد جمال الدين القاسمي.

١٤٥- مختار القاموس
- عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ط. أولى -١٣٨٣هـ - الطاهر أحمد الزاوي .

١٤٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين
- مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م - ابن قيم الجوزية - تعليق محمد حامد الفقي.

١٤٧- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
- المطبعة الميمنية - القاهرة - ١٣٠٩هـ - علي بن سلطان القاري.

١٤٨- المسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى
دار الاعتصام - القاهرة - سعيد أيوب

١٤٩- المسيح المنتظر ونهاية العالم
- دار السلام - القاهرة - ط. الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م - عبدالوهاب عبدالسلام طويلة.

١٥٠- مشكل الآثار
- دار صادر - بيروت - مصورة عن طبعة حيدر آباد - ١٣٣٣هـ - أبو جعفر الطحاوي.

١٥١- المصنف في الأحاديث والآثار
- تحقيق عامر العمري - جامعة مدراس - الأعظمي - الهند - الإمام عبدالله بن محمد بن أبي شيبة.

١٥٢- المصنف - نشر المجلس العلمي
- ط. أولى - ١٣٩٠هـ - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني.

١٥٣- مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية ﷺ
- مكتبة القاهرة - الأزهر - ط. السابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - أحمد بن الصديق الغماري.

١٥٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (في التوحيد)
- دار ابن القيم - الدمام - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م - حافظ بن أحمد حكمي.

١٥٥- المعجم الكبير
- مكتبة ابن تيمية - القاهرة - الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.
١٥٦- المعجم الوسيط
- ط. الثالثة - مجمع اللغة العربية - إشراف عبدالسلام هارون وآخرين.
١٥٧- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار
- مطبوع بحاشية إحياء علوم الدين - دار الشعب - القاهرة - الحافظ العراقي.
١٥٨- المفاجأة ... بشراك يا قدس
مكتبة مدبولي الصغير - ط. ثانية - ٢٠٠١م - محمد عيسى داود.
١٥٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة
- مكتبة حميدو - الإسكندرية - ط. الثالثة - ١٣٩٩هـ - ابن قيم الجوزية - تصحيح وتعليق محمود حسن ربيع.
١٦٠- مفردات ألفاظ القرآن
- دار القلم - دمشق - ١٤٢١هـ - ١٩٩٢م - الراغب الأصفهاني
١٦١- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث
دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٨هـ - أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن (ابن الصلاح).
١٦٢- مقدمة تاريخ ابن خلدون «كتاب: العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر».
- مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني - بيروت - ط. ثانية - ١٩٦١م - عبدالرحمن بن خلدون المغربي.
١٦٣- مقدمة في أصول التفسير
- مطبعة الاستقامة - شيخ الإسلام ابن تيمية.
١٦٤- المنار المنيف في الصحيح والضعيف (أو: نقد المنقول)
مطبعة الحرية ١٣٨٣هـ - طبعة الشام بتحقيق محمود مهدي استانبولي، ومطبعة مكتب المطبوعات الإسلامية - ط. أولى - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م - تحقيق عبدالفتاح أبو غدة - الإمام ابن قيم الجوزية.
١٦٥- مناهل العرفان في علوم القرآن
- دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - محمد عبدالعظيم الزرقاني.
١٦٦- منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي
- المطبعة المنيرية - الأزهر - ١٣٧٢هـ - أحمد بن عبدالرحمن البنا الساعاتي.
١٦٧- منهاج السنة النبوية
- مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ط. ثانية - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - تحقيق د. محمد رشاد سالم.
١٦٨- المهدي
- الدار العالمية - الإسكندرية - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م - محمد إسماعيل المقدم.
١٦٩- المهدي المنتظر
- طبعة إسماعيل تمام - ١٩٧٨م - أبو الفضل الغماري.

١٧٠- المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة
- المكتبة المكية - مكة المكرمة - ط. أولى - ١٤٢٠هـ - د. عبدالعليم عبدالعظيم البستوي.

١٧١- المهدي المنتظر على الأبواب
- محمد عيسى داود.

١٧٢- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان
- المطبعة السلفية - الروضة - الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - تحقيق محمد عبدالرزاق حمزة.

١٧٣- موسى في الأساطير الإسرائيلية
المركز الهندسي للطباعة والنشر - القاهرة - المعادي - يناير ٢٠٠٠م - ط. أولى - د. وجدي الفيشاوي.

١٧٤- الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة
- المكتبة المكية - مكة المكرمة - ط. أولى ١٤٢٠هـ - د. عبدالعليم عبدالعظيم البستوي.

١٧٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال
- عيسى البابي الحلبي - القاهرة - تحقيق علي محمد البجاوي - أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

(ن)

١٧٦- نبوءات الكتب المقدسة ونهاية العالم
- مكتبة معروف إخوان - القاهرة - عاشور عبدالسلام.

١٧٧- نبوءات نهاية العالم بين الأديان السماوية (!) والواقع العالمي المعاصر
- دار البشير - القاهرة - صبري أحمد موسى.

١٧٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور
- ط. أولى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م - برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي.

١٧٩- نهاية البداية والنهاية
- مكتبة النصر الحديثة - الرياض - ط. الأولى - ١٩٦٨م - ابن كثير الدمشقي.

١٨٠- النهاية في غريب الحديث والأثر
- طبعة دار الفكر - تحقيق الزاوي والطناحي - الإمام مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير.

(هـ)

١٨١- هدي الساري مقدمة فتح الباري
- المطبعة السلفية - ١٣٨٠هـ - القاهرة - الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني.

١٨٢- هرمجدون - آخر بيان يا أمة الإسلام
- المكتبة التوفيقية - القاهرة - ١٤٢٢هـ - أمين محمد جمال الدين.

١٨٣- هرمجدون حقيقة أم خيال؟
- مكتبة جزيرة الورد - المنصورة - ط. أولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - د. أحمد حجازي السقا، عبدالله المنشاوي.

* * *

رابعًا: فهرس الموضوعات

الباب الثالث

مَظَاهِرُ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

الفصل الثالث: اسْتِدْلَالُ العابثين بِمَا لَا يَصْلُحُ دَلِيلًا

بحمد الله

شكر وتنويه

يتقدم المؤلف بالشكر الجزيل

لفريق الجمع والصف، والتصحيح والمراجعة بمكتب

الرضا للدعاية والإعلان

لما بذلوه من جَهْدٍ جاهِدٍ، وسعي حثيث في سبيل إخراج الكتاب بهذه الصورة المتقنة

فجزاهم الله خيرًا، ووفقهم للمزيد